الإسلام في وجه الزحف الأحمر

بقلم
محمد الغزالي

عنى بنشره
عبد الله إبراهيم الأنصاري

طبع على نفقة
الشؤون الدينية بدولة قطر

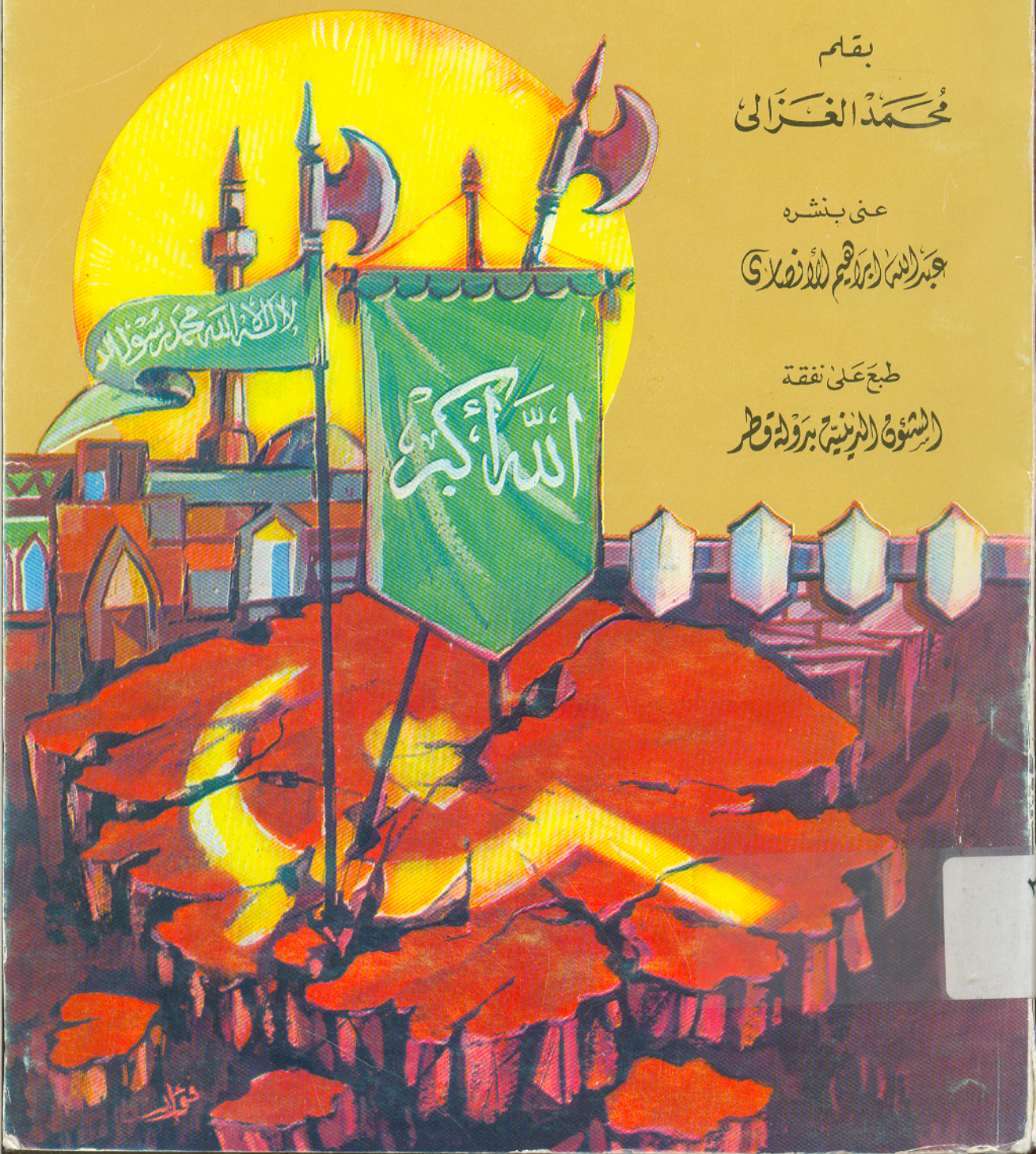

مكتبة الشيخ عبدالله الأنصاري العامة
الرقم العام : _____
رقم التصنيف : _____

الإسلام
في وجه الزحف الأحمر

٢١٠٨ / ع ٣
١٢٩٩٤
٧٩٢١

بقلم
محمد الغزالي

عني بنشره
عبدالله إبراهيم الأنصاري
مدير الشئون الدينية
بدولة ـ قطر

طبع على نفقة
الشئون الدينية بدولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

« الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما » ·

والصلاة والسلام على نبيه الامين الذى حمل الرســـالة وأدى الامانة ، وعلى آله وصحابته ومن دعا بدعـوته الى يوم الدين ·

وبعـد :

فان الدعوة الى الاسلام لها مناهج وأساليب شتى ··

منها ما يكون فى تفهيم الدين وأصوله من شريعة وفقه وآداب وغير ذلك ، ومنها ما يكون فى نصح الامة بتذكيرها بربها ودينها ، وماضيها وحاضرها ·

ومنها ما يكون فى تعريفها باصدقائها واعدائها وموقفها منهم ·

والدعاة من الصنف الاخير هم اشجع الناس لان عملهـم هذا يكلفهم الكثير بل ربما يكلفهم المخاطرة بحياتهم ·

ومن هذا الصنف من الدعاة الاخ الفاضل ، الداعيـة ، **الشيخ محمد الغزالى** الذى عرفه الدعاة الى الله وطلبة العلم من خلال جهاده وكتبه الكثيرة فى ميدان الدعوة والتى تذب عن الاسلام وتدافع عنه ومنها كتابه هذا الذى نقدمه الى قرائنا الكرام ·

« الاسلام فى وجه الزحف الاحمر »

وهو كتاب جليل ، وفريد فى ميدانه يحدد لنا الخطـــر المرصود ، والذى لا يفتأ ينتشر فى أوصال الامة الاسلامية انتشار النار فى الهشيم ، وللاسف يساعده على ذلك حمق وجهل ومروق بعض من ابناء هذه الامة الذين يعيشـــون بينها ويتسمون للاسف باسمائها ·

هؤلاء ، جذبهم السراب ، وزين لهم الشيطان سوء عملهم

فرأوه حسنا ، ويعلم الله أنهم جناة على أمتهم وخطـر عليها يفوق خطر الاعداء الحقيقيين ..

والزحف الاحمر الذى يعنيه المؤلف هو الزحف الشيوعى، وما يجره من ويلات على الامم التى تقع تحت طائلة حكمه .

ويضرب لنا مثلا رائعا فى ذلك هو التفريق بين كلمـة روسيا ، والاتحاد السوفيتى .. فروسيا أصلا ليست سوى قطر صغير نسبيا قبل الثورة الشيوعيـة ، وما ان اشتعلت نيرانها حتى بدأت فى الانتشار تمـاما كالداء الخبيث واتت على كل جاراتها وللاسف كانت هذه الجارات دولا اسلامية لها مكانتها فى تاريخ الاسلام .

كلنا يعلم عن بخارى وطشقند ، والقوقاز ، وسمرقند ، وترمذ وغيرها من تلك البلاد التى كان لها أمجاد فى تاريخ الاسلام .. ويستطرد بنا المؤلف فى رحلة مشوقة يحـدثنا فيها حديث المؤرخ الصادق ليبين للناس ما نسوه وما اهمله التاريخ والمؤرخون .

ثم يبحث فى النهاية طالبا العودة الى الاسلام لهذا الدين العتيد ، الذى يتحطم بأوامره كل مـكايد الشيطـان .. وهو الملجأ الوحيد لسعادتنا فى الدنيا والآخرة .

انه هو الملاذ وليس بغيره نُعَز.. (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) .

انها تذكرة لنا صـاغها المؤلف حفظه الله بقلم يفور اخلاصا معبرا عن فكر يعبق منه الايمان .

نرجو الله له دوام النشاط فى خـدمة الاسـلام والمسلمـين ، وان ينفـع بعلمـه أبنـاء هـذه الامة من الشباب الذين هـم عماد المستقبل ـ لهـذا الدين ـ ودعامته وان يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه ، ويجعلنـا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

غرة محرم الحرام سنة ١٣٩٩ هـ
الموافق ١ كانون أول سنة ١٩٧٨

عبد الرحيم الأنصاري

مقـــدمة

خامرنى احساس بالوجل والضيق للرواج الذى لقيته الشيوعية فى الآونة الاخيرة ٠

لقـــد استولت على مســـاحات واسعـــة من الارض ، وأعـداد كبيرة من الناس ٠٠٠

واستهوت لفيفا من الشباب فى البلدان العربية والاسلامية من فارغى العقول والأفئدة ٠٠٠

وأصبحت ـ على الأقل ـ وجهة نظر تعرض نفسها بين وجهات النظر الأخرى دون ملام أو خشية ٠٠٠

بل أصبح أتباعها يؤملون أن تتدافع الامور اليهم وتقع أزمة المجتمع كلها فى أيديهم ٠٠٠

وغاظنى أن يرجع ذلك النجاح كله الى نشاط العارضين لا الى جودة السلعة ٠ !!

فان الشيوعية لو عرفت على حقيقتها العارية نظريا وعمليا لولى عنها الانصار ، ولانصرفوا كارهين مزرين ٠٠٠

وغاظنى أن الفراغ الدينى الرهيب فى الامـة الاســـلامية المترامية الاطراف هو أول ما يعين الشيوعية على خداعها ، ويوقـــع القاصرين فى حبائلها ٠٠ وهو فراغ لا يملأ جزءا منه علماء الدين المحنطون فى معارفهم التقليدية الباهتة ، ولا رجال السياسة المنسلخون عن عقيدتهم وشريعتهم ، الحارسون لحكم مدنى ميت الروح وضيع الهدف ٠٠ !!

وقد كنا نتصور الشيوعية أمل الجياع الذين يريدون الشبع ،والمظلومين الباحثين عن العدل الاجتماعى وتكافؤ الفرص ، والكادحين الراغبين فى وفرة الكرامة ، وأمان الحاضر والمستقبل ٠٠

واستطعنا أن نقدم هذا كله جزءا لا يتجزأ من تعاليم الاسلام ، وعددا يحصى احصاءا من شعب الايمان !

وقلنا : فى الحق ما يغنى عن الباطل ، وفى الدين ما يعصـــم من الالحاد ٠٠٠

غير أننا فوجئنا بطلاب الشيوعية يريدونها مذهبا يجرد الحياة تجريدا تاما من كل صلة بالله واليوم الآخر ، ويقصر النشاط البشرى كله على عبادة الارض ، وتوفير القوت ، وتيسير بعض الملذات ٠٠ ان أمكن ٠٠٠

ورايناهم يحاكمون التراث الانسانى كله الى قضية الخبز ويتناولون بالمحو العاجل أو البطىء ما يخالف المنطق المادى ..

وأعانهم على هذه الفوضى الروحية والفكرية ما يعانيه العالم العربى والاسلامى من ذبذبة وحيرة ، وما يرشح عليه من ارجاس الاستعمار الثقافى بعد الاستعمار العسكرى ...

لذلك رايت أن أكتب هذه الصحائف الحافلة بالحقائق العلمية والتاريخية . وأودعتها صرخات قلب غيور على دينه شفيق على أمته .

واعرف اننى بكتابتها ساتعرض لعداوات مميتة .

ولكن بئست الحياة أن نبقى ويفنى الاسلام ... !!

ان الضربات تنهال من كل ناحية على هذا الدين الجلد .. !!

وعلى بعد ما بين الخصوم الضاربين من منازع وغايات فقد جمعهم حب الاجهاز على الاسلام واقتسام تركته ... !!

وقد فرض الله على العلماء ان يقولوا الحق ولو كان مرا ، وان لايخشوا فى الله لومة لائم ..

وعشاق الحق لابد أن يحيوا معه،والافبطنالارض خير لهم من ظهرها.

والأمة التى اعنيها ليست عشيرتى الاقربين ، ولا العرب أجمعين كلا.. اننى أعنى الأمة الاسلامية حيث انتشرت فى الارض ولمس ترابها جبهات الساجدين وكل منهم يهمس فى خشوع : « سبحان ربى الأعلى » .

هذه الأمة التى احاط بها الطامعون والحاقدون هى التى احذر عليها ، واعمل لها ..

من أجلها أسوق هذه الحقائق علها تعيها ، وتاخذ حذرها ليومها وغدها.

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

محمد الغزالى

رجب ١٣٨٦

أكتوبر ١٩٦٦

بداية الصراع

نظـــرتنا الى الشيوعية ـ كيف تسربت الى البلاد العـــربية والاسلامية ، ومن المسئول ؟ ـ أثر المساعدات الروسية ـ لن نتخلى عن ديننا ٠

❁ ● ❁

أكره الالحاد بقدر ما أحب ربى ٠

وأستحمق أهله بقدر ما فى قلبى وعقلى من يقين ومعرفة ٠

لقد آمنت بالله عن استدلال وبصر ، وتطواف فى آفاق السموات والارض ، وتفنيد للشبهات ونسف للريب ٠٠

ومن هنا فان غرور الجاحدين بما لديهم من ظاهر العلم لا يلقى لدى الا الاحتقار والمقت ٠

وما أعد منكرى الألوهية الا أشباه دواب مهما كانت حصيلتهم من العلوم ومكانتهم على هذا التراب !!

واذا كان الالحاد عاهة تزرى بصاحبها على هذا النحو ٠ فكيف اذا كان صاحبها داعية لجهالته متحمسا لها ؟

وكيف اذا نما هذا الالحاد ، وتكاثف ، وأمست له دولة تفرضه بالسلاح ، وتوطىء له الظهور والاعناق ، وتنتمى له فى السر والعلن ٠ وتريد به أن تطفىء نور الله ، وأن تمد ظلمته حتى تطوى أقطار الارض الى آخر الدهر ؟

ان ذلك بداهة أدعى لمزيد من الانكار والبغضاء والمقـــاومة والغضب !!

من أجل ذلك قاومت وقاوم كل مسلم الشيوعية العالمية واعترض زحفها ، وأبى بألف دافع من دينه أن يستكين لها ، أو يأذن بمرورها .. !!

لكن ...

لكن اذا كان الامر كذلك فكيف تسللت روسيا أم الشيوعية وحاميتها وحاملة لوائها الى البلاد العربية والاسلامية ؟ وكيف قدرت على توطيد مكانتها هنا وهناك ؟؟

والجواب عند الصليبية الغربية التى أعمى الحقد والجشع قلبها ، وظنت أن الفرص مواتيتها لاجتياح الاسلام وأمته فى هذا العصر ..

ماذا أصنع اذا كنت فلسطينيا ورأيت الدول المسيحية الكبرى تقرر علانية ودون ذرة من وجل أو خجل تهويد بلادى وتجريدى من دارى ومالى ؟؟

● ● ●

ماذا أصنع وأنا أقاوم هذا الظلم الفادح فلم أجد الا السلاح الروسى يوضع فى يدى لاثبت به حقى ، وأغسل به العار عن نفسى وبلدى ودينى ؟؟

واذا كنت افريقيا ورأيت الاستعمار الغربى أشد ما يكون حرصا على تنصير شرق افريقية وغربها ووسطها ، واقامة حكومات مسيحية تعمل جهرة على محو الاسلام فيها وقتل زعمائه وتدويخ شعوبه ؟؟

وأين يحدث ذلك ؟؟

بين شعوب كثرتها الكبرى مسلمة وقلتها وثنية وأقلها مسيحى.

فماذا أصنع اذا وجدت روسيا تحارب هذه الحكومات وتعرقل سياستها ؟

ألا أميل الى الروس ؟ وأتمنى لهم تقدما محدودا أو مطردا ضد هذا العدو المشترك ؟

واذا كنت فى مصر أريد بناء وطنى ، وتحسين أحواله الاقتصادية ، ووجدت الدول المسيحية الكبرى تقبض يدها عنى ، وتتمنى الويل لى ٠

فماذا أصنع اذا رأيت العون الروسى يقترب منى ويعرض نفسه على ؟؟

ان روسيا تسللت حقا الى البلاد العربية والاسلامية ٠

بيد أن هذا التسلل جاء نتيجة حتما لطبيعة السياسة الغربية وكراهيتها ، الدفينة للاسلام والمسلمين ٠

ان الغرب الصليبى يعد الامة الاسلامية تركة لا صاحب لها ٠

وهو يتحكم فى علاقتها بدينها ، ويرغمها على ترك ما يرى من شرائعه ، واخفاء ما يكره من شعائره ٠٠ !!

وهو يعطى نفسه حق محو الاسلام من أى بلد وتنكيس لوائه فى أى أرض ٠٠ !

وهو قد يعامل بعض الحكومات الاسلامية برفق فى نطاق ما يصون منفعته فحسب !

فاذا غاضت هذه المنفعة بدا ما كان مستخفيا من عداء ٠

وبديهى ان يحارب المؤمنون الاحرار هذا الاستعمار الحقود والخئون ٠

وما كان عليهم من حرج وهم يدافعون ظلماته ان يتلقفوا السلاح من أى يد ولو كانت يد ملحد لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ٠٠

ان الغريق لا يلام اذا تشبث بأى شىء يعصمه من الموت ويتيح له النجاة ٠

ونحن المسلمين فى وضع شائك محزن !!

انه يستحيل ان ننسى ربنا ، أو ندع ديننا ، أو نتخلى عن توصياته فى شتى المواقف ٠

وحين نقبل العون الروسى ماديا كان أو أدبيا فلكى نستبقى أنفسنا وتراثنا ضد من يبغى العدوان علينا ٠

أى أننا نريد استدامة وجودنا الاصيل بكل ما يتضمنه هـذا الوجود من حقائق وشارات ٠

فحين نعيد فلسطين مرة أخرى ، ونكسر القوى التى تقيـم اسرائيل على صعيدها ٠ فذلك لكى تعود الارض المقدسـة الى عروبتها واسلامها لا غير ٠٠٠ !!

وحين نهزم الاستعمار الكالح المتعصب فى افريقية وآسـيا ، فذلك كيما تعود حرية الضمير ، وتنحسر أمواج الفتنة ، وتتنفس الجماهير المسلمة المضطهدة فى جو خال من الغشم والصغار ٠

ان السفاهة بعينها أن يظن أحد بنا أو يرتقب منا أن نتحول الى الشيوعية لان الاستعمار الغربى أكرهنا على التعاون معها وقبول نجدتها ٠٠ !!

كلا ٠ لن نفرط أبدا فى اسلامنا ، وسنظل ما حيينا أوفياء لله ورسوله ٠ مستمسكين بعروة الاخوة الجامعة التى تربطنـا بالمسلمين فى ارجاء الدنيا ٠

❁ ❁ ❁

واذا كانت المصالح السياسية المجردة تجعل المتناقضين يلتقيان فى ميدان ما فتلك ضرورات تمليهـا ظروف خاصة ولا تعنى بتة ان يتنازل أحد عن مقوماته ومشخصاته !!

ولعل انجلترا والولايات المتحدة أعرف منا بذلك ٠

فهما فى الحرب العالمية الاخيرة تحالفتا مع روسيا ضد ألمانيا ٠

وقال فى ذلك تشرشل انه مستعد للتحالف مع الشيطان ضـد خصومه ٠

وهكذا تعاونت الرأسمالية الغربية والشيوعية الشرقية على الكفاح معا ضد عدو مشترك ، واختلطت الدماء المراقة لبلـوغ غاية محدودة ٠

هل كان معنى ذلك تخلى أحد الفريقين عن مبادئه وعقائده ؟

كلا ٠

لقد قبل الروس عون الامريكان مع أن الغرض البعيد للروس هو القضاء على الرأسمالية التى تعتبر أمريكا قاعدتها الكبرى ٠

وفى ذلك يقول ستالين نقلا عن لينين « ان النصر لا يتم لنا الا على أيدى من يحسنون تخير الطرق للهجوم والتقهقر على السواء ٠

ان الحرب للقضاء على « البورجوازية » الدولية ستكون حربا طويلة شعواء تتضاءل أمامها أهوال الحروب التى تنشب بين بعض الدول وبعضها الآخر ٠

ومن الخرق أن نتنحى فى سبيلها عن سلوك أى طريق من طرق المناورة كأن نضرب أحيانا مصالح عدو بمصالح عدو آخر !! أو نبرم اتفاقات مؤقتة نعرف لها عدم الدوام والثبات !!

فاننا برفضنا هذا المسلك نكون كمن يريد تسلق جبل منحدر مجهول المسالك ويتمسك بادىء ذى بدء بالامتناع عن الصعود فى خط منعرج أو الرجوع أحيانا بضع خطوات الى الوراء أو العدول عن الاستمرار فى الطريق المختار والبحث عن طريق أسهل منه لاتمام الصعود » ٠

بهذا الاسلوب المرن يخدم الشيوعيون قضاياهم ٠ فهل من ضير على المسلمين ان يلجؤوا الى هذا الاسلوب نفسه فيضربوا مصالح عدو بمصالح عدو آخر ؟؟

المهم ألا يفقدوا أنفسهم ، وألا ينسوا غايتهم فى خلال هذا المعترك المعقد وما يفرضه من كر وفر وابتسام وعبوس ٠

بل ان خطة المسلمين ستكون أشرف لانهم ــ ببواعث من دينهم ــ لن يغدروا فى عهد ، ولن يكفروا نعمة ذى نعمة ، ولن يقلبوا المنكر معروفا ولا المعروف منكرا ٠٠٠

بيد ان خطة ضرب عدو بعدو ثم الخلاص بالاسلام وأممه من شتى المآزق ليست بالامر السهل ٠

انها خطة تحتاج بعد عناية الله الى ساسة أوفياء لدينهم وتاريخهم ·

لهم فى الدعوة الاسلامية رسوخ وبصيرة ·

وحولهم شعوب تتحمل أعباء الجلاد وطول المقاومة ، وتعرف نهاية الطريق وان اختلفت الوسائل ·

وهذه شروط لم تتوفر للاسف فى عصرنا ·

ونشأ عن فقدها كلا أو بعضا أن الروس وأضرابهم لما عرضوا عونهم على ضحايا الاستعمار الغربى وخصومه جاشت فى صدورهم الآمال أن تجد الشيوعية قبولا حسنا بين العرب والمسلمين ··· !!

وهى آمال لها ما يسوغها بل لها ما يقويها ·

فان الروح الدينية عراها ضعف شديد خلال عشرات السنين أو مئات السنين التى اضمحلت فيها الامة الاسلامية الكبرى وسقطت بقضها وقضيضها فى براثن الغزو الاجنبى المنساب من كل ناحية ·

ثم ان القصور الذى غلب على ألوان الثقافة الاسلامية جعل كفتها تطيش أمام فنون التقدم العقلى المقبل مع الحضارات المادية الجديدة ···

ومن ثم فان أعدادا من الناس قلت أو كثرت استهواها هذا المذهب الجديد ، ولم تر حرجا ــ ان لم تدخل فيه ــ أن توالية وتنحاز الى جانبه ·

وهكذا تحول الوجود الروسى الى دعوة فعالة بعيدة الاثر للشيوعية العالمية،وأصبح الاسلام يواجه خطرين لا خطرا واحدا·

خطر الزحف الاحمر الجديد الذى ان تمكن دمر الاسلام كله أصولا وفروعا ·

وخطر الصهيونية والاستعمار اللذين حكما علينا بالاعدام ، وشرعا فى التنفيذ لولا بعض العقبات الطارئة ··· !!

على ان ازدواج الخطر يفزع الجبناء وحدهم ٠

أما المؤمنون بالله المتوكلون عليه فان مضاعفة الخطر تزيدهم اعتصاما بالله وجهادا فى سبيله ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1] .

ونحن نهيب بالمسلمين حيث كانوا أن يستميتوا فى حماية دينهم وبلادهم ، وأن يذودوا الشيوعية والصهيونية والصليبية عن تراثهم المهدد ، وأن يتواصوا خلفا عن سلف بأداء هذا الواجب ٠

فاما عاشوا سعداء ، واما ماتوا شهداء ٠٠٠

ان الغرب يريد بعد سحق الشيوعية أن يفرض علينا نفسه وما يدين ٠

وان الشيوعية تريد هى الاخرى بعد سحق الغرب ان تفرض علينا نفسها وكفرها ٠

ومن أشنع الجرائم أن يشعر مسلم بالتبعية لهؤلاء أو أولئك٠

ان الاسلام نمط فى الحياة متميز بعقائده وشرائعه وفضائله٠٠

ونحن مستعدون أن نعلم الجاهلين بالاسلام ، ومستعدون كذلك لمقاومة الجاحدين المرتدين ٠

وفى جو الاسلام الصحيح يستحيل أن تجد الشيوعية مجالا تنتشر فيه بل حيث تسود العدالة الاجتماعية قلما تلقى الشيوعية لها مكانا ٠

وقد بحت أصوات الدعاة الى الشيوعية فى انجلترا وغيرها من البلاد المماثلة ، فما انقاد لهم من يؤبه له ٠٠٠

---

(١) سورة آل عمران : ١٧٣ ٠

ولذلك نقول فى يقين : انه حيث يوجد الاسلام فقها وتطبيقا فهيهات أن تجد الشيوعية موضع قدم لها فى بلاده ٠

لانه عقيدة يدعمها العقل ، وشريعة ينسجها العدل ٠
وفى ظلاله يسود الامن والشبع وتنمو الحريات والحقوق ٠
وقد كانت الشيوعية تحارب بعنف أيام العهد الملكى السابق٠
فهل كانت مخاصمتها لوجه الله وحماية الاسلام ؟ كلا ٠٠٠

لقد حوربت حماية لسرقات الملوك ومظالمهم ، وتمشيا مع سياسة الغرب الذى كان يناوئها يومئذ ٠

أما الاسلام نفسه فان دماءه كانت تنزف تحت وطأة الاستعمار الداخلى على سواء ٠

ومن الخطأ تصور أن الاسلام يحارب الشيوعيين بالسجن ، ويطارد الشيوعية بعصا القانون ، تاركا الدنيا تموج بالتفاوت الجائر والمكاسب الحرام !!

هذا تصور أحمق ٠

وقد أشبعنا الموضوع بحثا وعرضا فى كتبنا التى ظهرت من ربع قرن على عهد الملكية نفسها ٠٠٠

وهدفنا الاوحد أن يقوم مجتمع اسلامى يستند الى كتاب الله وسنة رسوله ٠ ويستمد حصانته ووجاهته من العافية التى يقدمها للناس فى أرواحهم وأبدانهم ٠

لكن الشيوعية تريد بناء كيان لها داخل البلاد العربية والاسلامية ، وهى تستغل ـ كما أتينا ـ حاجة العرب والمسلمين الى عونها السياسى والعسكرى كى تصنع الاسس لهذا البناء ٠

ولنعترف بأن هناك شيوعيين عربا يعملون ـ مخلصين أو أجراء لتحقيق هذه الغاية ٠

ولنعترف أيضا بأن من الجنون هزم اسرائيل ومن وراءها بغير السلاح الروسى ٠

والا فمن أين نجىء به ؟

وتحت ضغط هذه الظروف ترك للشيوعيين أن يتحركوا ٠

ولكن ـ والحديث هنا عن الجمهورية العربية المتحدة ـ بعد اجراء تغييرات اقتصادية تجعل دعايتهم ضعيفة الاثر فى نظر رجال الدولة أو تبقى البلاد مربوطة بالاسلام المشوه المنقوص الذى تمخض عنه الغزو الفكرى الحديث ٠

وشرحا لذلك كله يقول الكاتب المعروف محمد حسنين هيكل :

« قد آن الوقت لكى ينظر المجتمع المصرى الى الشيوعية والشيوعيين نظرة عادية وأن يستمع اليهم اذا أراد كما يستمع لاى فكر يعرض نفسه بغير حساسية خاصة وبغير تشاؤم وبغير تطير !!

لقد فات ـ فى ظنى ـ الوقت الذى كان المجتمع المصرى فيه لا يملك بازاء الشيوعية والشيوعيين الا الوسائل العسكرية يردهم بها ويرميهم وراء قضبان السجون ٠

ولقد تجاوز المجتمع المصرى ـ يقينا ـ هذه المرحلة ووصل فى تجربته الذاتية ونضجه السياسى الى الحد الذى يجعله قادرا على مناقشة كل فكر قادرا على فهم العقائد وفرزها قادرا على أن يقبل ما يريد ويرفض ـ أو يلفظ ـ ما لا يريد وعيا واقتناعا فى الحالين!

وفى المجتمعات التى بلغت سن الرشد بل فى تلك التى تتمسك بالنظام الرأسمالى نراهم لا يواجهون الشيوعية والشيوعيون بالسجن والقمع لكنهم يتركونهم فى بحر المجتمع الواسع وعلاقاته المتشابكة وظروفه التاريخية كلمة بين الكلمات ورأيا وسط الآراء ٠

وفى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ـ مثلا ـ أحزاب شيوعية يسمح القانون بوجودها دون اعتراض ويتركها المجتمع تؤدى دورها بلا خشية ولا خوف يستوجبان ملاحقة الشرطة أو تدخلها تلك علامة من علامات النضج وهى أيضا من علامات الديمقراطية ٠ وأقول على الفور اننى لا أرى للشيوعية أو للشيوعيين مستقبلا فى مصر ولا فى العالم العربى ـ الكلام لايزال

للاستاذ محمد حسنين هيكل ـ ولست أقول بذلك لمجرد خلافى مع الشيوعية والشيوعيين وانما أقول به نتيجة لنظرة ـ أعتقد سلامتها ـ الى الواقع العربى كله والى مسيرته التاريخية من الماضى الى المستقبل ٠

لكن ما أراه فى الشيوعية والشيوعيين ومستقبلهم شىء ومقاومتهم بالشرطة وبالسجون شىء آخر يختلف عنه تماما ٠

وليس معنى ذلك أننى اليوم أطالب للشيوعية والشيوعيين بحزب فى مصر تمثلا بما يحدث فى الولايات المتحدة الامريكية وفى بريطانيا وانما الذى أقول به وأعلنه محددا وواضحا هو أنه لم تعد هناك ضرورة ولا قيمة لاى اجراء تقوم به الشرطة تجاه الشيوعية والشيوعيين ٠ أعنى أنه قد جاء الوقت فى ظنى لكى نتركهم يقولون ما عندهم وليستمع المجتمع بقدر ما يريد وليرفض وليلفظ كل ما يجده متعارضا مع ارادته وفوق ذلك فانه ما زالت هناك حالات يتحتم فيها على القانون ـ وعلى الشرطة اذا اقتضى الامر ـ ضرب الشيوعية والشيوعيين ـ وذلك اذا ما أقدموا على عمل يتعارض مع المبادىء الاساسية التى أعلنها النضال الوطنى ميثاقا له ٠

من ذلك مثلا ان تحاول الشيوعية والشيوعيون تكوين حزب سياسى علنى أو سرى فى مصر ٠ فان ذلك مخالف لاجماع الارادة الوطنية الحرة ٠

على أن العمل السياسى فى المرحلة الحاضرة يكون كله تحت قيادة تحالف قوى الشعب العاملة وداخل منظمتها القائدة وحدها وهى الاتحاد الاشتراكى العربى ٠

مثل هذه الحالة خروج على الميثاق وعلى الدستور ، وبالتالى يحق بل لا بد للقانون أن يتدخل وأن يضرب ٠

ومن ذلك ـ أيضا ـ أن تحاول الشيوعية والشيوعيون أن يمسوا الدين رسالة وجوهرا ، فان ذلك مخالف للعقيدة الانسانية والاساسية الاولى التى يؤمن بها مجتمعنا ، ذلك المجتمع الذى

يقدس أديانه ويتمسك ـ قبل أى شيء ـ بقيمها الروحية ويحميها بكل قوانينه بل يفتديها بما هو أقوى من القانون وأحكامه » ٠

❀ ❀ ❀

وهذا الكلام دفاع ماهر عن ترك الدعاية الشيوعية تنطلق فى جونا وتعرض نفسها كيف تشاء ٠ لكنه كلام كثير الثغرات أمام التأمل العادى ٠

والرد عليه ميسور لكل بصير بطبيعة الشيوعية وطبيعة الامة الاسلامية فى هذه الحقبة من تاريخها ٠

فالزعم بأن الشيوعية تنفك عن الالحاد كالزعم بأن الرأسمالية تنفك عن حـــرية التملك ، وبأن الاشـــتراكية تنفك عن تأميم المرافق العامة ٠

فلا المذهب الشيوعى من الناحية النظرية يقوم على ايمان ما ٠

ولا هو من الناحية التطبيقية فى بلاد الله كلها احترم ايمانا ما٠

ولما كانت الدولة هى المشرفة على التعليم فى روسيا وغيرها ، فان تنشئة أجيال تجحد الله كل الجحد جزء من عمل الدولة ٠٠٠ !!

نعم قد تحترم أيام الآحاد لتكون عطلة وراحة ، وقد تحترم بعض الكنائس لتكون متاحف أو مثابة يلقى فيها العجزة وسقط المتاع فى المجتمع ٠٠ !!

أما أن يسمح للدين بأن يكون عقيدة ايجابية تمحو وتثبت فهذا مستحيل فى ظل النظام الشيوعى ٠٠٠

لقد تعلمت الشيوعية من تجاربها الطويلة مع الدين أن تقوم بحركة التفاف حول مواريثه ، وأتباعه يختنقون داخلهـــا حتى تدركهم الوفاة الطبيعية ٠٠٠ !!

ومن ثم ربما مكر بعض الشيوعيين فعرضوا من الشـــيوعية جانبها الاقتصادى ٠ وسكتوا ٠ دون أن ينكروا جانبها الالحادى ٠

لكن هذا المكر قد يروج فى مجتمع هندوكى يقدس البقر ، وليست له تعليمات سماوية ترسم له وجهته ، وتشرح له : كيف يحيا ، وكيف يتعامل ؟

وقد أفلح الاستعمار الغربى فى خلق أجيال تجهل دينها ٠

لكننا لا ننجرف مع هذا الجهل وسنبقى على النهج المشرق الذى أفدناه من ثقافتنا الاسلامية الصحيحة نقرر ان الاسلام ايمـــان ونظام أو ــ بتعبير المحدثين ــ دين ودولة ٠

وقــد شرحنا فى عشرات الكتب التى ألفناها معالم المجتمع المسلم وأركان الدولة التى تقوم عليه ٠

وواضح أن هناك تعارضا تاما ، وتناقضا ممتدا بين الشيوعية والاسلام على أن الشيوعيين لا ينقصهم الدهاء ، فقد انطلقـــوا خفافا الى أهدافهم دون أن يجمعهـــم حـــزب معلن ، ودون أن يصطدموا بالدين اصطداما صارخا واتجهوا الى وسائل الاعـلام يطوعونها لبلوغ مآربهم ، فاذا الكتب والصحف والصور والروايات التمثيلية والتعليقات الخاصة والعامة تملأ الجو العـــربى بهـذا اللون الداكن ٠

الله ليســـت له حقـوق ترعى ٠ فلا الزام بالصلاة والصيام والزكاة والحج ٠٠٠ !! ٠

والروح واليوم الآخر بقايا ماض يجب أن تزول ، فليسحب ذيل النسيان على هذه الامور ٠٠٠ !! ٠

التفكير المادى البحت فى تصور الاشياء والحكم عليهـا أكمل ما بدأه الاستعمار الغربى من طى فضائل الاسلام وشرائعه وحدوده واستعاض عن ذلك كله بمفاهيم مستوردة جعلت المنكر معـروفا والمعروف منكرا !!

وصوت الاسلام يسمع من أناس مهزولى الهمم ، مشلولى الفكر، كأنما جيء بهم لتنهزم على أيديهم معالم الفطرة وشعب الايمان ٠

ان عوامل التعرية ـ كما يقول الجغرافيون ـ تنحت الدين نحتا فى هذا الجو وتجعل الاجيال الجديدة تنشأ مبتوتة العلائق بالدين معزولة القلب عن تراثها ، سيئة الظن بماضيها الاسلامى كله ٠

ومن حقنا أن ننتصب لمقاومة هذا الباطل ، وكسر غروره ، وكشف أصحابه ، وحماية العرب والمسلمين من غوائله ٠

ان الاهرام ـ كبرى الصحف فى القاهرة ـ ترى على لسان محررها أن ينظر المجتمع المصرى الى الشيوعية والشيوعيين نظرة عادية ، وأن يستمع اليهم ـ اذا أراد ـ كما يستمع لاى فكر يعرض نفسه ٠

ونحن نرى ضرورة كشف القناع عن هذا الفكر الخادع ، وبيان الزيف فى دعاواه العريضة ، ومبلغ الخطر فى تركه يتسرب هنا وهناك ٠

فليست الشيوعية نظرة اقتصادية تقاوم باصلاح اقتصادى ٠٠

ان الشيوعية مذهب فى الحياة يغير كل شىء ويقيم عالما جديدا على أنقاض عالم بائد ٠

ومن أبجدياته صرف الناس عن تعاليم الله كلها ٠ ما كان منها قيما روحية ـ بتعبير العصر ـ وما كان منها تفصيلا للمعاملات والنظم والقوانين المختلفة ٠

وما أكثر قوانين الاسلام وأرحب دائرتها ٠

اننا نقدر مساعدات روسيا لنا ٠

بيد أن يدنا فى هذا الموضوع ليست السفلى ، فالامر يقوم على تبادل المصالح ونحن ندفع ثمن كل عون يقدم لنا وفى الوقت نفسه نأبى أن تكون بلادنا قاعدة لضرب الشعب الروسى ٠

وكل جميل يسدى الينا فنحن نعرف حقه ٠

ونحن نعرف أن الشعب الروسى تلقى فى الحرب الماضية عونا هائلا من الغرب ، وأن الغرب لم يكلفه بازاء ذلك أن يترك مبادئه ولا أرسل رجاله لصرف الروس عن مذهبهم !!

ومن ثم فكل محاولة لنشر الشيوعية بيننا يجب أن تمنع باباء ظاهر ورفض شديد ٠

انني أخط هذه السطور وأنا أقرأ في الصحف أخبار المولدات الكهربائية القادمة للسد العالى وأخبار طائرات « الميج » السورية وهى ترد عدوان اسرائيل وتغرق زوارقهم فى بحيرة « الحولة » وتواجه الاسلحة الصليبية التى يحملها اليهود ٠

واننى لمقدر قيمة السياسة التى ربطتنا بالروس فى المجالين السياسى والعسكرى ٠

وماذا نصنع بازاء الضغائن الخسيسة التى تكنها لنا الدول المسيحية الكبرى ٠

ومع هذا كله فلست الذى يبدل استعمارا باستعمار ٠٠٠

ومن المستحيل أن أفقد ذاتى وتاريخى ورسالتى وأنا أستعين بالسلاح الشيوعى لردع عدوى ٠

وقد أشعر بالحزن العميق لوضعنا المحرج نحن المسلمين !!

ان تخلفنا العلمى والصناعى يخفض الرؤوس ٠

لكن لماذا هذا الاسف المخزى ؟

ان الدنيا انخفاض وارتفاع وتقدم وتقهقر ٠٠٠

وقد هبطنا حينا ، ونوشك أن نأخذ طريقنا مصعدين ٠٠٠

وفى طريق الصعود نريد أن نزداد علما بما لدينا وما لدى غيرنا من مبادىء ٠

ولذلك أرى الحاجة ماسة لالقاء ضوء قـــوى على الشيوعية العالمية التى شاءت الاقدار أن نحتاج الى دولها والتى طلب الينا ألا نتجهم لمبادئها وهى تسير بيننا ٠٠٠

وسنرى أن الذين يطلبون منا عدم المبالاة يعملون وفق خطة طويلة الاجل لاجتثاث الاسلام من جذوره ، وجعل شعوبه الكثيفة نهبا للالحاد على اختلاف ألوانه ومذاهبه ٠٠٠

الفصل الثانى

الشيوعية والدين

الالحاد جزء من مفهوم الشيوعية ـ ضرورة نشره مع التفكير الاقتصادى ـ موقف الشيوعيةمن الاسلام والنصرانية ـ مسألة فصل الدين عن الدولة بين الشرق والغرب ـ رأى زعماء الشيوعية فى الدين والاسرة والاخلاق ـ الشيوعية فى مصر ٠

❁ ❁ ❁

يعتقد الشيوعيون أن الحياة الانسانية على ظهر الارض هى الوجود البشرى كله ، وأنه كما جاء الانسان من عدم فهو صائر الى عدم ٠

وأن فترة الاحساس من المهد الى اللحد هى وحدها فترة العمل والجزاء ثم يتحول الكيان الآدمى كله الى ذرات أخرى متلاشيا الى غير عودة ٠

ويتبع هذه العقيدة أنه لا ألوهية بتاتا ، وبالتالى فلا توراة ولا انجيل ولا قرآن وليست هناك تعاليم تصح نسبتها الى السماء٠

ومن ثم فالوحى كله خرافة لا أصل لها !! ٠

والانبياء عصابة من الكذبة !! ٠

ولا مكان فى الفكر الشيوعى بداهة لصور العبادات ، ولا لمعانى الحلال والحرام والفضيلة والرذيلة كما يقررها الدين ٠٠

كلا ٠ ليس لهذا الوجود صاحب ولا من ورائه هدف !! ٠

لقد تخلق تلقائيا ، ومضى الى مستقبله المجهول عشوائى الخطا معدوم الوجهة !!

لكن كيف يقوم المجتمع البشرى وكيف يتعامل أبناؤه ؟

يقول الشيوعيون: لقد نظرنا الى تاريخ العالم من قديم، فوجدنا أنه شقى بانقسام الناس الى ملاك متسلطين وعمال وفلاحين متعبين والخطة المثلى فى هذا العالم الذى لا رب له ، ولا غاية ينتهى اليها أن يحظر مبدأ التملك الفردى !! ٠

فكل شىء فى الحياة يملكه المجتمع العام ، والناس جميعا أجراء فى هذا المجتمع يأكلون بقدر ما يعملون !! ٠

وكما لا يملك أحد الهواء والضياء يجب أن يولد البشر ويحيوا وهم شركاء متساوون فى سائر المرافق لا ميزة لاحد على أحد !! ٠

ولا بأس فى أن يتفاوتوا بعد فى دخولهم المالية ، ودرجاتهم الادبية حسب كدحهم وجهدهم !! ٠

على هذا الاساس وحده قامت الشيوعية الحديثة ، وأنشأت شبكة من القوانين والتقاليد لا تعدو هذا النطاق المادى المحدد !!

والشيوعيون يرون أن هذا التفكير ليس شعارا محليا حسبهم أن يعيشوا فى ظله ، كلا !!

ان هذا التفكير هو الحقيقة الوحيدة التى يجب أن يعيها الاحياء فى المشارق والمغارب خصوصا الطبقات العاملة !! ٠

كفى ماساد العالم من ضلال وظلم فى ماضيه القريب والبعيد!! ٠

يجب أن تندلع الثورة الحمراء حتى تشمل القارات الخمس وتسود مبادئها الحاضر والمستقبل !! ٠

وعلى الدول الشيوعية الكبرى ــ وفى مقدمتها روسيا(١) ــ أن

---

(١) يقول « لينين » نحن لا نعيش فى دولة واحدة بل فى عالم من الدول وان بقاء الجمهورية السوفيتية وبجانبها عدد من الدول الاستعمارية أمر لا يمكن أن يدوم طويلا ، بل لا بد أن ينتهى بتغلب أحد الفريقين على الآخر ٠

والى أن يأتى هذا اليوم لا مفر من وقوع مصادمات غاية فى العنف بين الجمهورية السوفيتية والدول البورجوازية ٠

وقد صرح « ستالين » بما يؤكد هذا المعنى وما يدل على أن الشيوعية لا تطيق بقاء نظام مضاد لها فى هذا العالم ٠

تعد نفسها سياسيا وعسكريا لبلوغ هذا الهدف • فلا يبقى هنالك الا لون الحياة الشيوعية التى محت ما عداها من أفكار أرضية أو سماوية •••

ولم يختلف اثنان فى أن الالحاد جزء من الشيوعية ، كما لم يختلف اثنان فى أن الشيوعية ترفض رفضا باتا أى تنظيم دينى للمجتمع الانسانى •

وانكار الشيوعية للدين يكبر ويصغر بمقدار تدخل الدين فى المجتمع •

فاذا كان الدين يكتفى مثلا بالجانب التعبدى والاخلاقى ، فان الشيوعية ــ مع كفرها به ــ تراه عدوا محدود الخطر •••

أما اذا تدخل فى المعاملات العامة والخاصة واستكثر من الشرائع التى تضبط المجتمع على نحو معين ، وتسوقه الى وجهة بينة ، فان العداوة هنا تمتد وتشتد •

لذلك لا تطيق الشيوعية الاسلام لانه ،مع شبههللاديان الاخرى فى الاعتراف بالالوهية واحترام الوحى ، يمتاز بهيمنته على أزمة الحياة النفسية والاجتماعية ، ومزجه التام بين أحوال القلب وأحوال الدولة •

فالشرك بالله كفر •

والحكم بغير ما أنزل كفر •

وجحد الصلوات المكتوبة كفر •

ورفض نظام المواريث المقسمة فى القرآن كفر ••• الخ •

وقديما قاتلت الدولة الاسلامية فى جبهة واحدة صنفين من الناس •

أتباع الانبياء الكذبة الذين زعموا أن بعد محمد نبوة •

وما نعى الزكاة الذين صدقوا ببعض تعاليم الدين ونكلوا عن بعضها الآخر •

لقد عدهم المسلمون مرتدين جميعا ، وخارجين على الاسلام أصلا وفرعا ·

ذلك أن الاسلام يمزج مزجا تاما بين ما نسميه فى عصرنا « قيما روحية » وبين أركان الشريعة وفروعها المتشعبة فى المجتمع تشعب الجهاز الدورى فى الجسم الانسانى ·

أيا ما كان الامر فقد تواترت التصريحات على أفواه زعماء الشيوعية كلهم أن الدين لا مكان له فى العالم الذى يبنونه ، وأن الاولين اذا كانوا من الغباء بحيث قبلوه فان التقدم العلمى جدير فى هذا العصر بأن يأتى عليه من القواعد ··· !!

فالدين يحارب أولا لانه خرافة تستحق الزوال !! ·

ثم لانه يشكل المجتمع بطريقة فاسدة ، ويضع له قوانين وأعرافا يرفضها الفكر الشيوعى !! ·

ودين كالاسلام يعد النظم المالية والسياسية جزءا من كيانه يستحيل أن يتلاقى مع الشيوعية فى ميدان الحياة العملية استحالة التقائه بها فى ميدان العقيدة القلبية ·

وقد واجهت الشيوعية يوم ظهرت فى روسيا أكثر من مائة مليون مسيحى وقريبا من خمسين مليون مسلم وكانت الحالة الدينية بين الفريقين معا لا تسر ·

فالمسلمون ــ كما سنشرح حالتهم فى الفصل التالى ــ كانوا مستذلين مغلوبين على أمرهم معزولين عن الكتلة الاسلامية الكبرى ، دائخين تحت استبداد القياصرة ···

وأما المسيحيون فمع ارتباطهم بكنائسهم فان النصرانية كانت تترنح أمام التقدم العلمى والافكار الحديثة ·

وزاد الطين بلة أن بعض رجال الدين الكبار أثرت عنه مسالك شائنة مما أوهى مكانة الدين نفسه وجرأ خصومه على النيل منه ·

ومع انفجار الثورة الحمراء أخذ الثوار يكيلون ضرباتهم للدين ، ويهدون سلطانه الموروث ·

ولكن هذا الصراع المر كان ولا يزال كثير المغـــارم متقلب المراحل ، ومن الواجب أن تتأمل أدواره منذ بدأ الى يومنا هذا ٠

يقول الشيخ عمر السكندرى رحمه الله :

فى عهد الحكومة القيصرية كان القيصر منذ حكم بطـــرس الاكبر هو الرئيس الاعلى للكنيســـة الروسية التى هى فرع من الكنيسة الارثوذكسية اليونانية ٠ فكانت الكنيسة بما لها من كبير النفوذ بين الشعب اداة قوية فى يده ، يغدق عليها فينال منهـــا نظير ذلك الولاء والمعاونة الصادقة ٠

لذلك كله كان من الطبيعى أن يوجس الشيوعيون خيفة من الكنيسة وأن يجعلوها فى مقدمة الاهداف التى يصوبون اليهـــا ضرباتهم ٠ فبادروا باصدار مرسوم ٢٣ يناير سنة ١٩١٨ المشهور معلنا فصل الكنيسة عن الحكومة وفصل المدارس عن الكنيسة ٠

وأدمجوا ذلك فى دستور سنة ١٩١٨ وفى تعـديله الصـــادر عام ١٩٢٥ بالنص الآتى :

« ضمانا لحرية الضمير لدى العمال تعد الكنيسة منفصلة عن الحكومة والمدارس منفصلة عن الكنيسة ٠ ولكن حرية الدعـاية الدينية واللادينية مكفولة للجميع » ٠

وفى تعديل سنة ١٩١٩ للدستور أبدلت عبارة « حرية الدعاية الدينية واللادينية » بالنص الآتى : « حرية اقامة الشعائر الدينية وحرية الدعاية اللادينية مكفولتان لجميع المواطنين » ٠

وقد احتفظ بمثل هذا النص فى دستور « ستالين » لســـنة ١٩٣٦ الذى لا يزال قائما ٠

والعبارة بالضبط كما جاءت فى المادة ١٢٤ من الدستور الحالى هى « لكى يستمتع المواطنون بحرية الضمير تفصل الكنيسة فى الاتحاد السوفيتى عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة ويكفل لجميع المواطنين حرية العبادة الدينية كما تكفل لهـــم حـرية الدعوة ضد الدين » ٠

وهذه الصياغة الماكرة تظهر لاول وهلة وكأنهـــا تنازل من الشيوعية عن بعض مبادئها ، بل قد تحسب خطوة الى الحـــرية بمعناها المألوف فى أقطار الغرب ٠

والامر غير ذلك يقينا ، فان الذى أذنت به الشيوعية بقـــايا تدين يتيح للانسان أن يدخل الكنيسة أو المسجد أحيانا ولا مجال لتدين بعد ذلك ٠٠ !!

على أن هذا المرء المتدين يعتبر شخصا متخلفا ، أو منحرفا ، ويستحيل أن يكون له فى الدولة أو الحزب مكان ٠٠ !!

كما أن هذا المتدين لا يجوز له بتة أن يعلم ابنه ايمـــانا أو صلاة فذلك محظور ٠

أجل ذلك محظور ، مع أن وسائل الاعلام ــ وهى جميعـا فى يد الدولة ــ تعمل عملا متواصلا على سحق الدين ، واجتثـــاث جذوره ، وذلك يقع بعد التخرج من مدرسة غرست الالحاد فى دمه ، وجرأته على احتقار كل ما يتصل بالسماء ٠٠٠

وتنص المـــادة ٥٨ من قانون الاتحاد السوفيتى على أمـــور ذات بال ٠

ان هذه المادة وضعت جميع المتعبدين تحت باب « أعـــداء الثورة » وأباحت لرجال الشرطة فى شتى الظروف السياسية أن يقتحموا بيوت هؤلاء المتعبدين ، ويتولوا أمورهـــم بطريقتهـم الخاصة ٠

وتنص المادة ١٢٢ من قانون الجنايات المذكور على تحـــريم تلقين الاطفال الاحداث العقائد الدينية سواء فى مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة ٠ وجعلت كـــل مخالفة فى هذا الشأن جريمة تستوجب الحبس الاصلاحى مـــع الاشغال مدة لا تزيد عن سنة ٠

ويقول الاستاذ محمد سامى عاشور :

ان هذا الاضطهاد قائم رغم ما جاء فى الدستور السـوفيتى بشأن الحرية الدينية ، لان هدف الشيوعيين الذى لا يحيدون عنه أن يحرموا الدين من أسباب الحياة ، وأن يدعـوه يذبل وينتهى وكأنه مات ميتة طبيعية ·· !!

❁ ❁ ❁

قد يقول قائل : ان الشيوعية لم تصنع أكثر مما صنعته دول أوربا الحديثة التى عزلت الدين عن الدولة وجعلت الكنيسة بعيدة عن المجتمع والسياسة !!

ونحن نسارع الى دحض هذه الشبهة وبيان الحق فى موقف الدول الغربية عموما من المسيحية ·

ان هذه الدول تخلصت من سلطان رجال الدين ومن كهنوت الكنيسة المفعم بالمآسى التاريخية ·

أما الكنيسة نفسها ، أما المسيحية ذاتها ، فان هيمنتها الروحية والاجتماعية على اوربا وسياستها لا ينكرها الا أحمق ! بل أستطيع القول : ان المسيحية الآن فى عصرها الذهبى ·· !!

لقد احتلت الدول الغربية أقطارا فيحاء من الارض فبنت فيها ألوف الكنائس ، ونصرت ألوفا مؤلفة من الخلق ، وأقامت حكومات شديدة التعصب للنصرانية فى افريقية وآسيا ، حكومات أثخنت الاسلام بالجراح ، وأرهقته من طول الكيد ···

ان دول الغرب لم تتنكر فى سياستها الداخلية والخـارجية للديانة المسيحية الا فى أمور لا محل لشرحها هنا ·

وأمامى الآن تحقيق (١) صحافى كبير كتبه الاستاذ على حمدى الجمال عن أحوال هولندا الداخلية نقتطف منه هذه المعلومات ·

---

(١) الاهرام ١٩٦٦/٧/١٧ ·

قال : فى مؤسسة العمل سألت دكتور « بلس » السكرتير العام للمؤسسة عن النظام المتبع فى وضع السياسة العمالية فقال لى :

هناك اتحاد للعمال وآخر لاصحاب الاعمال وكل منهما مقسم الى ثلاثة أقسام :

أحدهما يضم الكاثوليك ـ والثانى البروتستانت ـ والثالث الذين لا يؤمنون بالاعتراف أمام الكاهن ·· !!

وهما ممثلان أمام المجلس الاقتصادى الذى يضم الخبراء من الاساتذة ··· الخ ·

قال الاستاذ الجمال : وسألت هل هناك مشروع تنفذونه لتنظيم الاسرة ومواجهة الزيادة فى عدد السكان ؟

وكان الجواب : نعم سوف نشجع بكل الوسائل تنظيم الاسرة ، ولكنا لم نبدأ هذا المشروع بعد !!

والعقبة التى تواجهنا هى أننا نمنح العاملين علاوات حسب عدد المواليد ولا ندرى كيف نواجه المشكلة (١) ·

كذلك فان الكاثوليك يعترضون على تحديد النسل ·

والدين هنا ـ كما أظنك قد لمست ـ له أثر كبير على تصرفاتنا·

قال الاستاذ الجمال : وهذه حقيقة لا جدال فيها ··· !!

ان الاديان فى هولندا بل فى أوربا كلها لها وضع غريب يحدد كل مجالات الحياة فيها وعلى الاخص السياسية ، فالاحزاب تقوم على أساس المذهب الدينى · بل ان اللون الدينى رجح على وحدة المهنة فهناك حزب الكاثوليك ، وحزب البروتستانت ، وحزب الاحرار ، والحزب الشيوعى ، بين أصحاب الحرفة الواحدة ···

---

(١) أى انهم لم يصنعوا شيئا قط لتحديد النسل الذى حرص الصحافى المصرى على الانتفاع برأيهم فيه ··· ثم عجز للاسف ·· !! وقد جنت صحافتنا أياما طويلة بالدعوة الى تحديد النسل ، وأسفت فى مهاجمة الذين سكتوا أو اعترضوا ، وذلك سر سؤال الصحفى المصرى للهولنديين ، وقد رأيت بم أجيب ؟؟

قال : ولم أسع الى مقابلة أحد من أحزاب اليمين فآراؤهم معروفة ، وتزمتهم ليس موضع نقاش ، وتفكيرهم لا يقبل جدلا !!

قال : وشجعنى على عدم الالتقاء بهؤلاء قصة سمعتها من شاب هولندى رواها لى فى معرض الحديث عن الاحزاب السياسية ·

فانه عندما كانت اندونيسيا تكافح لنيل استقلالها وكانت الاحزاب المختلفة تتنافس فى ابقاء الاستعمار الهولندى بها وقف أحد النواب فى البرلمان وقد أمسك بيده نسخة من الانجيل وقال : ان فى هذا الكتاب المقدس فقرات تثبت حقنا فى احتلال اندونيسيا·

قال الشاب الهولندى المتحرر : ولم يقف نائب واحد من أى حزب ليعترض على هذا السخف !! (١) ·

نقول : ونحن نعرف مدى تعصب الغربيين ، وطالما نددنا به وحذرنا منه ·

ولكن سياسة وأد الاسلام التى اختطها الانكليز فى هذا الوادى البائس ، جعلت لفيفا كثيفا من حملة الاقلام يناوئنا باسم انفصال الدين عن الدولة ·

والدين عندنا هو الاسلام ··

وباسم ابعاد الدين عن الدولة بدأت حملة خطيرة لتزييف التاريخ فى الماضى والحاضر ، ودحرجة الحقائق المقررة ···

فقيام اسرائيل على أساس دينى ، وفى أحضان التعصب المسيحى غير صحيح !! ·

الصحيح أنه استعمار فقط !! لا صلة له بيهودية ولا نصرانية ··· !!

والحروب الصليبية التى كان الدين نافخ نارها ، ومجرى دمائها ليست حروبا دينية ··· !! ·

---

(١) الدين بأسوأ معانيه يكمن وراء سياسة الغرب بازاء الاسلام والمسلمين ، ذلك فى الوقت الذى تبتعد فيه السياسة العربية عن الدين ، لانها سياسة عصرية ·

الصحيح أنها حروب استعمارية فقط ، لا صلة للصليب بها ! !

والهدف من هذا الكذب ؟

ابعاد الدين أى الاسلام وحده عن الميدان ... !!

وابعـاد الاسـلام عن ميادين الحياة كلها هدف يتضـافر عليه الرأسماليون الغربيون والشيوعيون الشرقيون على سواء .

ونخلص من هذا الاستطراد الى أن الحالة الدينية فى ظـل الشيوعية لا تشبه أبدا وضع الدين فى الغرب . فان المجتمـع الشيوعى يقوم ظاهرا وباطنا على الكفر المطلق .

وهو قد يأذن أن يهمس رجل بينه وبين نفسه أو بينه وبين صاحب له باسم الله وقد يتركهما ـ مع ازرائه عليهما ـ يدخلان بيتا لله .

أما أن يكون لله فى المجتمع نفسه اسم أو أمر أو نهى فذاك مستحيل .

والشيوعية لم تسمح بهذا القدر الحقير من التدين الفردى الا بعد عراك هائل .

أما موقفها من الدين نفسه ابتداء فهو الانكار والخصام .

يقـول « كارل ماركس » فى « المانفستو » الذى أودع فيه مبادئه وجادل فيه خصومه « أما ما وجه للشيوعية من تهم دينية وفلسفية وأخلاقية فلا يستحق بحثا عميقا ... !! »

عجبا ان الشيوعية متهمة بانكار الله والرسل والحلال والحرام والبعث والجزاء فهل هذه القضايا كلها لا تستحق بحثا عميقا ؟

ذاك ما يراه هذا « الكارل ماركس » !!

ما الذى يستحق اذن عمق البحث ؟ لقمة الخبز فقط .. ؟

أكل ما يتصل بالانسانية الرفيعة نلقاه بقلة الاكتراث وهـز الرأس ولا يشد انتباهنا فقط الا رغيف الخبز ؟؟

ثم يمضى ماركس قائلا « هل يخفى على ذى بصيرة أن آراء الناس ومداركهم ومشاعرهم كلها تتغير بتغير أحوالهم المادية وعلاقاتهم الاجتماعية ونظام معيشتهم ؟ »

نقول : هذا باطل ٠

فان الانسان قد يتغير تقديره لبعض الامور أو احساسه بها لتفاوت ظروفه النفسية أو الفكرية أو البدنية ٠

أما أن جميع الحقائق تتبع ـ تصورا وتصديقا ـ الاحوال الاقتصادية فكلام فارغ ٠٠ !!

فكم من حقائق صلبة لا يغيرها اليسر والعسر ، ولا الذكاء والغباء ؟ ٠

ولكن ماركس يمضى فى لغوه فيقول فى جزم :

« وهل من شيء أكثر وضوحا فى تاريخ تطور الافكار من أن الانتاج الفكرى يتغير فى نوعه بنسبة تغير الانتاج المادى ؟

ان الآراء التى سادت فى كل عصر كانت دائما آراء الطبقة الحاكمة ٠ فعندما كان العالم القديم يلفظ أنفاسه الاخيرة أخذت الديانات القديمة تنهار أمام المسيحية ٠

وبمثل ذلك انهارت الآراء المسيحية أمام حرية الفكر وحرية الضمير فى القرن الثامن عشر عندما أسفرت المعركة الاخيرة بين المجتمع الاقطاعى والبورجوازية الثائرة عن القضاء على العهد الاقطاعى » ٠

سيقال ردا على ذلك : ان الآراء الدينية والاخلاق والفلسفة قد تغيرت كلها بلا شك خلال التطور التاريخى ٠ ولكن لا يزال توجد ديانة وأخلاق وفلسفة وعلوم سياسية وقانون وهناك فوق ذلك عناصر أزلية للحقيقة مشتركة بين جميع أطوار المجتمع كالحرية والعدالة وغيرها ، ولكن الشيوعية تريد القضاء على الدين والاخلاق بدلا من اقامتهما جميعا على أساس جديد فهى لذلك تخالف جميع السنن التاريخية السابقة ٠

ويسمع ماركس هذا الاعتراض الصادق ثم يراوغ بل يفر من الاجابة عليه ويقول فى صفاقة واستهزاء :

« فما قيمة هذه الاعتراضات ؟

ان تاريخ المجتمع فى جميع أطواره السابقة انما هو تاريخ تطور النضال الطائفى ، ذلك النضال الذى اتخذ أشكالا مختلفة فى العصور الاولى ، ولكن مهما اختلفت هذه الاشكال فان حقيقة واحدة كانت عاملا مشتركا بين جميع العصور التى ظهرت فيها · هى استغلال جزء من المجتمع للجزء الآخر ·

فلا عجب اذا كان الوعى الاجتماعى فى العصور الماضية رغم تعدد صوره ومظاهره قد سار دائما داخل نطاق مشترك وعلى أساس قضايا معينة لا يمكن زوالها جملة الا بزوال النظام الطائفى نهائيا » ·

ويستطرد كارل ماركس فيقول :

« ان الثورة الشيوعية هى أنجع استئصال لعلاقات الملكية التقليدية فلا عجب اذا كان تطورها يقتضى قطع كل صلة بالآراء التقليدية » ·

ويقول الشيخ عمر السكندرى ردا على هذا اللغو : « لقد بدأ « المانفستو » المحاجة فى هذا الاعتراض كما رأينا بقوله انه « لا يستحق بحثا عميقا » فهل انكار الاديان لا يستحق بحثا عميقا ؟

ان ردنا على ذلك أن هذا الكلام هو الذى لايستحق بحثا عميقا·

أين برهانكم المادى معشر الشيوعيين على أن لا حقيقة للاديان، وأنها جميعا من وضع البشر ؟

لقد قيل عنكم ــ بنص كلامكم ــ انكم تريدون القضاء على الدين والاخلاق · فكان جوابكم على ذلك « وما قيمة هذه الاعتراضات » وتعودون الى الكلام عن تطور النضال الطائفى واستغلال جزء من المجتمع للجزء الآخر !! ·

ان هذا فرار مكشوف من مواجهة الحق والسير معه » ٠

والحقيقة أن كفر الشيوعيين بالله ليس الا ترديدا لزيغ بعض القدماء الذين قالوا : ان هى الا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا الا الدهر ٠

والشيوعيون لم يأتوا بدليل جديد لهذا الباطل القديم ٠

ولم يثبت قط فى معامل الكيماويين ولا فى مراصد الفلكيين ان الدين خرافة ٠

بل الراسخون فى العلوم الحديثة يؤكدون انبثاق العالم عن رب بديع حكيم مقتدر قيوم ٠

والجديد الذى وسع به الشيوعيون ميدان الالحاد هو استغلال الاضطراب الاقتصادى لانكار الالوهية ، واستغلال انحراف بعض رجال الدين لانكار الدين نفسه !!

مع أن الاسلام ندد بهذه الآفات وعمل على ازالتها وهو يقيم الدين الحق ٠ وذلك فى قول الله جل شأنه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١).

وشىء آخر ابتدعه الشيوعيون لدعم الالحاد ٠٠٠ وهو اثارة الحقد الطبقى ثم استغلال سلطة الدولة فى فرض الكفر بالسلاح٠

ولو أن الشعوب ملكت أمرها واستمتعت بحـــريتها الطبيعية لارست قواعد الايمان بينها وأحلت الدين أرفع المنازل ٠

والواقع أن الدولة فى النظام الشيوعى تفرض وجودها داخل البيت ، وتجعل صلة المرأة بالرجل ، وصلتهمـــا معا بالاولاد فى اطار الفلسفة المادية السائدة ٠٠

---

(١) سورة التوبة : ٣٤ ٠

ومن الانصاف أن نعترف بأن المدنية الحديثة فى الشـــرق والغرب هونت جريمة الزنا ، ويسرت اللقاء بين الذكر والانثى ، وعدت ذلك استجابة عادية لنداء الغريزة الجنسية الملحاح ..

وفى وسط هذا البحر الموار من الاستباحة العامة قد يختار رجل أنثاه أو تختار أنثى رجلها .. وتولد أسرة ويوجد أولاد .

وربما اصطبغت الاسرة بالطابع الدينى فى الغرب المسيحى .

وربما استطاعت السير وسط الانواء الجنسية سليمـــة أو معطوبة ..

وقد يحدث شيء شبيه بهذا فى العالم الشيوعى فتتكون أسر بادية الترابط تحت ظروف خاصة ..

غير أن الشيوعية ترفض بحسم جو الاسرة الموروث من قديم، والمشاعر التى تمزج بين رب البيت وأولاده وامرأته ..

وقد جاء فى الابجدية الشيوعية لماركس : « حين يقـــول الوالدان : هذا ابنى وتلك ابنتى لا تعنى هذه الكلمات وجـود آصرة أبوية فحسب ، بل توحى بأن للابوين حقا فى تربية أولادهم من وجهة نظرهم كما يريدون ، والاشتراكية تأبى الاقرار بهذا الحق للآباء لان الفرد ليس ملك نفسه ولكنه ملك للجماعة ، بل هو ملك للبشرية كلها ..

ولهذا يجب أن ينتمى الطفل للمجتمع الذى يعيش بين ظهرانيه، والذى جاء الى الحياة بفضله .. »

وكلام ماركس فى سلخ الاولاد عن التأثير المـــادى والادبى للبيت ، وتمكين الدولة من مد رواقها عليهم ، هو جزء من فكرته المطلقة فى فرض الشيوعية على الحاضر والمستقبل ، وتذليل كل عائق أمام هذا الهدف ..

❋ ❋ ❋

والاسرة فى نظر الدين كيان تطرد به مواكب الحياة باسم الله، وعلى هداه ..

انه لا نزاع فى وجود الشهوة لدى الجنسين ، بيد أن لقـــاء الرجل بامرأته ــ وهو اللقاء الوحيد الذى يقبله الدين ــ لا يتم الا بعقد تستحل فيه الفروج بكلمة الله واذنه ...

فاذا تكونت الاسرة على هذا الاساس الفذ ، تعاون أفرادهـا من بعد على طاعة الله وارضائه ، وكان من الطبيعى أن ينشـــأ الاولاد على دين أبويهم ، وأن يقيمـــوا شعـــائر الدين منـــذ نعومة أظفارهم ..

والشيوعية ترفض هذين الامرين معا ، فى قيام الاسرة فى وظيفتها .

لان الالحاد ــ كما يقول لينين فى كتابه عن الدين ــ جزء طبيعى من الاشتراكية ، بل هو شطر لا انفصـــام له عن الاشـــتراكية نظريا وعمليا ..

ويقول ماركس فى أبجدية الشيوعية : « لا غناء فى الوقت الحاضر عن شن أشـــد الحـــرب على تعـــاليم الدين وأوهـــامه وخزعبلاته » !!

ومع انكار وجود الله يفقد نظام الاسرة دعائمه ، ويصـــبح الزنا عملة رائجة ، وتصبح تربية الاولاد مهمة حقيرة وتافهة .

ودعاة الشيوعية الى يومنا هذا حراص أشد الحرص على زلزلة كيان البيت ، وعلى تنمية العـــلاقات الآثمـــة بين الذكـــور والاناث .

وقد لاحظنا فى القاهرة أن الشيوعيين المصريين يعملون بقوة على اشاعة هذا الرجس ، اذ نشرت مجلة الهلال فى ١٩٦٦/١/١ مقالا ضد الزواج طافحا بأوسخ الافكار ..

وقد شاء رئيس التحرير ــ واسمه كامل زهيرى ــ أن يجعـــل هذا المقال صدر مجلته ، وأن يعلن عنه وحده على غلاف العدد .

وهذا العدد من مجلة الهلال عدد ممتاز يتضمن « موســـوعة الجيب الاشتراكية ، من الاشتراكية الخيالية الى الواقع المعاصر ».

وفى هذا المقال عرض لكتاب « سيمون دى بوفوار عن الجنس الثانى » ٠

وسيمون هذه لا توارب ولا تلف فى ذكر أفكارها فهى ترى أن الزواج الذى قررته الاديان شىء سخيف ٠ وأن من حق المـــرأة أن تعاشر من تحب ، واذا كانت متزوجة فلا يسوغ اكراهها على الرضا بشخص واحد ٠٠ واذا كان زوجها يضـــيق بحملها من شخص آخر فان العلم تغلب على هذه المشكلة بحبوب منع الحمل !!!

والمقال مشحون بالدفاع عن الزنا واعطاء الرجل والمـرأة معا الحرية المطلقة فى اشباع الغريزة الجنسية ٠

لاى رجل أن يفترش أى امرأة ما دام الحب التلقائى هـــو الباعث !! ٠

وكذلك يتقرر هذا الحق لاى امرأة !! ٠

وقد طبقت سيمون دى بوفوار هذا الكلام على نفسها فعاشت عشيقة فقط لجان بول سارتر ، لا زوجة ٠

وظاهر أننا أمام مومس موغلة فى الاجرام ٠٠

وظاهر أنه لا يرضى بكلامها السابق الا ديوث أو قواد ٠٠

ومع ذلك الدنس المفضـــوح فان الشيوعيين المصريين رأوا استقدام هذه المومس وعشيقها الى القاهرة كيما يتحدثا الى المثقفين فى الجمهورية العربية المتحدة !!!

ان المهم عند هؤلاء ليس توطيد الجـــانب الاقتصـــادى من الشيوعية العالمية ، بل يجب أن يسير معه وفى ذات الخط توطيد الجانب الاجتماعى ٠

وذلك بدك أسوار الدين ، ومحو معالم العقيدة ، وتمـــزيق شمل الاسرة ، وجعل « العشق » علاقة محترمة تتيح لاصحـــابها اقتحام أعلى الاماكن !! ٠

وبوغتنا بأسرة تحرير الاهرام ، حسنين هيكل ، ولطفى الخولى ولويس عوض يستضيفون العاشقين ٠٠

ثم أخذت أبواق الدعاية تدير الادمغة من شدة الطنين ٠

فاذا الندوات تعقد والمحاضرات تلقى ، والراديو يتحدث والتليفزيون ينشر المشاهد والمحاورات ٠٠

واذا الجامعة الكبيرة ، جامعة القاهرة ، تحشد أساتذة وطلابا للاستماع الى بطل الوجودية الملحدة ، وهو يكذب على الله والحقيقة ٠٠

واذا دار الاهرام تحج اليها السيدات للالتقاء بالمومس الوقاح وهى تناقش وتوجه وتشير ٠٠٠ !!!

ونظرت الى هذه الزوبعة المفتعلة المتعمدة ، والغليان المكتوم يكاد يصدع قلبى !!

وأدركت أن الشيوعية لا تريد أن تفرط فى شىء من تعاليمها مهما كانت طبيعة البيئات التى تحاول أن تتغلغل فيها ٠٠

أو أن الشيوعيين المصريين وهم يحاربون الفقر وتفاوت الفرص كما يزعمون لا ينسون أن يحاربوا الله والشرف والفضائل والعبادات ٠٠

انها جبهة واحدة يقاتلون فيها عدوا مشتركا !! ٠

أترى هؤلاء اليساريين العرب خالفوا اخوانهم الماركسيين الذين ظهروا منذ قرن ؟

كلا ان المشرب واحد ، والسيرة واحدة ، وتلك طبيعة الشيوعية ٠

ونشرت صحيفة « تن بات باو » فى هونغ كونغ فى عددها الصادر فى ١١ أكتوبر الماضى منشورا وجهه الحرس الاحمر فى الصين للمسلمين جاء فيه :

« يا رجال الحرس الاحمر المقاتلين انكم تقومون بعمل حسن ٠ واصلوا عملكم ٠ أنتم مكافحون ضد « البورجوازية والاقطاعيين» الذين مصوا دماءنا وأكلوا لحمنا وعظمنا ، والآن جاء دورنا لامتصاص دمهم وأكل لحمهم » ٠

« يا رجال الحرس الاحمر لا يمكن أن ندع عدوا من أعدائنا يهرب ، وعلينا من الآن فصاعـــدا أن نهاجم أكثر الاعداء تخفيا ــ المسلمين ــ الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصـــينيين تحت قناع الدين المزعوم ·

ويختبىء أولئك المسلمون فى الجوامع وبتوجيه من الاستعماريين

كما تسيطر عليهم الدول الاجنبية ضد بلادنا وشعبنا العظيم وزعيمنا الجزيل الاحترام الرئيس ماو ···

من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الدينى على وجوهكم ، سنطردكم وندمركم ومن اليوم فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الابقار لان الابقار تخدم الشعب يجب أن تأكلوا لحم الخنازير ···

ولا يمكنكم من الآن فصاعدا أن تضيعوا وقتكم فى الصلاة ·

يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التى هى ضد اللغة الصينية ·

ولن يسمح لكم بأن تقرؤوا ما يسمى بالـــكتاب المقـــدس « القرآن » ·

اسمعوا أيها المسلمون ··· دمروا جوامعكم !! حلوا المنظمات الاسلامية ، احرقوا القرآن ···· !

الغوا الحظر الذى وضعتموه على الزواج المشترك ·· كفـوا عن الصلاة الغوا الختان ، أدرسوا أفكار ماو ···

اذا لم تندموا سنطردكم وندمركم يجب أن نسحق جحـــور الجرذان الدينية ، وندمرها معكم ·

فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى ·

فليحيا طويلا طويلا طويلا الرئيس ماو » ·· (١) ·

---

(١) عن مجلة الوعى الاسلامى ·

ان هذه الحملة المسعورة على الاسلام وأهله ليست مستغربة ·

وما ينتظر غير ذلك يوم تستولى الشيوعية على مقاليد الامور·

ولكن الذى ألفت اليه الانظار أن الشيوعية لما دخلت الصين دخلتها بشقيها الاقتصادى والالحادى معا ، فما من سبيل الى فصل أحدهما عن الآخر ··

وعبارة « الزواج المشترك » التى وردت فى بيان الحرس الاحمر هى التعبير الملطف الذى وضعته المدنية الحديثة للزنا ··

فاتصال المرأة بجملة رجال زواج مشترك ، واتصال الرجل بجملة نساء متزوجات أو غير متزوجات كذلك ·

والمطلوب من المسلمين أن يرفعوا الحظر الذى فرضوه على هذا الزواج كى يرضى الحرس الاحمر !! ·

والموضوع كله يتصل بكيان الاسرة من أساسه وبوظيفة الاسرة الاجتماعية ·

وقد رأينا الشيوعيين وأذنابهم فى القاهرة نفسها يتابعون سادتهم فى سياسة هدم الاسرة ·

ما نشرته مجلة الهلال لتلميذة سارتر الاولى ، أيدته ووسعت مجاله جريدة الاهرام ، قبل وبعد استضافتها لسارتر ··

ثم زادته توكيدا بما نشرته من مقالات متتابعة «لبرنارد رسل» الانجليزى اليسارى الملحد ·

ومحنة الفكر الدينى فى مواجهة هذا البلاء تستحق النظر ··

فان الشيوعية فى نقضها للايمان ، وهدمها لآثاره تستعمل الختل والمراوغة حينا وتلجأ الى القوة والابادة حينا آخر ··

وهى لا تنسى أبدا أن الوحى السماوى يجب أن يزول وتزول معالمه على ظهر الارض ··

ومع هذه الغاية المبيتة فان الاستاذ هيكل لم ير حرجا أن يقول اننا سنخاصم الشيوعية اذا هاجمت الدين ·

وفى الوقت الذى كتب فيه هذا الكلام أو بعده بقليل كان يمهد الطريق بقوة ، لضرب الدين فى صميمه ٠

وقد فعل فى هذا السبيل ما لم يفعله أحد ، اذ استقدم سارتر وسيمون ـ ممثلى الالحاد السافر والانحلال العفن ـ ليوجها المجتمع العربى كله بفلسفتهما ٠٠ !!

وأسرة الاهرام ـ وجلها من الشيوعيين ـ اذ تفعل فعلتها هذه تزيح القناع عن غرضها القديم يوم دعت الى ترك الشيوعية تسير ٠٠

وليس هذا النفاق مثار شكوانا ٠

ان مثار الشكوى هو تعجيزنا عن الرد والمقاومة فى ميدان الفكر المفتوح ٠٠

ولو كان صوت الايمان يملك نصف القوى التى يملكها صوت الالحاد لتلاشى الزيغ من بلادنا ٠

لقد اجتمع نفر من رؤساء الجماعات الاسلامية فى المركز العام للشبان المسلمين وتشاكوا بينهم حالة الدين والخلق ، وأبدوا مخاوفهم من أمواج الفسق التى ترش أكناف الحياة عندنا ٠

وكانت وسائل الاعلام يومئذ ترحب فى حرارة هائلة بمقدم الماهرة سيمون دى بوفوار وعشيقها سارتر ٠٠

ولهذا الترحيب دلالته فى هزيمة الشرف ، واستخذاء الاسلام، وانهيار الصفوف المؤمنة ٠٠

وتحدثت فى وفود الجماعات الاسلامية التى تلاقت لمواجهة هذا الموقف ٠٠

وأذكر أنه كان بين الحضور المجاهد الاسلامى اللواء الركن محمود شيت خطاب الوزير العراقى السابق ٠

وانتهى المؤتمر بضرورة تكوين لجنة دائمة بالمركز العام للشبان المسلمين تصد هذا السيل المدمر ٠٠

ولم تمض الا أيام قلائل حتى صدر قرار بحل مجلس ادارة الشبان المسلمين ، وتعيين رئيس جديد للجماعة ٠

وانتهى هذا النشاط المخدور ٠٠ !!

واستقر فى الاذهان أن نقد سارتر وعشيقته مجلبة للسخط والشتات ٠

لماذا ؟ لان مخـــاصمة جـريدة الاهـرام مخـاصمة للاتحاد الاشتراكى !! ٠

وهذه مخاصمة للدولة والشعب جميعا ٠٠ !

وتدحـــرجت الامـور الى أسفل وأسفل فلم تبق للدين ولا للاعراض قداسة بعد هذه الحفاوة الرسمية بالرجل الذى يحتقر الدين ، والمرأة التى تزدرى الزواج ٠٠٠ !

وبلغتنى قصة مؤسفة من صحن الازهر الشريف ٠٠٠

فقد ذهب سارتر وعشيقته ومعهما لويس عـــوض وتوفيق الحكيم لزيارة الجامع الشهير ٠٠

ورأى الطلاب المرأة التى تقود دعوة عالمية للبغاء ، والرجـل الذى يستهزىء بالالوهية ، وينشر الوجودية الملحدة ٠٠

فتغيرت وجوههم وسرى الهمس بينهـــم عن ضرورة اعـلان غضبتهم ٠

ورأى المراقب المسئول هذا التنمر المقلق فصـاح محـــذرا الطلاب : ان لدى أمـــرا من مشيخـة الازهـــر بتمكينهـــم من التجوال فيه ٠٠

ولكن همسات الغضب بدأت تعلو فقال المراقب محـــذرا : انكم بهذا الموقف تعملون على الغاء الازهر ٠٠ !! ٠٠

وحضرت أنا نفسى فى أعقاب هذا الحوار وكان الركب المشئوم قد خرج مسرعا ، وقلت للمراقب : كيف سمحتم لهذا الصـــنف من الناس أن يدخل الجامع الازهر ؟

فقال : أمر المشيخة !!

وأريد هنا أن أنكر بعض التقاليد الدينية فى الزواج وتكوين الاسرة لان مجافاة هذه التقاليد للفطرة كان من الاسباب الاولى لوقوع الآثام وتوهين الصلة بالله ٠

ان الزواج هو الحل الفذ لتفجر الغريزة الجنسية وتطلعهـــا الدائم ٠

وهو الجو الصحو لانشاء أجيال زاكية تعرف ربها وتستقيـم على أمره وتنضبط بوصاياه ٠٠

ومقتضى ذلك أن يتم الزواج بسهولة ، وأن ينزاح من وجهه أى عائق ٠٠

وقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم ، المهر خاتما من حديد ، أو تعليم شىء من القرآن ٠٠

والمجتمع المسلم المقدر لحدود الله يجعل تيسير الزواج كتوفير الطعام ، وينظر الى الرباط بين الرجل والمرأة على أنه واقـــع محترم محتوم ٠

بيد أن تقاليد الرياء والفخر ، وحب الظهور وعقدة الضعة ، ومشاعر أخرى منكودة عسرت الزواج وأقامت دونه المصـــاعب الجسام ، فكانت النتيجة التى لا محيص عنها أن انتشرت المعصية بين الكبار والصغـــار ، وتنفس الناس فى الحـــرام لما عـــز عليهم الحلال ٠٠

والسر فى هذه المأساة كبرياء بعض الافراد والاسر ، والتقاليد التى أقاموها وعبدوها من دون الله ٠٠

وقد ظهرت أعراض الزنا وغيره فى أمم اسلامية كثيرة ٠
أما فى الغرب فان الزنا وباء عاصف ٠٠

والولوغ فى عرض حرام ليس نقيصة تجرح الضمير ، انه ـ كشتى الضرورات أو المرفهات ـ مسألة رغبة ورضا وحسب!!

وهذه الحال جعلت الشيوعيين يتناولون مبدأ الزواج وعلاقات الاسرة بأسلوب يتسم بالسخرية والاستهزاء ٠

قلنا : ان من حق الناس ألا ينتظروا من الشيوعيين حفاظا على عرض ، ولا ضبطا لغريزة ، ولا احتراما لحدود الله فى صلة الذكر بالانثى ، لانه لا اله ، ولا تعاليم مقدسة فى هذا المجال الجنسى !! ٠

ان منطق الغريزة هو الذى يسود ٠ ولا مكان أمام تيارها لسدود أو قيود ، الا ما يتواضع عليه الشيوعيون من عند أنفسهم حفظا للصحة ومنعا للاشتباك ، والشجار !! ٠

ويتبع ذلك أن روابط الزواج والامومة والابوة توزن بموازين جديدة غير ما ألفت الامم فى تكوين الاسرة ، وحضانة الاولاد ، وغرس التكافل والحنان بين أفرادها ٠

ولقد قيل للشيوعين على عهد ماركس : انكم تريدون القضاء على الاسرة ، وهدم أقدس العلاقات العائلية باحلال تربية المجتمع للاطفال محل تربية المنزل !!

ترى ماذا يجيب ماركس على هذا التساؤل ؟

ان الزاوية التى ينظر منها الرجل الى هذا الموضوع تثير فى أفئدتنا الدهشة والحيرة ٠ وهاك جوابه :

« ان « البورجوازيين » يتهموننا معشر الشيوعيين بأننا نريد شيوع المرأة ٠٠

ان البورجوازى يرى فى زوجته مجرد أداة للانتاج ، وهو يسمع أننا سنحول أدوات الانتاج الى ملكية شائعة ، فيصل بالطبع الى نتيجة واحدة بالنسبة للنساء ٠ وهو أنه سيسرى عليهن أيضا نظام الشيوع ٠ ولا يخطر له ببال أننا نريد ان نحول دون جعل النساء مجرد أدوات للانتاج ٠

أما فيما عدا ذلك فمن أكبر المضحكات أن يثير سخط البورجوازية ما يزعمونه من أننا نريد اعلان شيوع المرأة رسميا٠ فان الشيوعيين لا حاجة لهم بابتداع شيوع المرأة لان هذا الشيوع حاصل فعلا من مدد مديدة !!

اذ أن البورجوازيين لا يقنعون بوجود زوجات العمال وبناتهم تحت تصرفهم • فضلا عما هو أمامهم من ميدان البغاء الرسمى • بل يجدون سرورا عظيما فى اغـــواء بعضهم لزوجات بعض • فنظام زواجهم انما هو تزويج النساء للجماعات لا للافراد •

وغاية ما يمكنهم اتهامنا به • أننا نريد أن نستبدل بشيوع المرأة المستتر وراء النفاق شيوعا علنيا مشروعا » •

شيوعا علنيا مشروعا !!

أهذه هى التهمة التى تسكت عليها وتستريح اليها ؟

نعم • وماذا ترجو من رجل يجحد الله ؟

انه ما يتحرج من اتيان أمه ، وما يضيق بمجتمع من النـاس يتسافدون كلما حلا لهم ، أو كلما تحركت شهواتهم •

ونحن نعرف أن الفساد الجنسى منتشر فى أرجاء الحضـــارة الغربية وان كان ليس عدوانا من أرباب الاموال على زوجـــات العمال كما يقول ماركس •

انه عدوان على حدود الله فى نطاق لا أول له ولا آخـــر ، فالاغنياء والفقراء سواء فى اقتراف الآثام ••

وبعيد فى حضارة الغرب أن يكتفى الرجل طول حياته بامرأة واحدة أو تكتفى المرأة برجل واحد ••

وهذه الشيوعية فى الاعراض لم ينزعج لها قادة الغرب ، وهنا موضع الغرابة !!

فان النصارى لديهم من بقايا الوحى السماوى ما يحرم عليهم الزنا ، وما يحظر التبرج والاختلاط المؤديين اليه •

فكيف سكت القسس على هذه المناكر ، بل على ما تفرع عليها من ألوان الشذوذ ؟

ان الاسلام لما أباح لابنائه التزوج من اليهوديات والنصرانيات دون الوثنيات والمجوسيات فعل ذلك لان المفروض فى نساء أهل

الكتاب احصان الفروج حسب تعاليم موسى وعيسى ، وبالتالى تنهض الاسرة على أعمدة من الشرف والتصون ، ويربى الاولاد فى جو من العفاف والاستقامة ..

وهنا نتساءل : هل انعدمت الفروق بين الشرق الشيوعى والغرب الصليبى فيما يتصل بالغريزة الجنسية ومساربها المعوجة .. ؟

يبدو أن هنالك فروقا طفيفة ، فالمرء فى الغرب بعد الشرود الطويل قد يعود الى بقايا دين .. ثم هناك خيوط واهية تبقى شكل الاسرة ومعنى الابوة والامومة ..

أما فى البلاد الشيوعية فقد حكى صاحب كتاب « آثرت الحرية » أن الحزب الشيوعى الروسى فصل واحدا من أعضائه لانه تزوج داخل الكنيسة !!

ان المعنى الدينى لتكوين الاسرة لا يعترف به أبدا .

ورباط يولد بعيدا عن عناية السماء بهذه الصرامة ما تقول فيه وفى ثمراته ؟؟

❁ ❁ ❁

وحكمت الشيوعية روسيا وأخمدت أنفاس الدين وان استبقت نفرا من المتدينين المغموطين التائهين .

وشرع زعماء روسيا الشيوعية فى انشاء الاجيال التى تعتنق فكرتهم وتحيا بها وتعمل على نشرها . وكان الشباب الغض هو العنصر الذى يعتمد عليه الشيوعيون فى اقامة فكرتهم ودولتهم.

فلنستمع الى « لينين » يحدد واجبات جمعيات الشبان أو منظمات الشباب فى الخطاب الذى ألقاه بالمؤتمر الروسى لاتحاد الشباب الشيوعيين فى ٢/١٠/١٩٢٠ . ففى هذا الخطاب أكد كفر الشيوعية بالله . وأن لها أخلاقا غير ما تنزل من وحى السماء .

يبدأ لينين خطابه هكذا :

« أيها الرفقاء • يسرنى أن أبحث معكم اليوم فى موضـــوع الواجبات الاساسية لاتحـاد الشبان الشيوعيين • وأن أتوســع فأبحث بوجه عام فى كيف تكون منظمات الشـــبان اطـــلاقا فى جمهورية اشتراكية • ومما يزيد فى أهمية درس هذه المســائل أن الشباب هم فى الحقيقة الجيل الذى سيحمل العبء الاكبر فى انشاء صرح المجتمع الشيوعى ، الذى لم يقم جيل العمال الحاضر بأكثر من وضع أساسه •• الى أن قال :

وهنا يأتى السؤال الهام : كيف يكون تعليم الشيوعية ؟ وما هى الاساليب الخاصة التى يجب أن تمتاز بها طرقنا فى التعليم ؟

ان أول ما أرى ايضاحه لكم فى هذا الصدد هو دستور الاخلاق الشيوعية •

قد تتساءلون وهل هناك شىء يسمى الفضائل الشيوعية ؟

الجواب : نعم • كثيرا ما اتهمت البورجوازية الشيوعيين بأنهم لا يعبؤون بالاخلاق وأنهم ينكرون أى مبادىء لها • ان القـــاء الكلام بهذا الشكل انما هو من قبيل ذر الرماد فى عيون العمـــال والفلاحين •

وانما الحقيقة عن انكارنا قواعد الاخلاق أننا ننكر ما تدعيه البورجوازية من أن مبادىء الاخلاق هى أوامر من عند الله فنحن بالطبع لا نؤمن بالله • ونعلم تمام العلم بأن القساوسة والمـلاك والبورجوازية نسبوا الامور الى هـذا الاســـم « الله » لتحقيق مآربهم الاستغلالية •••

ويواصل « لينين » خطابه فيقول :

ونحن ننكر كل أخلاق لا يكون مصدرها المدارك الانسانية ، ونجاهر بأنها جميعا مجرد غش وخداع وكبت لعقول العمـــال والفلاحين •

وأن القوة التى تسيطر على أخـلاقنا هى مصلحة طائفتنا ، فدستور أخلاقنا مستمد من حركة كفاحنا العمالية •

لقـــد كان المجتمع القـــديم قائما على أســـاس ظلم الملاك والرأسماليين للعمال والفلاحين ، لذلك وجب علينا نسف هـــذا

الاساس • ولكى يتسنى لنا ذلك لا بد لنا من الاتحاد وأن نوجد هذا الاتحاد بأيدينا فان « الله » لن يخلقه « نعوذ بالله من هذا الكلام ! » انما الذى يستطيع خلقه هم « البروليتاريا » وحدهم•• الى أن قال :

من ذلك ترون أن كفاحنا لم ينته بعد ، ومن هنا نشأت الحاجة الى نظام الحكم الذى نسميه « الدكتاتورية العمالية » التى لا بد منها لمنع عودة الاستغلاليين القدامى ولتوحيد صفوف تلك الجموع المبعثرة من الفلاحين الجهلاء •

واذا كان كفاحنا الطائفى لا يزال قائما ، فواجبنا الاول هو أن نخضع لمستلزمات هذا الكفاح كل شىء عندنا ، وفى ذلك أخلاقنا الشيوعية •

فالاخلاق عندنا هى أن نعمل كل ما يساعد على هدم المجتمع الاستغلالى القديم وجمع كل صفوف الايادى العاملة حول البروليتاريا القائمة بانشاء المجتمع الشيوعى الجديد ••• يتكلم الناس أمامنا عن مبادىء الاخلاق • فنقول لهم ان الاخلاق عندنا معشر الشيوعيين ليست سوى النظام الموحد والتكتل اليقظ لمكافحة الاستغلاليين •

نحن لا نعتقد فى الاخلاق الازلية • ونعد كل الاقاصيص الخرافية التى ترمى الى غرض أخلاقى قولا هراء • ولا نعرف الاخلاق الا بصفتها عونا للمجتمع على الرفع من مستواه والقضاء على كل عمل استغلالى •

لذلك لا تكون تربية النشء الشيوعى بالقاء دروس الوعظ والخطب الاخلاقية بل باشراكهم فى الميدان العملى القائم لتشييد وتدعيم صرح الشيوعية » •

❁ ❁ ❁

أظنه قد وضح من اعلانات زعماء الشيوعية كلهم أن مذهبهم مادى صرف ، وان تعاليمه ــ جوهرا ومظهرا ــ تقوم على ان الالوهية خرافة والوحى هراء والحياة الاخرى اختلاق •

كذلك • وهنـاك ألوف من الاباحيين في الشرق والغـــرب القديم والحديث يبطنون أو يظهرون هذا الكفر • فلم الدهشة والاستغراب ؟

ثم ان القرآن سبق أن ناقش هؤلاء الملحدين ووصف مذهبهم بدقة ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ...﴾(١).

ونجيب بأن ما حدث فى هذا العصر لم يسبق له نظير فيمـا سلف من الزمان • فان الالحاد قد يوجد على أنه عوج فكرى ، أو خلل نفسى ، أو انحراف فردى ، أو جهل موقوت ، أو غفلة عامة على أسوأ الاحوال •

أما الالحاد الاحمر فى عصرنا هذا فهو ثورة على الايمان تبغى قطع دابره ، واجتياح أهله ••• !

هو ثورة تتحقق وراء أسباب اقتصادية خطيرة ، وتستظهـر بعصبية قوية من العامة المحتاجين والمتطلعين ••• !

ان هذا الالحاد ليس شبهة توشك أن تلحقها الادلة فتتلاشى •
• لا • انه الواقع وغيره الباطل !! •
انه الجد وغيره الهزل !! •
انه الجدير بالحياة وغيره الجدير بالفناء !! •

ان الشيوعية ليست لدى اصحابها رأيا اجتماعيا يمكن أن يعايش الآراء الاجتماعية الاخرى ــ لا ــ •

انها الرأى الاول والاخير فى نظام الحياة الانسانية ولا مكان لرأى آخر أبدا •

---

(١) سورة الجاثية : ٢٤ •

وعلى الشيوعيين أن يتذرعوا بالعنف ما أمكن لهدم الطبقات المناوئة واخفائها تحت الثرى فلا تبقى على وجه الارض حياة تتصل بالله ٠

❀ ❀ ❀

نحن المصريين شعب مؤمن يغالى بايمانه ولا يفرط فيه أبدا ، رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا ٠٠

وقد جرى علينا القدر الذى جرى على مجموعة البلاد الاسلامية فسقطنا فى قبضة الاستعمار عشرات السنين ٠٠

ولم نستنم لهذا المصاب الفادح ، وما زلنا نكافحه حتى أنقذنا الله منه بعد شهداء كثيرين ومغارم ثقيلة ٠

وكان النظام الملكى السابق ظلا لهذا الاحتلال الاجنبى أو عونا له أو بديلا عنه ولذلك لم يبق طويلا بعده ٠٠

وكانت أبرز جرائم الملك فاروق فى اشتباكه مع الامة الثائرة عليه قتل الشهيد حسن البنا زعيم جماعة الاخوان المسلمين ٠٠كما كان تنكره للنظام الدستورى وولوعه ومن معه بالمال الحرام سببا فى اطباق الجماهير على اقصائه أملا فى نظام أفضل يتيح للامة ما تصبو اليه من ايمان وعفة وحرية وعدالة ٠٠

وقد استطاع الجيش صيف ١٩٥٢ أن يتحول عن الملك بعد ما كان سناده وأن ينضم الى الامة التى رأت فى ثورته انعاشا لآمالها بعد طول كفاح ٠٠

ولا مكان هنا للحديث عن صلة الاخوان بالثورة ، ولا عن ماضى أبرز زعماء الثورة فى جماعة الاخوان وتشكيلاتها السرية ٠٠٠

وانما يهمنى هنا القول بأن الثورة ـ يوم قامت ـ كانت تحد باطار اسلامى خالص ، وأن أحدا من رجالها لم يعرف فى سره أو علنه بلون أحمر ٠٠٠

وقد كان فى مصر شيوعيون مستخفون قبل الثورة وبعدها ٠٠

ولا شك أن نمو العلاقات الاقتصادية والعسكرية مع روسيا مكن الشيوعيين المصريين من التكاثر والعلانية ..

بيد أنهم قلة قليلة الى يومنا هذا وان ارتفع صوتهم واتسع سلطانهم ..

ولما كانت العدالة الاجتماعية علاجا ماسا لمتاعب المصريين المادية والادبية فان الاتجاه الى التنظيم الاشتراكى كان جزءا من برنامج الثورة ..

والشيوعيون أسرع الناس انتهازا للفرصة ، وقد أوجس المخلصون خيفة من أن يندسوا بين الصفوف ويحولوا الاشتراكية الى شيوعية .

من أجل ذلك جاء فى التقرير الذى وضعته لجنة الميثاق هذا التحذير تحت عنوان « حماية الاشتراكية العربية من الانحرافات المذهبية » .

« ان لاشتراكيتنا العربية خصائصها المميزة ، وعلى ذلك لا يصح اطلاقا أن نفسرها فى ضوء أى مذهب اشتراكى آخر !!

ان علينا أن نحمى اشتراكيتنا العربية من أن يستغلها البعض فينحرف بمفاهيمها الى مفاهيم مذهبية غريبة عنها !!

ان على القيادات الشعبية والفكرية وعلى أجهزة الدولة أن تقوم بحماية اشتراكيتنا من مثل هذه الانحرافات التى يعمل لها الانتهازيون والعملاء » .

ولكن هذا الكلام طوى للاسف مع تقرير الميثاق كله (ص١٥٣) من الميثاق وتقريره فى ١٩٦٢/٦/٣٠ مع أن هذا الكلام كان تعبيرا أمينا عن رأى الامة المصرية ، وكذلك كان ترديدا لتصريحات قادة الثورة أنفسهم عن موقفهم من الشيوعية وبعدهم عنها ..

ربما قيل : ان تغلغل الروس فى شئوننا وحاجتنا الشديدة اليهم لنقاوم الصهيونية والاستعمار هما السبب فى تغيير الرأى والموقف !!

والجواب ... لا .

لقد قلنا وما زلنا نقول : ان التعاون مع روسيا لا يعنى التعاون مع الشيوعية ولا فتح القلوب لها ٠

وقد كتب قادة الثورة كلاما فى الشيوعية وحقيقتها نحب ان نذكرهم به وأن نحاكمهم اليه فهو كلام لا ينسى بسهولة ، ولا يسترضى به الشعب حينا ، ويستغفل عنه حينا آخر ٠٠٠

فى مجموعة كتب « اخترنا لك ٠٠٠ » كتاب سطر مقدمته جمال عبد الناصر ، وخط فصوله رجال مسئولون بعضهم مات ، وبعضهم ما زال يشغل منصبه الوزارى ٠

والكتاب فى « حقيقة الشيوعية » ننقل منه هذه الكلمات المبينة ، وما تضمنته من حقائق لا تغيرها ظروف ولا ملابسات ، يقول المؤلفون :

« ٠٠٠ وفى فلسفة الشيوعية أن ليس هناك حقيقة سوى المادة ، ولكن هذه المادة ليست شيئا مجردا ٠ وانما هى تشمل الانسان وأعماله ، ويتكون التاريخ من عمل الانسان فى المادة وتأثير المادة فى الانسان ، وبين الانسان والمادة تأثير متبادل ، فالمادة تغير من الانسان ، والانسان فى دوره يغير فى المادة لتلائم حاجاته وتقضى لباناته ، وعلاقة الانسان بغيره أساسها الانتاج والاستهلاك ، وهذا باعث الحركة الديالكتيكية التاريخية وصراع الطبقات ، وتقضى الحركة الديالكتيكية بأن يظل الصراع قائما بين الفقراء المستعبدين والاغنياء المستغلين ، حتى تحدث الثورة ويحطم العمال النظام الرأسمالى ويتحقق الفردوس الارضى ، ولا مكان للروح فى مثل هذه الفلسفة ، وانما يمتاز الانسان عن الحشرات والسائمة بقدرته الفنية ، وليست هناك حياة أخرى ولا عالم روحى ولا حرية ، لان الانسان خاضع للضرورات المادية، وأما الآداب والاخلاق فليس لها مصدر علوى ، وانما هى وسيلة لحفظ المجتمع ، ومن أقوال لينين فى ذلك : علينا أن نكون مستعدين لكل لون من ألوان التضحية ، واذا استلزم الامر فاننا نمارس كل شىء ممكن ، فالحيل وفنون المكر وكل الاساليب غير الشرعية جميعها مباحة ، وكذلك السكوت واخفاء الحق ، وموجز القول أننا نستخلص الآداب من مصالح حرب الطبقات ؟ ٠

ويقول أحد الشيوعيين فى تقديمه لكتاب لينين عن الدين : الالحاد جزء طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها ٠

وفى برنامج المؤتمر السادس الدولى الشيوعى الذى عقد فى سنة ١٩٣٨ ما يأتى : الحرب ضد الدين ـ افيون الشعب ـ تشغل مكانا هاما بين أعمال الثورة الثقافية ، ويلزم أن تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقة منظمة وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ، ولكنها فى الوقت نفسه تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بدعاية ضد الدين وتنظيم التربية على أساس التصور المادى للدنيا ٠

ويقول لينين فى فصل له عن « الاشتراكية والدين » : الدين يعلم هؤلاء الذين يكدحون طوال حياتهم فى الفقر الاستسلام والصبر فى هذه الدنيا ، ويغريهم بالامل فى المثوبة بالعالم الآخر ٠

ويضرب لينين على هذه النغمة فى فصل له آخر عن موقف حزب العمال من الدين فيقول : قال ماركس ان الدين هو أفيون الفقراء ، وهذا حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعها من ناحية الدين ، وتعد الماركسية الديانات الحديثة جميعها ، والكنائس ، وكل أنواع المنظمات الدينية ، آلة لرد الفعل البورجوازى الذى يستهدف الاستغلال بتخدير الطبقة العاملة !!٠

وفى كتاب أرسله لينين الى الكاتب الروسى الكبير ماكسيم جوركى يقول لينين : ان البحث عن الله لا فائدة منه ، ومن العبث البحث عن شىء لم يخبأ ، وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد ، وليس لك اله لانك لم تخلقه بعد ، والآلهة لا يبحث عنها وانما تخلق !! ٠

فالشيوعية تعادى الاديان جميعها ، وتعدها دليل الرجعية والرغبة فى مقاومة النظام الشيوعى ! ٠ وهى تخالف مبادىء الاسلام الاساسية ، لان أساس العقيدة الاسلامية أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأنه خاتم النبيين ، واعتبار القرآن وحى الله للنبى محمد ، وكذلك الايمان بالحياة بعد الموت والجزاء

والمثوبة والعقاب ، وهذه المبادىء جميعها تنكرها الشيوعية وتشكك فيها وتحاربها ...

وقد لقى الشيوعيون عناء فى تحويل ولاء المسلمين الخاضعين للاتحاد السوفيتى للاسلام الى الولاء للشيوعية ، وقد اضطهدوا المسلمين لتعلقهم بالعقيدة الاسلامية واستمساكهم بها وايثارها على الشيوعية .

وكان الشيوعيون فى بعض الاحيان يغيرون سياستهم تبعا للظروف ويهادنون المسلمين ويلينون معهم ، حينما كانت تقتضى السياسة الخارجية ادعاء العطف على المسلمين والتظاهر بمسالمة الاسلام ، فيكفون عن اضطهادهم ، ويظهرون لهم حسن النية والتسامح ، فاذا استدعت الاحوال العدول عن تلك السياسة عادوا الى مذهبهم الاصيل فى اضطهاد الاديان جميعها والعمل على ازالتها ومحوها ...

❀ ❀ ❀

ويقول المؤلفون فى الصلة بين الشيوعية والدين :

... بين الشيوعية والدين عداوة شديدة وحرب لا هوادة فيها ولا مهادنة ، وهذا أمر طبيعى ، فان الشيوعية نظام مادى يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة تزعم أن كل ما يقع فى التاريخ من حركات فان مرجعه الى الاسباب الاقتصادية ولا مرجع له غيرها ، وما دامت الاسباب الاقتصادية ــ دون غيرها ــ هى التى تملى على التاريخ حركته وتسيره حيث تشاء ، فلا مجال هناك للاعتراف باله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر الى مصائرهم بقدرة وارادة !! . أ . هـ .

والشعور الدينى عندنا وعند كل ذى دين فى الارض ، هو احساس طبيعى فى الانسان يشعره بأن من فوقه قوة عليا توجهه ، وتسدده فى طريقه ، وتعصمه من اليأس فى ساعات الحرج والشدة ، وتمنحه العزيمة والقوة على اقتحام المصاعب ، وتمنعه من الاستسلام لنزعات الشر والسوء أو للشهوات والنزوات

والمطامع الفردية ، وتربط البشر بعضهـــم الى بعض بروابط تجمعهم على الاخوة الانسانية المتعاونة من غير انتظار لجزاء مادى أو غير مادى يلقاه الانسان على الارض • فهـو اذن شعور مثالى لا يتم تمام الانسانية الا به ، ولا يتحقق السلام على الارض بغيره•

ولكن الشيوعيين ومن قبلهم الماركسيين لا يرون فى الدين هذا الرأى ، فليس الدين عندهم الا تفسيرا خاطئا للظواهـــر الاجتماعية ، وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البالية ، ولونا من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به كل الناس ، فهـــو عندهم مظهر جهل ووسيلة استغلال وحيلة مخادع ، ومن واجب الشيوعيين أن ينبذوه ويتحللوا من قيوده ويبرؤوا من كل اثاره•

كذلك يقول الشيوعيون ويلقنون أتباعهم بصراحة مكشوفة وبلا مواربة ••

وهذا الاختلاف فى أمر الدين بين الشيوعيين وغيرهم هو الحد الفاصل بين الشيوعية وغيرها من مذاهب الرأى أو من نظـريات الحكم ، فالشيوعى الكامل عندهم هو الذى ينبذ دينه ويتبرأ منه ويقطع كل صلة تربطه به فى كل شأن من شئون حياته ، فى العمل وفى غير العمل ، وفى الزواج والطلاق ، وفى الابوة والاخـوة والامومة ، وفى كل ما جل أو قل من علاقاته العامة وشئونه الخاصة وهم لا يكتفون من الشيوعى بأن يبرأ من الدين بقلبه ولسانه ، بل يريدونه ان يعمل ما وسعه الجهد لرد المؤمنين بالله عن دينهم ، ليكون الناس جميعا شيوعيين على دين ستالين ولينين وكارل ماركس لا على دين نبى من أنبياء الله ورسله ، وقد كان من الجـــرائم العظمى بروسيا فى يوم من الايام أن يضبط روسى متلبسا بجريمة الصلاة أو العبادة فى كنيسة أو مسجد ، وقد هدمت المســـاجد والكنائس جميعا فى روسيا منذ سنين بعيدة ، وحول كثير منهـا كمتاحف تمثل عهد الرجعية الاستغلالية البائد ! •

ومسلم الامس فى روسيا ــ ومثله مسيحى الامس ــ لا يباح له أن يتخذ زوجة يرتبط اليها وترتبط اليه ارتباط الزوجين فى كل بلد من بلاد المسلمين أو من بلاد المسيحيين ليكونا أسرة ذات

كيان وقومية صغرى ، وانما هما رجل وامرأة كذكر الحيوان وأنثاه ، ليس بينهما الا صلة الفراش المشترك حين يبدو لهما ان يشتركا فى فراش ، بعقد موقوت أو بغير عقد ، ثم يذهب الرجل الى حيث شاء وتذهب المرأة ، فهى أنثى من أناث الدولة الشيوعية وهو رجل من رجالها ، وللدولة ابناؤهما وبناتهما جميعا ينتسبون اليها وحدها انتساب ولد الحيوان الى جنسه لا الى أبيه وأمه ..

وقد رأينا فى بعض قضايا الشيوعية بمصر واحدة من « زوجات الدولة » هؤلاء ، اسمها « ميرى روزنتال » وكان لها فى مصر زوجان تختلف الى كليهما وتقاسم كلا منهما الفراش حين تشاء أو حين يشاء هو ، ولا تنكر هى أنها « زوجة » لكل منهما ، ولم ينكر احد منهما أنها « زوجته » ولم تر أو ير أحدهما فى ذلك عيبا ، لانهم جميعا « شيوعيون » !

وكلمة « زوج » أو « زوجة » التى يعبر بها عن مثل هذه العلاقات الفاحشة بين الشيوعيين ونسائهم ، ليس لها الا هذا المدلول فى دين الشيوعية !! .

وقد جاء فى المقدمة التى كتبها جمال عبد الناصر لهذا الكتاب:

ان الشيوعية حين أصبحت نظاما للحكم انقلبت الى شىء آخر غير ما كان يأمله دعاتها ـ وما أكثر النظريات التى تفتن وتخدع ـ حتى اذا دخلت فى دور التطبيق العملى انحسر عنها لثامها وأسفرت عن حقائقها الاليمة .

كل ما كسبه الشيوعيون من شيوعيتهم أنهم صاروا آلات فى جهاز الانتاج العام ، وكانوا بشرا ذوى ارادة .

قد كفروا بالدين لان الدين فى عرف الشيوعية خرافة ! .

وكفروا بالفرد لان الفرد فى دين الشيوعية لا كيان له ولا حقيقة لوجوده وانما الكيان للدولة ! .

وكفروا بالحرية لان الحرية نوع من ايمان الفرد بذاته ،وليس للفرد فى النظام الشيوعى ذات ولا ارادة !

وكفروا بالمساواة فى نظام الدولة ، لان الدولة فى دستور الشيوعية طبقات تنتظم فى هرم يتربع على قمته فرد ويحتشد ملايين الشعب فى القاعدة !

الا ما أبعد واقع الشيوعية عن دعوة دعاتها !

ونحن المصريين ...

نحن العرب ...

نحن المسلمين والمسيحيين فى هذه المنطقة فى العالم ...

نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ...

ونؤمن بأن لكل عامل جزاء عمله ، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

ونؤمن بأن لكل فرد فى جماعة كيانا فى ذاته ، وكيانا فى أهله، وكيانا فى قوميته العامة وفى بلده ...

ونؤمن بحرية العمل ، وحرية الكسب ، وحرية النفقة فيما لا يعود على المجموع بمضرة ...

ونؤمن الى كل ذلك بالاخوة الانسانية ، وبالتكافل الاجتماعى، والايثار القائم على الاختيار لتوثيق الروابط الانسانية .

ونؤمن بأن لكل فرد فى الدولة حقا وعليه واجبا يكافىء هذا الحق .

وأن على الدولة لكل فرد فيها واجبا ولها عليه حقا يكافىء هذا الواجب .

فهى تبعات متبادلة بين الحكام والمحكومين ، ليس فيها قهر ولا اذلال ولا تسلط ولا طبقات قليلة العدد من السادة وطبقة ضخمة من العبيد ! .

هذا ديننا وذاك دين الشيوعية ...

فلتؤمن الشيوعية بما تشاء وتكفر بما تشاء ، فليس يعنينا ما تؤمن به وما تكفر .

وانمـــا يعنينا ان نؤكـد ايماننا بديننا الذى ندين به لله ونترسم دستوره فيما نعمل لانفسنا ولقومنا ...

كل ما بيننا وبين الشيوعية فى مذهب الحكم أو فى مـذاهب الحياة ، أن الشيوعية دين ... ولنا دين .

ولسنا تاركين ديننا من أجل دين الشيوعية .

ونحن نصدق من كل حرف فى هذه المقدمة .

ولكن وسائل الاعلام لدينا لا تنفذ منه حرفا ، بل هى دائبة على خلق أجيال تكفر بالله وتنكر وحيه . أجيال تهش للشيوعية وتستروح لمبادئها !! .

الفصل الثالث

الشيوعية والحريات

حكم فردى صارم وشعب مسير صامت ـ الشيوعية تخشى اطلاق الحريات لتستديم وجودها ـ الثورة الصينية وظروفها ـ سير الشيوعية بين بيئتين ـ تقرير من داخل روسيا ـ الجاسوسية والتعذيب ـ معنى الحرية فى المجتمع الشيوعى ·

● ❁ ❋

طراز الحكم فى البلاد الشيوعية معروف الشكل والموضوع ·

انه حكم فردى أو طائفى يفرض نفسه على كل شىء ، ولا يسمح بتة بمعارضة أو تذمر ، ولا يأذن بميلاد فكرة مخالفة بله حزب يمثل وجهة نظر مغايرة ··· !

وأسلوب العيش فى ظل هذا النظام يجعل الطعام اليومى للافراد والاسر مارا من تحت يد الحاكم ومن ثم فلا مجال للافلات من قبضته ··· !!

ولم تعرف الدنيا فى تاريخها الماضى ، ولن تعرف فى تاريخها المقبل ، حكما ممدود الرهبة ، مشدود الوثاق ، يحول البلاد الى سجن كبير ، ويحول أهلها الى قطعان مسيرة مثل ما عرف فى الامم الشيوعية ·

والغريب حقا أن ذلك كله يقع باسم الشعوب ··· !!

باسم الشعب تختنق الآراء ، وتخمد الانفاس ، وتذل النفوس الكبار ، ويقدس اسم واحد او عدة أسماء !! ·

والشعب ليس الا ستارا تختفى وراءه حفنة من الناس تملكتها رغبة مجنونة أن تفرض تفكيرها ومذهبها على الآخرين ولو كانوا كارهين ·

وهذا الشعب الذى تفعل باسمه العظائم يحيا على الضياع والبأساء ، انه يشبه الخليفة فى بغداد يوم قيل فيه :

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شيء فى يديه

ومن المقطوع به أن الشيوعية فى أى بلد وفى أى زمان لا يمكن ان تصل الى الحكم عن طريق انتخاب شعبى حر ...

واذا حدث لامر ما أن استولت الشيوعية على الحكم بفوز شعبى جزئى ، فانها لا تبقى فى الحكم فترة قصيرة حتى ينصرف الجمهور عنها فلا تعتمد فى بقائها الا على السياط والرماح ...

ان سيادة الحرية فى الارض تعنى زوال الشيوعية منها ، فما تقوم حكومة شيوعية الآن الا فى غيبة الشورى ، ويأس الجماهير من التغير .

والامر لا يحتاج الى لف أو دوران .

ان الناس يرضون عن الحكومة يوم تكون مصالحهم فى ظلها مكفولة نامية ، ويوم تكون عقائدهم وآراؤهم محترمة مصونة ..

فاذا نظر انسان فرأى الحكم الشيوعى قد قلل دخله ، وضيق عيشه .

واذا نظر فرأى أنه قد أهان دينه ، وصادر حريته .

فما الذى يحمله على الرضا بذلك الحكم المشئوم ؟! .

ومن الذى يسره أن يخسر دنياه وآخرته على هذا النحو الذليل ؟! .

ان ساسة الشيوعية أعرف الناس بهذه الحقيقة ، ولكنهم أصحاب عقيدة يريدون بكل وسيلة أن يفرضوها ، وأن يزيحوا العوائق من أمامها .

وقد خاضوا فى سبيل ذلك لججا من الدماء المراقة ، والكرامات المستباحة وهم ماضون فى طريقهم ما بقيت فى أيديهم السطوة والسلطة .

والحكم الشيوعى يعتمد فى الداخل على شبكة من الجواسيس تحصى على الناس أنفاسهم ، وتكاد تطلعه على خطـرات قلوبهم ، كما يعتمد على سلطان مطلق فى الخفض والرفع والحياة والموت ! !

فمن أيسر الامور أن يكون المرء وزيرا اليوم ، ثم يعزل غدا ، ثم يرمى فى السجن ، ثم يقتل لانه خان الحزب ..

وذلك كله فى ظل قضاء طيع ، وصحافة خرساء ،وجمهـور مستكين ونفر من المتطلعين يشقون طـريقهم الى مستقبلهم على أنقاض غيرهم .

ويتم ذلك كله باسم الفلاحين والعمال !!

ولقد تتبعت أقوال ماركس وانجلز وتصرفات لينين وستالين فرأيت أناسا مملوئين من نواصـيهم الى أقـدامهم بالفكرة التى يعتنقونها ، سكرى بخمرتها فما يفيقون أبدا منها ، يظنون العالم كله مبطلا وهم المحقون .

ثم رأيت بعض الشباب الذى افتتن بهؤلاء وتبعهم ، فرأيت أناسا أضراهم الحرمان أو التطلع ، يحسـبون أن الشـيوعية ستحولهم الى ملوك بين عشية وضحاها ، فهم ينصرونها بكل ما فى غرائزهم من قوة ونشاط .

وقد تكون الشيوعية ملتقى الامانى الجـائعة ، والخيـالات الرائعة !

بيد أنها عندما تلتقى بالواقع وتمشى على الارض تتكشف عن فراغ وخداع لا آخر لهما ..

وعندئذ ينصرف عنها من اغتربها ، ولا يتعصب لها الا من يريد عن عمد نشر الالحاد والعبودية بين الناس ، باسم مناصـرة العمال والفلاحين .. !!

❁ ❁ ❁

وقبل أن أتعرض لمأساة الحرية فى الثورة الروسية أسوق مثلا قريبا من الثورة الشيوعية الاخيرة فى الصين .

لقد جاء « ماوتسى تونج » يقود جحافل الشيوعيين ٠

جاء فى أعقاب حكم ساقط حافل بالفوضى والرشوة والفساد ، تبرأ منه الامريكيون أنفسهـــم وهـــم الذين طالما أغدقوا عليه وأيدوه !!

وانتصار الشيوعية غالبا يتم فى هذا الجو الملىء بالضـــيق والانكار ٠

وشرع الحزب الشيوعى ينفذ برنامجه الاصلاحى المستمد من تعاليم ماركس ولينين ٠

وكان « ماوتسى تونج » كبير الامل فى اجتذاب الالوف حوله، والافادة من الاخطاء الفادحة التى خلفها الحكم السابق ٠

ولم تكن هناك حاجة للاستبداد ومصادرة الآراء الاخرى ٠
كان يبدو أن الحرية مأمونة العاقبة !!

ولكن أبواب الحرية ما كادت تفتح حتى هبت منها رياح تريد اقتلاع الشيوعية من أصولها ، كأنمـــا كان النـــاس فى لهفة للخلاص منها ٠٠٠

وهنـــا أسرع « ماوتسى تونـــج » الى اغـــلاق الابـــواب بقوة وندم ٠٠٠ !!

يقول الكاتب محمد عوده :

فى بداية عام ١٩٥٦ أعلن ماوتسى تونج شعارا : دعـــوا مائة زهرة تتفتح ، ودعوا مائة مدرسة مختلفة تتصارع ٠وأصدر بحثه المشهور عن الطـــريقة الصحيحة لمعالجة المتناقضـــات فى صفوف الشعب ٠

وبعد ذلك بقليل انعقد المؤتمر العشرون ـ الشهير ـ للحزب الشيوعى السوفيتى ٠٠٠

وقال كثيرون : ان ما أعلنه من خطوات جريئة وتحررية هو من تأثير الصين الشعبية ، وان هناك مرحلة تحـــول تاريخية فى آراء وسياسات المعسكر الشيوعى كله ٠

ولكن انتهت هذه المرحلة فجأة وتحولت الصين الشعبية من النقيض الى النقيض وأسدل الستار على « المائة زهرة والمائة مدرسة مختلفة » وبدأ خط جديد فى الداخل والخارج ٠

وقيل فى تفسير هذا التحول المفاجىء والمناقض لطبيعة الثورة الصينية وتطورها حجج وأسباب كثيرة ربما كان أقربها الى المنطق هذه الحجج :

ان تطبيق الحرية الفكرية على النطاق الواسع الذى طبقت فيه خلال عامى ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ فى الصين قد كشف للحكومة الصينية عن قدر كامن كبير من المعارضة الهدامة ٠

وهى المعارضة التى لا تريد النقد ، ولا تريد تدعيم وتلافى نقائص النظام ، ولكن تريد التشكيك فى أسسه الفلسفية والعقائدية ، وفى نظمه وسياساته ، وتريد بذلك تقويض دعائمه ٠٠٠ !!

وقد خرجت فى هذه الفترة أصوات كثيرة وقوية ومن جهات لم يتوقعها أحد تضع موضع التساؤل والاستنكار الفلسفة الماركسية وقيادة الحزب الشيوعى ومشاريع التنمية والاصلاح ٠

وقد وجدت هذه الاصوات فرصتها كاملة على صفحات الجرائد والمنابر الصينية ،وتركت مرارة عميقة فى نفوس القادة الصينيين وصدمتهم صدمة استخلصوا كل مغزاها ٠٠٠

وكان الشيوعيون الصينيون قد استولوا على كثير من أجزاء الصين بغير قتال ٠ ونتيجة لتخلى الشعب كله عن حكومة «تشيانج كاى شيك » التى وصل فسادها وخيانتها الى حد تخلى الامريكيين وهم حلفاؤها وسندها عنها ٠

وأدرك القادة الصينيون أن رواسب التربية والعقلية الاقطاعية والبورجوازية لا تزال قوية راسخة فى أرجاء كثيرة من الصين ٠

وأن فترة طويلة من التصفية العقلية والروحية لهذه المخلفات لا بد أن تقوم (١) ٠

والحجة الثانية هى أن عملية البناء الاشتراكى فى بلد مثل الصين والانتقال من اقتصاد استعمارى اقطاعى فى أشد مراحل التخلف الى اقتصاد اشتراكى صناعى حديث ٠ هذه العملية فى شعب تعداده ستمائة مليون ويزداد بنسب مخيفة أقنعت القادة الصينيين أنه لا بد من تعبئة حازمة صارمة لكل الموارد الاقتصادية والبشرية ، وأنه لا يمكن قطع الخطوات السريعة التى تريد الصين قطعها للحاق بالدول المتقدمة بغير التقشف العام والتعبئة العامة ٠

والحجة الثالثة (٢) : أن سياسة التحرر التى أعلنها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفيتى وتطبيق هذه السياسة قد أدى الى أحداث المجر وبولاندا ٠ ولو انفجرت مثل هذه الانتفاضات فى الصين وامتدت الى نطاق واسع لادت الى أخطر النتائج ٠٠ ولا يعجز الاستعماريون والرجعيون المحاصرون للصين عن تدبير « هنغاريا ثانية » ولابد من تلافى هذا الخطر ٠ أ ٠ هـ ٠

❀ ❀ ❀

لهذه الاسباب ولغيرها ، قرر الحزب الشيوعى الصينى أن يستبد بالامر ، وأن يسكت الاصوات المعترضة مهما بلغت كثرتها ٠٠٠

وذلك خشية وقوع هنغاريا ثانية ، كما يقول محمد عوده وهو يشير الى مأساة المجر التى وقعت اخيرا ٠ فان الشعب المجرى الذى أكرهته ظروف مفتعلة على قبول الشيوعية فى بلاده لم

---

(١) أى أدركوا ــ فى ايجاز ــ أن الامة ليست معهم وأنها ترفض الشيوعية أسلوبا لحياتها الاجتماعية والسياسية ٠

(٢) ملحق بالاعتذار السابق عن بقاء الشيوعية مع كراهية الخاصة والعامة لها ٠٠ !!

شمله ، وقام بحركة مستميتة استرد بهـــا ســـلطته ، وحـــرر بها مشيئته ..

غير أن الاوامر صدرت للجيش الاحمر بعلاج هذا التمرد .

فاذا ألوف الدبابات تنطلق من مكانها مجتازة المدن والقرى ، ودافنة الثوار تحت أنقاض الخرائب ...

وبين عشية وضحاها كانت الدور مقابر ، والمحافل الهائجـة لا تسمع لها همسا .

ثم عادت السلطات للشيوعيين . أو بالعبارة اللاذعة عاد الحكم للعمال والفلاحين أصحابه الشرعيين !!

واذا كان الحزب الشيوعى الصينى سنة ١٩٥٦ قـــرر ارغام الجماهير على تنفيذ خطته وقبول فلسفته فانه لم تمض عشر سنين حتى أحس ماوتسى تونج مرة أخرى أن الارض تميد من تحته .

فان جمهرة المثقفين رأت أن هناك برامج أفضل للنهـــوض بالبلاد من الطريقة التى يلتزمها الشيوعيون الحاكمون .

وهنا تقع عملية تطهير كبرى تشمل أساتذة الجامعات ،ورؤساء الصحف ، وقادة الجيش ، وتمتلىء السجون بالمعارضين .

بل ان الشبيبة الشيوعية تذهب الى بيوت معينة لتلقى أثاثها فى الطريق ، وتطرد أصحابها منها بحجة عدم ولائهـم للزعيـم « ماوتسى تونج » .

وما يفعله الحرس الاحمر هناك ملأ الدنيا .

ونحن لا ندرى الا القليل من أحوال تلك البلاد القصية ، لكنا نستطيع أن نفرق فى تقبل الشيوعية بين بيئتين .

ان الهندوس والبوذيين وطـــوائف الوثنيين قد ينتقلون الى الشيوعية دون عناء طويل ..

أما أصحاب الديانات السماوية فان ايمانهم الوطيد بالله ، وشعورهم بالرضا مع تعاليمه الصحيحة ، يجعل قبولهم للشيوعية عسيرا أو مستحيلا ..

يقولون : ان الهندوسى الذى يبيع الفاكهة يشعر بسعـــادة كبرى عندما يمر به عجل ، ويدس فمه فى أقفاص الفاكهـة ، يأكل منها ما يشاء !!

هذا الهندوسى عندما يعتنق الشيوعية يشعر أنها نقلته الى طور أرقى من تقديس البقر ..

ويبقى الامر عنده مجرد مقارنة بين كسبه الشخصى فى ظـل الشيوعية أو كسبه فى ظل الرأسمالية .

وتحوله عن الشيوعية الى نظام أرقى ــ بعد الدرس والتجربة ــ يحتاج الى أمد يطول أو يقصر ..

ولذلك فان حركات التطهير التى اقترنت بها الثورة الصينية كانت محدودة وعلى فترات متباعدة ، وان كان الحـــرس الاحمر الصينى قد ارتكب ضد خصومه جرائم مجنونة ..

لا نستثنى من ذلك الا المقاومة الباسلة المريرة التى أبدتهـا الشعوب الاسلامية الى آخر رمق ، قبل ان تقع فريســـة للزحف الاحمر ..

أما الثورة الروسية فى خريف سنة ١٩١٧ فقـــد وقعت بين شعوب ثلثها مسلم تقريبا والباقى مسيحى ..

وهؤلاء وأولئك لا يبيعون ربهم بثمن بخس ولا غال .

ثم انهم جربوا نوعا من الحياة أرقى ، أو على الاقـــل تحس ضمائرهم هذا النوع الارقى من الحياة الانسانية ، أو يسمعون عن تطبيقه لدى جيرانهم الاقربين .

ومن ثم لجأ الشيوعيون الى وسائل مضاعفة من العنف والجبروت لاخماد روح التمرد بين هؤلاء النافرين ، وجعلهم يرضون بأساليب الشيوعية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

فهل أفلحوا ؟ كلا . ان الاقتناع بالشيوعية لا يتجاوز لفيفا من أعضاء الحزب الشيوعى .

أما عشرات الملايين المبعثرين فى طـــول البلاد وعرضهـــا فصدورهم مطوية على البغضاء والانكسار ..

وما قيمة جموع انفرط عقدها ، واستذلها الجوع والخوف ، ينظر الواحد منهم الى أقرب الناس اليه فيتخيله عينـــا عليه ! فهم كما قيل :

وعلى الذم باتوا مجمعين وحالهم من الدهر حال المجمعين على الحمد

ومن الظلم أن نقـــول ان هؤلاء المكسورين استسلموا دون مقاومة .

لا . ان الامر لم يتمهد للشيوعين الا بعد مجازر مروعة لم تعهد البشرية مثلها .

ثم شاء القدر أن تصير الامور الى ما صارت اليه .

وقادة الشيوعية يعلمون جيدا ما يريدون ، انهم يقـولون فى وضوح :

سنبنى عالما آخر غير ما عهدت الانسانية فى تاريخها القـديم والحديث .

عالما خاليا من حق التملك وحق التدين .

الناس فى هذا العالم آلهة هذه الارض . وهم يولدون فيهـا ويخرجون منها دون أن يكون لاحدهم ملك خاص . والدنيا وما فيها مرفق عام للكل . !!

تلك هى المزاعم التى يرددها القوم .

وعندما واتت فرصة التطبيق ، وتولى القوم الحكم ، نبـذوا الدين جانبا وطاردوا المتدينين فى كل مكان .

ثم انتزعوا من الناس أملاكهم كبرت أم صغرت ، وشـــرعت الدولة تباشر أو تشرف على شئون الزراعة والتجارة والصـناعة وعشرات المهن التى يرتزقون منها ..

لقد تحول الكل الى أجراء عند مالك واحد هو الدولة .. !!

وكان هذا الزلزال الاجتماعى والنفسى شديد الوقع عسير القبول ·

فالتدين فطرة والتملك غريزة ··

نعم قد يدخل الفساد على معانى الدين ومظاهره · وقد يدخل الحرام فى مصادر التملك ومصارفه !!

لكن العلاج أن نجعل الدين حقا لا باطلا · وأن نجعل الملك من حلال لا من حرام · وأن تكون النفقة معقولة لا سرف فيها ولا ترف ·

لكن الشيوعية حكمت بالاعدام على الايمان والملكية !! ·

فلما شرعت تسوس الامور بأساليبها هى ، ورطت الجماهير فى سلسلة من الضوائق لم يعانوا ظلمتها فى ظل القياصرة البغاة!!

وأصبح الجوع والخوف يتقاسمان البلاد الشيوعية ، وكأنهما فى تلازمهما الليل والنهار ·

السعداء هناك هم أتباع الحاكم وحواشيه ، ومنفذو مشيئته·

وفى الدنيا ركام كثيف من هؤلاء الاذناب !!

هناك مرتزقة يخدمون أنفسهم تحت أى لواء ·

ناس يخدمون النقيضين ، فهم فى ظل الحكم الملكى يقبلون أقدام الملك ، ويعيشون بالولاء له ، وهم فى ظل النظام الجمهورى حملة رايته ، والمسبحون بحمده ، والمتعصبون له ···

فى الدنيا ناس كثيرون هدفهم الاكبر أن يوائموا بين أنفسهم وبين الاوضاع القائمة حتى يعيشوا ناعمين · بل قد يتقنون الزلفى حتى يعيشوا متصدرين ·· !!

وفى كل زمان ومكان تظفر الانظمة المتقلبة بأعوان من هذا الصنف القلب ·

وقد استطاع قادة الشيوعيين أن يؤلفوا أحزابا قوية من هؤلاء الامعات الخادمين · فكانت هذه الاحزاب ولا زالت القنطرة التى يعبر عليها الالحاد والاستبداد الى غاياته المشئومة ·

وقد يوجد فى هذه الاحزاب رجال لهم قلوب حية يؤذيها ما تشهد من كفر وانحراف ومظالم • لكن ما عساها تفعل ؟

انها تخشى ما يقع بين الحين والحين من حركات التطهير التى تنكل بكل ذى رأى حر •

يقول « فكتور كرافتشنكو » (١) ـ وهو شيوعى روسى ـ بعد أن عاد من المزارع الجماعية وشاهد ما يعانيه فلاحوها من بأساء وضراء :

« بدأت فى طوية نفسى وثنايا ضميرى فكرة أن أعتزل الحزب، فالمفازع التى شهدتها فى الريف تركت فى نفسى جروحا هيهات ان تندمل •• !

ومع ذلك فلهذا السبب عينه أخذ عقلى الواعى يتلمس تلمس اليأس طريقا يهادن به ضميرى • وما أحسب أن قد كان أمامى طريق آخر فى ظروف تحتم عليك اذا أردت أن تعيش أن تذعن للامر الواقع الذى لم يكن منه مهرب لهارب ••

انه ليس فى مقدور انسان أن يترك الحزب حين يشاء ، بل ليس فى مقدور انسان أن يتراخى فى نشاطه ازاء الحزب أو أن يبدى من الامارات ما ينم عن ضعف ايمانه به ••

فاذا ما التحق انسان بالحزب فقد وقع فى الفخ الى الابد •

نعم يجوز للحزب أن يطرده ويكون معنى ذلك أن تنزل به الكوارث ، لكن ليس فى وسعه هو أن يتنحى منشقا عليه •

---

(١) مهندس كبير ممن أقاموا الصناعة فى الاتحاد السوفيتى وكان والده ممن اشتركوا فى الحركة الثورية الشيوعية وأمضى شطرا كبيرا من عمره سجينا على عهد القياصرة • وقد بلغ « كرافتشنكو » مكانة مرموقة فى روسيا الا انه سئم العبودية الاجتماعية والسياسية التى تسود بلاده ، وتبرم بالنفوذ الهائل الذى تملكه دائرة المخابرات السرية فانتهز فرصة ايفاده الى الولايات المتحدة فى مهمة تجارية وقرر بعد انجازها الالتجاء الى حماية الرأى العام الامريكى • وكتب وصفا مسهبا للمآسى التى تسود بلاده تحت عنوان « آثرت الحرية •• » وعن هذا الكتاب اقتبسنا هذه الفقرات •

فلو كنت أظهرت ما يدور فى صدرى من عواطف على حقيقتها لكانت النتيجة ابعادى عن المدرسة ، ووصمى بالعار ، وتعقبى بألوان الاضطهاد •

بل ربما كانت النتيجة المحتومة أن يزج بى فى معسكـــرات الاعتقال أو ما هو شر من ذلك وبالا ••

كان لزاما على أن أكتم عواطفى بين جوانحى ، كان لزاما على أن أدسها دسا فى أعماق فؤادى ، هذا الى ما بذلته جاهـــدا أن أستعيد للحزب ولائى •

فلئن كان ذلك ضرورة فى الظروف المعتادة • لقد كان عندئذ أشد ضرورة لان حركة التطهير قد نشرت قلاعها للريح •

عينت مئات من لجان التطهير ، ولم يكن ليمضى طويل وقت قبل أن تعقد تلك اللجان اجتماعاتها العلنية فى المصـــانع والمكاتب ودور الحكومة والمعاهد ••

وكان على كل شيوعى فى البـــلاد أن يذعن لما يطالب به من محاكمة واعتراف ••

واشتد شعورنا عندئذ بأننا محاطون من كل جانب بالعيـون الرواصد والآذان المنصتة • تلك العيون والآذان التى تخفى عن النظر لكنك تحس وجودها فى كل مكان •

وكذلك اشتد شعورنا بالاضـــابير الضخمة التى سجلت فى أوراقها دخائل حياتنا الخاصة ، ومكنون أفكارنا ، وبأعـــدائنا الذين قد ينتهزون الفرصة ، فيبرزون ما لنا من سقطات ، ما هو حقيقى منها وما هو من نسج الخيال ••

كان السؤال الذى يسبق الى ذهنى والى ذهن كل شـــيوعى اذ ذاك هو هذا :

ترى هل تمضى عنى موجة هذه المحنة سالما ؟

هذا سؤال رن صداه فى كل وجه من وجوه نشاطنا ، وفى كل عبارة من أحاديثنا •

لم نعد ندبر للمستقبل سبيلا فلا مستقبل هناك الا اذا اجتزنا فى سلام تلك العقبة الكأداء ٠

ثم قال : الشرط الاول لاحتفاظك بعضوية الحزب هو أن تكن للقادة ولاء لا ذبذبة فيه ، وأن يكون ولاؤك ناصعا لا تشـــوبه شائبة لستالين بوجه خاص (١) ٠

وانه ليكفى ان يشيع عنك فلان عن فلان تلميحا خفيفا يفيد « انحرافك » عن جادة الولاء الخالص لكى تورد مورد الهلاك ٠

بل ان أخص خصائص الحياة الداخلية لمن وقع عليه التطهير ، وما يدور فى رأسه من خواطر فى كل الشئون كائنة ما كانت ٠ مستهدف لهجمات الناس علانية دون أن يروا فى ذلك ما يعاب ٠

وكانت اجراءات التحقيق تحتوى على أفظع الفظائـــع التى عرفت فى حمل المتهم على الاعتراف ، وفى جعله عرضـة لشهادة الزور ، وفريسة لالوان التعذيب على أيدى الشيوعيين ٠

أما الفريسة القنيصة فقد كانت ترى ــ وقت المحاكمة ــ محنة رهيبة ٠

وأما النظارة فكانوا فى أغلب الاحيان كأنما يشاهدون مسرحا لترويض الوحوش ٠

وكان حضور هذه المحاكمات خلال أسابيع التطهير كلها الزاما محتوما على كل من ينتمى للحزب ، وأما من ليسوا فى الحـــزب أعضاء فيغرونهم بالحضور بشتى وسائل التشجيع ٠

ولم يكن أحد من الشيوعيين ليخطر قبل محاكمته بالتهم التى يكون فى النية توجيهها اليه ٠ فكانت هذه القلقلة أشد ما يحرج الصدر من عناصر المأساة ٠

اذ كان عليك أن تتحسس طريقك فى الظلام لتكون على أهبة لما عسى أن يفجأك من مباغتات فتستعرض ماضيك مرة بعد مرة متسائلا : ترى من أين يأتى الخطر ؟

---

(١) كان ذلك على عهد « ستالين » قبل أن يهلك ويتولى « خروشوف » ٠

ألم يحدث مرة أنك أفرطت فى الحديث ذات مساء منذ ثلاثة أعوام مدفوعا فى حـــديثك بمـــا بعثته روح الزمالة فى نفسك من طمأنينة ؟ ٠

فقد يكون واحدا من هؤلاء الزملاء ــ الذين ركنت الى حسن طويتهم ــ وشى بك منبئا بما أفرطت به من ملاحظات ٠

وطبيعى أن تكون ألوف الشرطة السرية والعلنية هى القوائم التى يعتمد عليها هذا النظام ٠

وتلك حال ينتفى معها الامان وتتلاشى الطمأنينة ! فنصـــف الامة جاسوس على نصفها الآخر ! ويكفى أن يتنفس امرؤ بكلمة لا تعجب حتى تحسب عليه وربما كانت القاضية ٠٠ !!

وقد تستغل عشرة العاثر ، أو حاجة المحتاج ليكون عينا على من حوله والا ٠٠٠ فالويل له ٠

جاء فى كتاب آثرت الحرية على لسان فتاة اعتقل أبوها وكان أستاذا كبيرا فى الجامعة وكانت تريد زيارته ٠ فقـــالت لرئيس مكتب الشرطة :

أرجوك أرجوك أن تأذن بزيارتى اياه فأنت انسان من البشر أيا ما كانت الحال ٠٠٠

ــ ليس من هنا ناس من البشر يا ٠٠٠ بل هنا رعاة الثورة ٠

ليس هنا مكان لعاطفة وما أدواتنا التى نقاتل بها اعـــداء الدولة سوى العذاب والموت ٠

وخير لك ان تتبينى هذه الحقيقة عاجلا والشر فى التسويف !!

سآذن لك برؤية أبيك على أساس واحد وهو أنى أريد معونتك، اذهبى الى السجن ففى طريقك اليه سأرسل أمرى بذلك ، وفكرى فى الامر الذى أعرضه عليك ، ودعى عنك هذه البلاهة الحمقاء ٠

ساروا بى الى عنبر حيث كان أبى وحده فى غرفة نقلوه اليها استعدادا لزيارتى ، كان راقدا على سرير من الحديد ساكنا سكون

الموت ، وقد طالت له لحية بيضاء فى هذه الشهور التى افترقنا خلالها ، لم يبق له من جسده الا جلد وعظام ٠

ورأيت على جبهته وعلى صدغيه الغائرين أشرطة قبيحة من الجلد كما رأيت أربطة على أصابعه وذراعيه ٠٠

دنوت من سريره فلم يكن لديه من العافية ما يعينه على ابتسامة الترحيب ٠٠ ولما أخذ فى الحديث رأيت ما راعنى اذ رأيت أن أسنانه الامامية قد خلعت عن فكه خلعا ٠

قال بصوت منكسر : لا تبكى يا ٠٠٠ وناداني بالاسم الذى كان يدللنى به منذ طفولتى ٠

لقد كنت قد أوصيت أن أتحدث فى أمور عائلية وألا أعرج بالحديث على شئون السياسة ، لكن الحارس الذى صحبنى هاله ما رأى فأدار وجهه عنا تلميحا لنا بأنه لن ينصت الى الحديث ٠

وأشار أبى الى بأصبعه أن أنحنى اليه ، ثم همس فى أذنى : ها أنت ذى تشهدين حالى يا ٠٠٠ !!

لقد جعلوا يضربوننى يوما بعد يوم فأداتهم هى التعذيب ٠٠

ومئات ممن سجنوا فى الحجر المنفردة ها هنا يجلدون بالقطائل المبتلة ولا يخلى بينهم وبين النوم أسابيع متوالية ٠

أو هم يوضعون فى غرف هى الجليد فى بردها ٠

لقد ضربونى فى غير رحمة لاسمى لهم شركائى فى المؤامرة ٠ فماذا أقول ان لم تكن هناك مؤامرة ؟ لم يكن هناك مؤامرة الا فى خيالهم الجامح انهم بمثابة من يرى أشباحا ٠

لطالما تمنيت ان يكون هناك ما اعترف به ، ولقد تذكرت أخطاء ليست بذات خطر واعترفت بها على أنها ضرب من أفعال التخريب ٠

ما نسجت لهم بخيالى كان من السذاجة بحيث لم يستقم امام عقولهم ٠

وفيم استرسالى معك فى هذا الحديث ؟ لقد كنت سمعت عن الشرطة السرية وأساليبها لكن أسوأ ما كان يصوره لى خيالى لم يكن الى جانب الواقع شيئا مذكورا ٠

ليس هؤلاء بشرا انما هم نفر من الشياطين ، أواه يا ابنتى ٠٠ مما صنعه هؤلاء الناس ٠٠ آ ٠ هـ ٠

❁ ❁ ❁

ان آراء الناس تختلف اختلافا كبيرا فى الشئون الاجتماعية والسياسية ، ولهذا الاختلاف سببه المعقول ، فان ما يصلح لقوم ربما لا يصلح لآخرين ، وما يوائمهم فى عصر قد يضايقهم فى عصر آخر ٠٠

واذا كانت القواعد العامة موضع اتفاق ـ فى الغالب ـ فانه عند سرد التفاصيل ومعاناة التطبيق تنبت مشكلات جمة ، وتتفاوت وجهات النظر فى أسلوب حلها ٠٠

ان أعضاء مجلس الادارة فى مصنع أو مزرعة قد ينقسمون على أنفسهم فى الحكم على ظروف العمل ومقادير الربح وغير ذلك ٠

والمهم أن هذه الاختلافات كلها عادية ، وهى اجتهادات فى تحرى المصلحة ، أو محاولات لادراك الحقيقة ، وليس لاحد أولئك المختلفين أن يتملكه جنون الاعتداد برأيه ، فيتصور أنه هو وحده المصيب ، وبالتالى أنه وحده الذى ينفرد بالكلام ٠٠

قد أفهم أن الوحى الالهى مصدر يقين جازم عند الانبياء وأتباعهم ، ولكن الامور المقطوع بها فى الدين محدودة معدودة ، وهى أمور ينتهى عندها الجدل لان الله قال كلمته الواضحة ٠٠

أما أن بشرا ما ، أو جملة أناس على رأيه ، يعتنقون رأيا فى الاصلاح ـ على زعمهم ـ ثم يحولون هذا الرأى الانسانى العادى الى عقيدة فوق النقاش والاعتراض ، فهذا ما لا يمكن قبوله أبدا ٠

خصوصا اذا كان هذا الرأى يمس حاضر الناس وغدهم ويشتبك مع معايشهم وضمائرهم ظاهرا وباطنا ٠٠

ان الشيوعية فى أزهى صورها نظام ييسر العمل والعـــدل لجماهير العمال والفلاحين !! ٠

فاذا جرب العمال والفلاحون هذا النظام فاكتووا به وقرروا الخلاص منه ، فبأى حق يفرض عليهم ؟! ٠

وما هذا الحماس والتعصب الشديدان لرأى كشف العقـــلاء سوءه ٠ أو ضاقت الجماهير بأثره ؟

لماذا أقسر قسرا على اتباع « كارل ماركس » وهو فى نظرى حائر ضل الطريق ؟

لماذا يقال للتجار الذين كسدت سوقهم أو للفلاحين الذين نقصت ثمارهم : لا بد ان تتبعوا هذه الطريقة بعينها فى التجارة والزراعة مهما كانت النتائج ٠٠ ؟

ان هذا التقديس الغريب لرأى واحد من الناس لا يقبل ٠

وهذه الرغبة المجنونة لقلة من « المفكرين » أن تفرض فكرها على العالم أجمع ٠٠ لا تعقل ٠

ولكن هكذا تريد الشيوعية أن تسير !! ٠

انها تسير على أنقاض حريات مهددة وحقوق مستباحة ، وأنين مكتوم للضمائر المقتولة والكرامات الضائعة !!

❁ ❁ ❁

ان التماس أسانيد عقلية للشيوعية وامتدادها جهد لا طائل وراءه ، فان الاسباب الكامنة وراء التعصب الشيوعى وقســوته نفسية لا فكرية ٠٠

فالحرمان الاليم الذى يتعرض له البعض ، وتفاوت الفرص الذى يرتفع بأقدار ويطيش بأخرى ، هذا وذاك يخلقان ظروفا مادية ومعنوية ، منحرفة مدمرة تجعل اصحابها ينطلقون وقـد تملكهم شعور جارف بضرورة التغيير الشامل لاحوال العالم كلها٠٠

ومما يعين على ذلك تبلد الضمير الديني ، وسكوته على المناكر الاجتماعية ، واشتغاله بنوع من الفقه يرضى الناس أكثر مما يرضى الله ، ويصون العاجلة أكثر مما يصون الآجلة ..

لقد فكرت يوما فى التدين المسيحى الذى يسود الغرب ، والتدين الاسلامى الذى يسود الشرق ، فوجدت نماذج التطبيق الشائعة تعمل ضد الدين لا معه .

فى الغرب توجد أبشع صور الاستعمار ، والتفرقة العنصرية والمطامع البشرية .

وعندنا ؟ ان الملك فاروقا تولى الحكم بضع عشرة سنة ، وكذلك الملك سعود ، وقد خرج كلاهما من الحكم وهو يملك القناطير المقنطرة من المال ..

والغريب أن أحدهما لما أخرج لم يوجه اليه اتهام بأخذ مال الله أو مال الناس ، وانما أخرج لعلل أخرى !! كأن التخوض فى المال العام انطلاق فى كلأ مباح ..

ان هذه الصورة المخزية تورث كفرانا ومروقا ، ولعلها تشعل فى قلوب الشيوعيين أحقادا لا يخبو لها ضرام ..

ومع انكارنا نحن لهذه المآثم ـ باسم الله ـ ومع أن صوتنا كان أجهر وأسبق فى التحذير منها ومن عقباها ، الا ان هذه الاخطاء لا تسوغ الانحراف الى الشيوعية ، ولا تعطى التفكير الشيوعى شيئا من الوجاهة .

بل لقد ظهر من التطبيق العملى للشيوعية أن لصوص السلطة أخطر على البشرية من لصوص الثروة ، وأنه فى ليل الاستبداد الطويل ـ حيث تسود الشيوعية ـ يفتك الحكم الفردى بالغالى والرخيص من حقوق الجماهير كما يذهب بأقدار العلماء وأصحاب الامتياز على الاجمال ..

ثم أين تكافؤ الفرص يوم يكون الحكم حكرا على حفنة من الرجال الذين وصلوا بطريقة ما الى رأس الهرم ؟! .

ان دسائس القصور القديمة تأخذ صورة أخرى فى هـــذا الطراز من الحكم ، فلا عجب اذا انتقل رجل من منصب الوزارة الى السجن أو من منصب الرياسة الى البيت دون تدخل الجماهـير أو مشورتها ..

ومع أن الشعب آخر من يعلم بهذه التقلبات فهى تتم باسمه!!

لقد بذل العالم تضحيات جسيمة حتى ظفر بالحـــريات التى تحفظ حقوقه المادية والادبية ، بيد انه ـ من غير عوض حقيقى ـ ترك هذه الحريات كلها ، لعصابة من الرجال الذين زعموا لنفسهم العصمة أو القداسة أو الولاية على الشعوب ، وهـذا هو لبـاب النظام الشيوعى .

ان الانفراد بالسلطة شىء خطير جدا فان نشوة السلطة أعتى من نشوة الخمر ، واذا كان المـــال الواسع يورث الطغيان فان الاستبداد بالحكم يورث الجبروت والارهاب ..

وما أتعس أمة تلقى زمامها لفرد فذ يتصرف فيه كيف يشاء ، أو للجنة مغلقة تتداول الامر بينها ، وتستوحى فيه اولا وآخرا مذهبا اعتنقته أو رأيا تشبثت به .

ومن هنا فان الحكـــم الفردى لا ينفك أبدا عن المعتقـــلات المزحومة ، والمحاكمات المزورة ، والاوامر المبهمـــة ، وسلسلة التعليمات التى تهبط من أعلى الى أدنى دون استبانة أو استشارة.

فمن اعترض التنفيذ ، أو أبطأ فيه ، فالسجن منه قريب .

ومن شمت منه رائحة انتفاض على المذهب أو شك فى قادته الملهمين فالويل له .

بهذا النمط من القسوة والجبروت تسير الامور هادئة دون معارضة أو نقد . والمدهش أن فى روسيا دستورا يتحـــدث عن الحريات الدينية .

والواقع أن الحرية الشخصية كالحرية الدينية أقوال مسطورة لا مكان لها فى مجتمع يقوم على فلسفة محدودة قوامها انكار الله، واشاعة كل شيء ·

وأى محاولة لجعل الالوهية حقيقة فى ميدان التربية والسلوك، أو لجعل المال ملكا خاصا فى ميدان العمل والانتاج لا تلقى الا اراقة الدم وازهاق الروح ·

ذلك بالنسبة الى المبادىء ·

ولكن القداسة سرعان ما تنتقل من المبادىء الى الاشخاص الذين يمثلونها ويحرسونها ·

وهنا تحتل عبادة الزعيم أو الحزب مكانا كبيرا فى نفوس الاتباع ··

فصاحب الحظوة هو الاكثر ملقا والاشد تفانيا · أما أصحاب الشخصيات المستقلة والافكار المتحررة فمستقبلهم كالح ،ومكانتهم مهددة ويغلب أن تقودهم هذه الخصائص الى المنافى والسجون ·

ويقول الاستاذ الشيخ عمر الاسكندرى تعليقا على نصوص دستور سنة ١٩٣٦ الذى يحكم روسيا الآن :

الحقيقة أن « ستالين » صرح من بادىء الامر أن دستور سنة ١٩٣٦ وضع للمحافظة على دكتاتورية الطبقات العاملة وعلى مركز الحزب الشيوعى بصفته الموجه لسياسة الحكم ·

بل ان الدستور نفسه نص على ان الحزب الشيوعى هو الاداة الموجهة للمنظمات الخاصة بالعمال من اجتماعية وحكومية وعلى أن حق الترشيح للانتخابات مقصور على المنظمات العامة للعمال وجمعياتهم والنقابات الصناعية والجمعيات التعاونية ومنظمات الحزب الشيوعى ومنظمات الشباب والجمعيات الثقافية ·

فكأن الدستور ضمن بذلك أن يكون كشف المرشحين للانتخابات من صنع الحزب الشيوعى أو المنظمات الخاضعة لاشرافه ·

فلا عجب بعد ذلك اذا رأينا أن القـــوانين تمر فى مجلس السوفيت بدون مناقشة وبالاجماع ٠

فأين هذا كله من الديمقراطية ؟ وكيف يجـــوز لزعمـــاء السوفيت أن يقولوا ان هـــذا النظام هـــو أرقى درجـــات الديمقراطية ؟! ٠

تقول الفلسفة الشيوعية ان دكتاتورية العمـــال هى أرقى أشكال الديمقراطية فان الدولة بناء على هذه الديمقراطية هى ملك لطبقة العمال !! ٠

وحيث أنه لا يوجد بالبلاد سوى طبقة واحدة فلا داعى لغير حزب واحد يمثل النابهين من أبناء هذه الطبقة ويكـــون واجبه توجيه وتعليم الجماهير !! ٠

وفى خـــلال دور الانتقال الذى لم تتوافر فيه بعـــد أركان الشيوعية الكاملة للمجتمع ٠ وحيث ان الصعاب تكتنف البلاد من كل جانب من نقص فى الموارد الى مناوأة من العناصر المعادية يجب أن يكون للدولة السيطرة التامة على جميع الشئون ولو اقتضى الامر استعمال القوة ٠

وما دام هذا هو الاساس فمآل جميع الحريات التى يكفلهـــا الدستور حتما الى التدهور والفناء ٠

ثم يقول : والمشكلة الكبرى فى النشر أو ابداء الرأى هى : الى أى حد يجوز النقد ؟

لقد كانت المدة من ١٩١٧/١٩٢٢ عهد تسامح كبير فى ذلك فكثرت مهاجمة نظام الحكم وخشى أولو الامر سوء العاقبة فصاروا من ذلك الحين يشترطون لحرية النقد أن يكون غير متعارض مع السياسة السوفيتية صراحة أو بطريق التعريض ٠

وغالوا فى ذلك حتى امتدت المـــراقبة الى المؤلفات الادبية والتاريخية والعلمية والفنية بل الى الموسيقى والنحت والتصوير٠

وصار أصحاب هذه الفنون عرضة للاتهامات السياسية الخطيرة٠

وقد ضحى بالكثيرين منهم فى حركات التطهير التى أجريت عامى ١٩٣٦/١٩٣٧ ٠

أما ما بقى من الانتقاد الحر فهو ما يعرف بالنقد الذاتى السوفيتى ٠

وهو نقد تبيحه الحكومة وتشجعه ، بل ان حركته تدار من الحزب الشيوعى بغرض اذاعة المعلومات أو الدعاية ٠٠

ويتناول البحث فى جزئيات سير العمل دون التعرض للسياسة العامة ٠

واذا تعرض للمشروعات العامة كان الاعتراض بشأنها مقصورا على المزمع منها قبل اقراره ومتى تم اقراره أقفل باب الاعتراض ٠٠

أما الحرية الشخصية وحماية الفرد من الاجراءات غير القانونية فقد نص عليها الدستور السوفيتى نصا صريحا وعدد الضمانات التى تكفلها ٠ غير أن الباب مفتوح لتقييد كل ذلك فى التنفيذ العملى بحجة أن سلامة الدولة أهم من سلامة الفرد ٠

وهو المبدأ الذى جاهر به « لينين » منذ قيام الحكم الشيوعى اذ قال بصراحة : أيهما أفضل :

الالقاء فى السجن بعشرات أو مئات من المتهمين مذنبين كانوا أم غير مذنبين ؟ ٠

أم فقد آلاف من الجيش الاحمر والعمال ؟

ولا شك أن الاول هو أفضل الامرين وانى أرضى عن طيب خاطر أن أتهم بالخطيئة والاعتداء على الحرية فى سبيل مصلحة العمال ٠ أ ٠ هـ ٠

وقد مضت السنون بعد ذلك ، وقننت القوانين ، ونظمت المحاكم على اختلاف درجاتها ، وعينت اجراءات التحقيق ، وبذلت الجهود لجعلها كفيلة بقدر الامكان بحماية حرية الفرد ومنع العقوبة عن البرىء ٠

غير أن ذلك لم يحل دون الاخذ بجوهر المبدأ الآنف الذكر ·

وفى قانون العقوبات السوفيتى متسع لما يريده رجال الدولة فى هذا الشأن ·

والمعروف فى أرجاء العالم الحر أن لا جريمة بدون نص فى القانون على ما يرتكب من الافعال لتكوين أركانها ـ بعكس الحال فى القانون السوفيتى فانه يكفى فيه لاعتبار أمر ما جريمة أن يكون من شأنه أن يجر خطرا على الدولة أو نظام المجتمع وان لم يكن فى ذاته داخلا فى عداد الجرائم المنصوص عليها فى القانون·

بل يكفى للقبض على الاشخاص واعتبارهم مصـــدر خطـر اجتماعى أن يكونوا ممن سبق لهم اتصال بنشاط قديم قضى عليه وان لم تكن هناك جريمة من هذا الجانب !!

وقد كان للشيوعيين فى أول عهدهم بالحكم هيئة حكومية يقال لها « الشيكا » ذات سلطة هائلة تخولها اجراء التفتيش والقبض وفرض العقوبات بدون الرجوع الى الهيئات القضائية ·

ومع أن هذه الهيئة قد استبدل بها غيرها مرتين وأنقص من أطراف سلطتها ، فان آخر هيئة خلفتها ـ وهى من فروع وزارة الداخلية ـ ما زالت لها سلطة واسعة تؤهلها فى كثير من الحالات لاجراء التحقيقات وفرض العقوبات دون الرجوع الى القضاء ·

ومن أشهر هذه العقوبات الحكم بالاشغال الاجبارية فى المعتقلات الخاصة بها لمدة خمس سنوات والابعاد الى الانحاء النائية لمـــدد معينة والنفى خارج الاتحاد السوفيتى ·

❁ ❁ ❁

ولنا ملاحظات على مجـــالات الحـــرية الضيقة التى يوفرها الشيوعيون للامة ولننظر أولا الى ما يسمونه النقد الذاتى ·

انه حق يتصل بالوسائل لا بالاهداف · فاذا تقرر خفر ترعة فالنقد مباح لمنجزات العمل اليومى مثلا ، أو لطـريقة الحفر ، أو لتوزيع الاعباء ··

واذا تقرر بناء مصنع أو تشغيله ، فالنقد مباح فى نطـــاق ما يتمم البناء بقـــوة ، وعلى عجل ، وما يدير الآلات بدقة ويكفل وفرة الانتاج ..

أى أن النقد مباح فى الخطة التنفيذية فقط .

أما السؤال : ما قيمة شق الترعة وجدواها ؟ ما قيمة انشـــاء المصنع وأرباحه ؟ فذلك لا يجوز لانه يتصل بسياسة الحكومة وهى فوق النقد .

وقد كان « فكتور كرافتشنكو » شيوعيا مخلصـــا للحـــزب ومتحمسا لبناء روســـيا الجـــديدة ، واستغـــل حينا هـــذا النقد الذاتى .

ولكنه ضرب وأهين وركل بالاقدام لانه توسع فى هـــذا النقد وأباح لفكره أن يتساءل عن المقاصد والغايات .

ثم ان هذه الخطط التنفيذية التى أبيح نقـــدها نظريا كثيرا ما تكون من وضع الزعيم أو رجاله المقربين ، وهنا تنعقد الالسن عن النقد ، لان ذلك يعرض الايمان للقيل والقال ، ويجعل ولاء المرء للحزب موضع ريبة ... !!

وحيث يسود الحكم الفردى يرتفع المداحون والمتملقـــون ، ويتأخر من لا يحسنون الزلفى ويخاصم من يضيقون بالاخطاء ..

ولقد ألفت عشرات الكتب فى عظمة « ستالين » وعبقريته فلما انتهى تبين أن هؤلاء المؤلفين كذبة .

وفى الوقت الذى كان المدح يكال « لستالين » كان أنداده من رؤساء انجلترا وامريكا يحاسبون على تصرفاتهم ببصر نافـــذ واحصاء شامل .

حتى أن الانكليز أخرجوا « تشرشل » قائدهم المظفـــر فى الحرب ، أخرجوه من الحكم وولوا من رأوه أكفأ .. !!

فما قيمة هذا النقد الذاتى الذى أباحه الشيوعيون ؟ . وكم يساوى بالنسبة للحرية العظيمة التى توفرت فى أقطار الغرب؟!.

ان الحرية لا تتجزأ ولا يجوز أن توضع حدود أمام حرية النقد.

لقد أعطى « هتلر » نفسه حق العمل الذى لا يعترض فمـــاذا كانت العاقبة . ؟

هـــل حق النقـــد الذاتى لخطط التنفيذ أغنى شـــيئا عن العوج الاصلى ؟! .

كلا ..

وانتحر المغرور بعد ما جر شعبه للكارثة ، وبعد ما فقـــدت ألمانيا ملايين الشباب من زهرة بنيها ...

ان الشعوب لا تستغنى عن حرية النقد الشامل ما دام النقـد يعتمـــد على وجهـة نظـر ممكنة القبـــول ، وما دام مبرأ من الاغراض السيئة .

ويعتذر الشيوعيون بأن مصلحة الدولة وحمـاية العمـــال والفلاحين هما السبب فى فرض هذا الكبت .

ونقول العذر الصحيح المقبول لهذا الكبت هو حماية الشيوعية نفسها وحماية القلة المتمسكة بها ..

فما من شك فى أن الحريات المطلقة تقتلع هـــذا النظام من جذوره كما صرحنا آنفا .

أما التمسح بالعمال والفلاحين فهـــذا لغو من الكلام . فان العمال والفلاحين هم الضحايا الاول للنظام الشيوعى .

ولو ملكوا أمرهم لاطاحوا به الى الابد .

وسنشرح أسباب ذلك فى الفصل التالى .

الفصل الرابع

الاحوال الاقتصادية فى ظل الشيوعية

الطبقات الكادحة وما تعانيه ـ الاقتصاد الشيوعى سبب العلة ـ الاسلام يحمى حرية التملك وينقى مصادر الكسب ـ سر بقاء الشيوعية حكم الشعب ـ نظام السخرة واستعباد المسلمين فيه ..

❁ ❁ ❁

أهم ما يسترعى الانتباه فى حديث الشيوعيين غضبهم الشديد للمظالم التى نزلت بالطبقات الكادحة من فلاحين وعمال . ووعودهم المعسولة بأنهم عندما يحكمون سيصنعون العجب لتنعيم هذه الطبقات وتكريمها .

وحكم الشيوعيون فى روسيا والصين وبلاد أخرى فما الذى حدث ؟

ما سألت قادما من هذه الدول الحمراء ولا قرأت كتابا محايدا الا تبين لى أن العمال والفلاحين شر الناس عيشا وأسوؤهم حالا ..

وأنهم يحيون دون أندادهم فى البلاد الاخرى .

ومن المؤكد أن الشيوعيين قسمان :

١ ـ أعضاء الحزب وقادته والمتعاونون معهم من الموظفين والعلماء وأهل الفن وغيرهم وهؤلاء ينعمون بدخول مرتفعة وتتاح لهم فرص واسعة من المتع والرفاهية .

٢ ـ جماهير الفلاحين فى المزارع الجماعية ، والعمال فى المصانع المؤممة . وهؤلاء يبذلون أضعاف ما يكسبون ولا يرون فى مساكنهم الا الضيق أو فى مطاعمهم الا التفاهة ، أو فى ملابسهم الا الخشونة !!

وأحوالهم على الاجمال يتقسمها الاجهاد والاكتئاب ٠

وقرأت أن آباءهم أيام القياصرة كانوا أسعد حظوظا وأرغد عيشة ٠

وقائل هذا الكلام والد « فكتور كرافتشنكو » الذى قاتل القيصرية وحبس فى سجونها طويلا لنقمته على عهدها ٠

فلما هلك القيصر الابيض وخلفه القيصر الاحمر كان الرجل الثائر يدير عينيه فى ذل الفلاحين والعمال ، ثم يطوى نفسه على الانكار والحزن ولو كان عربيا لتمثل بقول الشاعر :

رب يوم بكيت منه فلما صرت فى غيره بكيت عليه ٠٠

وسألت طلابا وأساتذة زاروا دولا شيوعية كثيرة فاتفقت اجاباتهم على أن الضنك هو الطابع السائد على الجماهير ٠ وقالوا: لو أن أشد المتحمسين للشيوعية عندنا خبر دخائل الناس هناك ، واقترب من شئونهم الماسة لكفر بهذا المذهب الى الابد ٠٠ !!

لقد حكمت الشيوعية روسيا نصف قرن الآن ، ولى خلاله جيل ، وترعرع جيل ، وتاح لها من الوقت والمال ما تبنى به العالم الذى تريد ٠٠

فهل تقدر على اجراء انتخابات حرة ؟ يقول الناس فيها كلمتهم ضد هذا النظام أو معه ؟

كلا ٠٠ لا تزال الحكومة تفرض نفسها بالقوانين القاسية والاوامر العسكرية وهى توقن بزوالها من الوجود لو تم الاحتكام الى مشيئة العمال والفلاحين ٠٠

فهل معنى هذا أن العمال والفلاحين سعداء ؟ !

ومما لا يستحى من ذكره أن الاسر الروسية التى تجىء للعمل فى مصر تشعر بسرور كبير ٠ وتقف المرأة أمام بائع البقول والخضر والفاكهة وهى دهشة !

أهذا كله معروض للبيع دون حرج ؟
أتستطيع أن تشترى منه ما تشاء دون قيد ؟

فلا غرو اذا سمن النحيف وطعم المحروم ٠

وكثيرا ما سمعت التنويه بخيرات مصر ورخائها الذى يحلم به جمهور الشيوعيين فى بلادهم ذات الطول والعرض ٠

وفى سنة ١٩٣٣ تولى هتلر شئونها ، وخلال ست سنوات أو سبع كانت ألمانيا أقوى دولة فى القارة ٠

مع أن مصر الآن تجتاز مرحلة تقشف بسبب تنمية الصناعة وتقوية الجيش ٠

ومع ان مصر بلاد فقيرة بالنسبة الى بلاد أخرى ثرة الموارد ٠

❁ ❁ ❁

والاخبار تتواتر لدينا عن الفروق الشاسعة بين شطرى ألمانيا الشيوعى والرأسمالى ، فألمانيا الشرقية يغمرها البؤس والتطلع ٠ أما ألمانيا الغربية فهى متخمة بالثراء والنعيم ٠٠

والالمان هنا وهناك اخوة لا يختلفون فى المواهب الفكرية والخصائص النفسية ٠ لكن طبيعة الفكر الشيوعى وخطته فى الانتاج علة هذا التفاوت ٠

ولعل من أعظم الامثلة لقيمة الاقتصاد الشيوعى وغير الشيوعى حالة روسيا وألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية ٠

فان الروس الذين يبلغون نحو مائتى مليون والذين يسكنون ويستغلون سدس الارض مشوا تحت لواء الشيوعية من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٤٠ وملؤوا الدنيا أحاديث عن مشروعات السنوات الخمس التى جعلتهم عمالقة فى السلم والحرب ٠

فلما وقع الغزو الالمانى لروسيا تكشف ذلك كله عن فراغ رهيب ٠٠

وماذا كانت ألمانيا ؟ لقد خرجت من الحرب الاولى مجردة من سلاحها ومصانعها ومناجمها ٠

والالمان ربع الروس عددا ، وأرضهم أضيق رقعة ، وعمر نهضتهم أقل الى حد الثلث من عمر النهضة الحمراء !

ومع ذلك كله فقد انطلق الغزاة الالمان فى أحشاء روسيا لا يقف لهم شيء .

ولولا مسارعة أمريكا وسائر أوربا الى انقاذ الروس لبادوا .

ان العون الرأسمالى الذى تدفق سيلا لا انقطاع له هو الذى رد الحياة الى الروس ومكنهم من استنقاذ أنفسهم وبلادهم .

أما ما فعله النظام الشيوعى فكان مجموعة أكاذيب فضحها الواقع .

❁ ❁ ❁

ولعل قائلا يقول : لو كان الروس يكرهون الشيوعية كما تزعم ما استماتوا فى رد العدوان عن بلادهم على هذا النحو المعجب الكريم !!

والجواب : ان سياسة « هتلر » هى التى خلقت هذا الموقف .

كانت سياسته الذبح والدمار والابادة الشاملة . فلم يكن أمام الروس الا أن يتكاتفوا ضد هذا الفناء المغير .. !!

ولو كان الرجل يؤمن بكرامة البشر ، وتحرير العبيد ، وحق الشعوب الاخرى أن تشارك شعبه الحرية والمساواة ورغد العيش، لكان الروس الآن شيئا آخر .

ان النظام الشيوعى يضعف الانتاج بقدر ما يحرج المنتجين .

انه يوهى العمل والعمال جميعا لانه يقتل مبدأ الملكية ويشل غرائز الكفاح التى غرسها الله فى دماء الناس .

والدين فى فجر الخليقة أباح التملك ، وصانه ، وشد به زناد النشاط الانسانى ، الى أبعد مدى .

لكن الشيوعية تصادر حرية التدين والتملك معا ، يقـــول الاستاذ الشيخ محمد عرفه (١) : مقاصد الشيوعية العليا هى الغاء الملكية الفردية ، وجعل المرافق العامة كالارض والمناجـــم والمصانع ملكا للدولة تستغلها وتوزعها ..

تستغلها بالشعب ، وتوزعها عليه ، فيبذل كل من العمـــل حسب قدرته ويأخذ كل من الغلة حسب حاجته .

وذلك يستتبع اضعاف المنافسة فى الصناعة وأبواب العمل الاخرى .

وانما عمدوا الى ذلك كله لانهم رأوا تفاوت الارزاق واختلاف الحظوظ ، فهذا يملك الكثير وهذا يملك القليل او لا يملك شيئا.

فقدروا نظاما تلغى فيه الملكية الفردية ، وتوسلوا الى ذلك بالوسائل التى ذكرناها .

والاسلام يبغض نظام الطبقات المتفاوتة الشديدة التفاوت ، ويرفض ان تنقسم الامة الى قسمين :

الثراء والجاه والقوة والترف فى جانب ، والفقـــر والضعف والحرمان فى جانب آخر .

ولكنه لم يشأ أن يحارب ذلك بمنع الملكية الفردية ، واهدار المصلحة الشخصية ، لانه اذا فعل ذلك فقد ألغى الامـــل وألغى بالغائه البواعث على العمل .

وقـــد أوجـــد الله هـــذه النزعـــات فى الشخص لينتج وينافس ويسبق .

ثم هو لا يناله بعد طول الجهد الا ما ينال الانســـان الجزئى المحدود القدرة والرغبات والشهوات .

وفائض انتاجه يكون للمجتمع بحكم طبيعة الوجود ، فليس يأكل أكبر رجـــال المال فى سبعة بطون بل فى بطن واحـــد كسائر الناس .

---

(١) من كتابه « الاسلام أم الشيوعية » بتصرف يسير .

وما يبذله من اختراع وابتكار وجهد مضن ليست ثمـــراته كلها له ، بل له منها القليل والباقى لامته وللانسانية ·· !!

ان مثل الشيوعية فى تحريم الملكية الشخصية لما تنتجـه من بعض الضرر ، كمثل من رأى العين قد تنظر الى ما لا يجل فتجلب لصاحبها الهوى ، فكره قـــوة الابصـــار فطلب اعدامها وحرمان الناس اياها !

يظن الابله أن العمى خـــير لان المبصر قـــد ينظـــر الى ما لا يجوز ·· !!

أما الاسلام فيرى أن فى هذه القوى والملكات خيرا كثيرا فاذا نتج عنها ضرر عولج مع مراعاة الابقاء عليها والافادة منها ··

ثم ان الشيوعية نظرت الى المسألة الاقتصادية فقط وأخـذت تعالجها ، غافلة عن كل شىء غيرها ، كأن الوجـــود لا يعـــدو هذا الجسد ··

ومن المعلوم أن الانسان ليس حيوانا فحسب بل هـــو حيوان عاقل له مطالبه الروحية ونزعاته العقلية ، وله أشواق مشروعـة فى المحافظة على نوعه والعناية بولده ··

فعقله يحتاج الى الحرية لينتج ويبتكر ، والمصلحة الشخصية تدفع الى المنافسة ومضاعفة الانتاج وتقدم النوع البشرى ··

ومثل من يعالج جزءا من البدن غافلا عن بقية الاجزاء كطبيب يعالج جزءا مريضا فيفرط فيما يفيده ، غافلا عن أن ذلك يضر ببقية أجزاء الجسم ·

أما الاسلام فقد عالج المسألة الاقتصادية دون أن يفرط فيما عداها من المشاكل ··

ونظر الى حال الانسان ومستقبله ، والى طبيعـــة الوجـــود التى تقتضى الترقى فى سباق مفتوح ، لا تزحمه العوائق المفتعلة·

أطلقـــوا هـــذه الملكات والنوازع والبواعث من مكامنها ، ودعوها تفعل فعلها ، ففى ذلك تقدم البشر وسير مواكب العالم نحو الرقى كما هو سير التاريخ ·

وحذار أن تلغوها أو تبطلوها فتبطلوا الحكمة من وجودها ، فقد جعلها الله وسيلة للكمال وجعل فيها حظ صاحبها لئلا يفتر ٠

كما جعل فى الاقتران بين الرجل والمرأة وسيلة لبقاء النوع وجعل فيه حظ الزوجين لئلا يمرضا أو يفترا ، فتفوت مصلحة بقاء النوع الانسانى ٠

لقد أجاز الاسلام التملك الفردى ، وشرع الميراث نتيجة له ، وحافظ على الاملاك حتى جعل على السارق اذا تعدى وسرق مال غيره عقوبة قطع اليد ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم :

«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

أما تولى الدولة الانتاج والتوزيع فقد جربناه فى تاريخنا الماضى أيام محمد على باشا الكبير حين احتكر الزراعة ونزع الارض ممن كانت تحت أيديهم ، وكان يعطى الفلاحين البذور والماشية ليزرعوها لقاء أجر يأخذونه من غلتها ، فأدى ذلك الى أن الزراع كانوا يهربون من الارض ، وقل الانتاج ، وكثرت نفقاته ، ولم يحمد هذا الاحتكار فى الزراعة والتجارة ، وعاد الامر الى الملكية الفردية تدريجيا فى أيامه وأيام الولاة من بعده ٠

وقد رأينا الاملاك الاميرية قديما والدولة تتولى انتاجها ٠

ولعلنا نكون قد رأيناها تنتج أقل ثمرة بأكثر نفقة ٠

ولعلنا سمعنا أخبار تعسف القائمين عليها واستبدادهم بالأجراء والفلاحين ٠

ولعله لم تغب عنا أخبار الحرب العالمية الثانية حين تولت الدولة توزيع الطعام والكساء فرأينا الاتجار فيها كيف يكون !

ورأينا من التجار من يأخذ آلاف القناطير من السكر ليعمل بها الحلوى فيبيعها بثمن غال فى السوق السوداء لمن هم فى حاجة شديدة اليها ٠

ورأينا من يملك عشرات البطاقات لشراء الصوف فيتجر فيها ومن لا يملك بطاقة واحدة ٠

ورأينا من يأخذ ستين مقطعا من الاقمشة الشعبية وبجانبه من لا يستطيع الحصول على الامتار ٠

ولقد كنا نوازن بين أن تترك العوامل الاقتصادية تسير سيرها وتفعل فعلها ، وبين أن تقيد وتعطى الدولة هذه السلطات الكثيرة فنرى الاولى خيرا ورحمة والثانية شرا ونقمة ٠

فهل نريد أن يتحكم أفراد منا فى طعامنا وشرابنا وكسائنا وسكنانا ؟

اننا نريد أن ينحصر سلطان (١) الدولة فى أضيق الحدود ولا نريد أن نعطيها هذا السلطان المطلق ، وهذا التدخل فى كل شىء فقد جربناه فلم نحمده ٠

اننا اذا قلنا ذلك ، قالوا : الاخلاق ! ويجب أن يكون عمال الدولة من ذوى الاخلاق الفاضلة ٠

ونقول : ولماذا نكون طلقاء فتلجئونا الى أن نقيد ؟ فاذا أشفقنا من القيد وثقله ، قلتم أننا سنعمل على أن يكون قيدا من ذهب ؟! ٠

على أننا سنجاريكم ، ونأخذ بالحيطة ، ونرى أنه ينبغى أن نقدم أولا تهذيب القائمين بالامر ، وتكون هذه هى المرتبة الاولى ٠ ثم ننظر ثانيا فى تسليط الدولة على كل المرافق ٠

أذلك يجدى ؟ كلا ٠

فان طبيعة العمل المشترك تدعو الى التساند والتواكل ، وطبيعة اتساع نطاق سلطة الحكومة على الافراد تدعو الى التعدى والظلم ٠

اننا نحسب أن الذين يغريهم برق الشيوعية الخلب ، يفرض كل واحد منهم أنه سينال حاجته بأقل سعى ممكن ويفرض أنه يهرب من الحمل ويحمله الآخرون ٠

---

(١) نحن نرى أن المصلحة قد تقضى بتأميم المرافق العامة ، والاشتراكية فى دول الغرب الحرة تضع ذلك بين برامجها ، وذلك شىء غير فرض الشيوعية على الامم ٠ فان الحريات الواسعة حيث تبقى الكرامة الانسانية بالدين ٠ والشورى تصون المال العام وتدعم الحوافز الخاصة ٠ ومن الممكن بالنقد المتاح والضمير الحى تلافى سيطرة الحكومة على هذه المرافق ٠

فيكون مثلهم مثل أهل البلد الذين أرادوا أن يقدموا لحاكمهم الجديد هدية برميلا من زيت ، وجعلوا على كل واحد منهم قدحا منه ، فخطر لعمدة البلد أن يقدم قدحا من ماء ، وهو لن يعرف فى وسط هذه الاقداح الكثيرة من الزيت فنفذ فكرته ..

ولما قدم الهدية الى الحاكم وفتحها ، وجدها برميلا من الماء ، لا نقطة فيه من الزيت اذ هذه الفكرة لم تدر بخلد العمدة وحده ، بل دارت بخلد الجميع .

ونحن اذا أرخنا الحضارة الحديثة ، وبحثنا عن أصولها وأسباب ازدهارها ، وجدنا سر هذا الرقى الانسانى فى الجهد الذاتى الذى يدعو الى الامل ، والحرية فى الاختيار ، ورفع سلطة الحكومة عن الافراد الا فى حدود ضيقة ..

لماذا نترك هذا النظام الى نظام آخر تختفى فيه المنافسة ، والجهد الذاتى ، والحرية الشخصية ، وتتدخل فيه الحكومة فى كل شىء ؟! .

فليت شعرى أنترك ما تحقق نفعه الى ما لم يعلم نفعه ؟!

أنترك هذا النظام الذى من آثاره ذلكم التقدم الانسانى الرائع فى الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والمعارف ، والذى بدل الارض غير الارض ، الى نظام أقل ما فيه أنه مجهولة نتائجه ، بل اذا اهتدينا فيه بهدى العلم علمنا أنه يميت فى المرء الهمة الذاتية ، والجهد المستمر ، وتلك آثار داعية الى التقهقر والانحطاط ؟! .

ما من شىء يضطرنا الى اعتناق الشيوعية ، لانه ما من شىء يضطرنا الى المجازفة بمستقبل الانسانية .

وما من شىء يضطرنا الى الرجوع بالانسانية الى عهود التأخر والانحطاط .

نعم لا شىء الا ما يسمونه رفع الحيف عن العمال والزراع ومحاربة نظام الطبقات !! .

وهذا يمكن علاجه حيثما وجد بوسائل تبقى المنافسة والجهد الذاتى والحرية الشخصية وتزيل عن الفقراء كل الاضرار التى يشكون منها كما فعل ذلك الاسلام ..

❁ ❁ ❁

ونحن نحس أن الحوافز الشخصية قوة تيسر الصعب ، وتورث الجرأة ، وتحتال على ازاحة العوائق وتصبر على بعد الغاية والتواء المراحل .

انه لولا عرام الغريزة الجنسية وعظم الطاقة الكامنة فيها لانقرض الجنس البشرى ، فان بقاء هذا الجنس لا يمكن لو كان مرتبطا بالمشاعر الفاترة أو الافكار العقلية ، أو المكافآت التشجيعية .

ونماء الحياة وارتقاؤها يرتبطان ارتباطا وثيقا بغرائز حب النفس والولد ورغبة التفوق والتملك .

وهى طبائع بناءة بعد ضبطها وتهذيبها ..

وشرائع الله لعباده لم تمحق هذه الطبائع ولم تدع الى اماتتها، وانما راقبت مسيرها ، وحددت وجهتها ، وتدخلت بالمحو والاثبات فى مقاصدها وأهدافها .

وكان المفروض أن تموت الشيوعية فى مهدها بعد ما صادرت مبدأ الملكية الخاصة فى أعقاب مصادرتها للدين نفسه .

ولكن الاسلوب الذى فرضت به الشيوعية نفسها ، وفر لها الحياة والتقدم من ناحية أخرى .

فمبدأ « من لا يعمل لا يأكل » جعل العمل الزاما على كل مخلوق ، ذكرا كان أم أنثى ..

ثم ان المرء قد يدفعه الخوف المزعج كما يدفعه الشوق المقلق.

وقد استطاع الشيوعيون اقامة نظام بالغ الرهبة شديد الصرامة ، يجعل الناس ليلا ونهارا فى شغل شاغل ونصب دائم .

وربما أعطيت المجتمعات الرأسمالية رذائل الفراغ والعطل ، وضياع الاوقات والطاقات سدى ٠

أما هؤلاء الشيوعيون فبلادهم خلايا دائبة الحركة ، موصولة الطنين ، قد أصبحوا فيها آلات حيوانية أو حيوانات آلية ٠٠

ومثل هذا النشاط يغطى عيوب النظام ، ولو الى حين ٠ !

لكن هل اختفى تفاوت الطبقات ؟ أو بعبارة أخرى هل جمهور الامة سعيد بعد ما زالت الثروات الكبيرة وأصحابها ؟

والجواب : كلا كلا ٠ فدائرة البؤس فى ظل الاقطاعيين بقيت كما هى أو انداحت أطرافها ٠٠ !!

فمدير المزرعة أو المصنع حل محل مالك الارض أو صاحب الشركة ٠

والعصا التى كان يساق بها العامل أو الفلاح تغير اسمها فقط ٠ أو تغيرت الذراع التى تبطش بها ٠

ترى هل ذلك يغير من وقعها ولذعها ؟! ٠

❁ ❁ ❁

لقد كان من الاقدار الحسنة أن يقع فى يدى وأنا أخط هذه السطور كتاب يتضمن رأى الكاتب الفرنسى « أندريه جيد » فى الشيوعية ٠

وقد كان هذا الكاتب أول أمره شديد الحماس للشيوعية قوى الامل فى مستقبلها ٠ فاستدعاه الروس ليطلعوه على أحوال بلادهم ومظاهر النهضة فيها ليزداد ايمانا بها ٠

وذهب الرجل الى روسيا وشاهد ما ظهر وما خفى من أحوالها، ثم قفل كافرا بالشيوعية ، ومنددا بسياستها الاجتماعية ٠٠ !!

وهذا الكاتب لا يهتم بقضايا الايمان ، ولا يعنيه أن ينتصر الدين أو ينكسر ، انما يعنيه أمر الانسانية فى حاضرها ومستقبلها على هذا التراب فقط ، ويغلب على ظنى أنه وجودى٠

وما أبهت لكلامه الا لانه روى بأمانة ما رأى ، وأحس العيوب الجسام التي يحاول الشيوعيون سترها ، ثم تحدث عنها دون وجل، أو دون تأثر باكرام الروس لشخصه !!

وقد طعن الشيوعيون فى نقده ونسبوه الى الهوى ، بيد أنه ينفى ذلك فيقول :

« أعتقد أنه من الخير للقضية التى يمثلها الاتحاد السوفيتى أن أتحدث عنه بغير تكلف ولا ادعاء ، ولا غمط ولا اعتداء ..

وليس فى نفسى شخصيا ما أشكو منه خلال رحلتى فى بلاده ، رغم كل تلك التعليلات الناقمة الساخطة التى انتحلت فيما بعد لتفنيد ما قلته ، وتسفيه ما نشرته ، ورغم قولهم ان انتقادى انما جاء نتيجة استياء شخصى وتذمر خاص .

وهو قول جد سخيف ، وأبعد ما يكون من الواقع ، فلم أتنقل يوما فى حياتى بذلك الترف الذى أحاط بى فى روسيا ، ولا كنت يوما أوفر متعة ، وأكثر تكريما .

ففى كل مكان وجدت أفخم السيارات لمركبى ، واذا سافرت فى القطار خصصت مركبة لمنزلى ، وأفردت لى الفنادق أبدع الحجرات ، وقدمت لى أطيب المآكل والوجبات .

ولم يكن ـ على طول المدى ـ يقدم لى الا ما هو أبدع وأفخم وأطيب .

ولله أى استقبال كنت فى كل موضع أجده ؟ وأية حفاوة تلك التى لقيتها أينما نزلت ؟ لقد كنت أبدا موضع التكريم والترحاب، وكان القوم يرون كل هذا قليلا فى حقى ، ويسيرا لمثلى .

حتى لقد عدت وأنا حافل الذاكرة بآيات الحفاوة التى شهدتها والخطوات التى ظفرت بها .

ولكنها مع ذلك ظلت . تذكرنى أبدا بالامتيازات والفوارق التى كنت أرجو أن أرى « المساواة » فى مكانها ، والمعدلة قد حلت فى روسيا محلها .. !

وحين هربت من كبار الموظفين ، ومضيت أختلط بالعمال تبين لى أن أكثرهم يعيشون فى أبشع صنوف الفاقة ، فى الوقت الذى كنت أجلس فيه الى مأدبة فاخرة كل ليلة ، وأرى الخوان حـــافلا بالاطايب ومختلف المشهيات ..

حتى لتكفى هـــذه المشهيات لاشـــباع النفس قبل أن يبدأ الطعام ذاته !

وهو عشاء من ستة ألوان منوعة ، يستغرق المرء فى الجلوس اليها عدة ساعات ، ولم أترك مرة واحدة حرا أدفع قائمة الحساب.

وليس فى امكانى أن أقدر نفقات هذه المآدب ، ولكن صديقا لى أوتى علم الاسعار فى روسيا أنبأنى أن الشخص الواحد فى هذه الولائم يكلف مائتى روبل أو ثلثمائة ، بينما كان العـامل الواحد من العمال الذين لقيتهم لا يتقاضى من الاجور أكثر من روبلات فى اليوم ، وهو القانع بالخبز الاسود والسمك المجفف .

وكان اعجابى موجها بنوع خاص فى روسيا الى الانبعـــاث غير المألوف نحو التعليم والثقافة . ولكن المحزن أن التعليم الذى يتلقاه الشعب لا يتعدى تلقينه الزهو والتفاخر بالحاضر،والايمان المطلق بالاتحاد السوفيتى ، وأن الثقافة انما ترمى الى هـــدف واحد هو تمجيد هذا الاتحاد والتسبيح بحمده .

فهى ليست ثقافة نزيهة مجردة من الهوى ، ولا هى تثقيف للعقول وتربية لملكة الحكم على الاشياء .

ان النقد لا وجود له مطلقا فى تلك البلاد ..

ولست أجهل أنهم يجعلون من انتقاد أنفسهم استعراضـا ، ويتظاهرون به تظاهرا ، حتى لقد اعتقدت فى بداية الامـــر ورجوت أن يؤدى هذا النزوع الى نتائج طيبة اذا هو طبق التطبيق الصادق الصحيح .

ولكنى لم ألبث أن أدركت أن النقد فى روسيا لا يتعـــدى البحث فيما اذا كان هذا الامر أو ذاك متفقا مع سياسة الحـــزب أو غير متفق لا أكثر ولا أقل .

لان هذه السياسة لا سبيل الى مناقشتها أو انتقادها ٠

غاية ما هنالك البحث عن مدى اتفاق أية فكرة أو رأى أو تصرف مع تلك السياسة المقدسة ، أو مبلغ اختلافها معها ٠

وهى حال ذهنية ليس ثمة أخطر منها على الثقافة الصحيحة ، ولا أشد أذى لها ٠

فلا غرو اذ ظل أفراد الشعب فى جهل تام بكل ما يدور خارج بلادهم ، بل أدهى من ذلك وأمر أن يقال لهم : ان كل ما فى الخارج دون مثيله فى الداخل بمراحل !! ٠

ولم يعد اختفاء الرأسمالية من روسيا على العمال فيها بخير أو نفع ٠

ولم يسق اليهم الحرية التى كانوا لها ناشدين ٠

فلتدرك الطبقات الكادحة خارج الاتحاد السوفيتى هذه الحقيقة كل الادراك ٠

ولست أنكر أنهم لم يعودوا ألعوبة فى أيدى أصحاب رؤوس الاموال وحملة الاسهم والسندات يستغلونهم كيف يشاؤون ٠

ولكن الواقع أن الاستغلال لا يزال قائما ، وانما أصبح مقرونا بأعجب الوسائل وأمكرها وأشدها التواء ، بحيث لم يعد القوم يعرفون من هم الملومون فيه ، ومن هم الذين يؤاخذون عليه ٠٠

فان معظم أفراد الطبقة الكادحة يعيشون تحت مستوى الفاقة٠

بينما أتاحت أجورهم ـ التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ـ الفرصة لزيادة مكاسب العمال الممتازين ، أو معاشر الخانعين المسلمين بكل ما يطلب منهم القائلين : نعم فى كل شىء ٠

ولا يسع المرء الا الدهشة من فرط الاستخفاف الذى يبديه أهل السلطان نحو من دونهم من الافراد ٠

وكذلك شدة الخنوع والذل اللذين يظهرهما هؤلاء لاولئك ٠

ان الانكسار الذى يبديه الفقراء ومعاشر المكدودين لرؤسائهم، سقوط انسانى ذريع ..

وأنا أسلم جدلا بأنه لم تعد في روسيا طبقات ولا فوارق ،ولكن الواقع أن فيها فقراء ، بل انهم فيها الكثرة البالغة ..

وكنت أرجو ألا أجد منهم أحدا ، أو بعبارة أصح ، لقد ذهبت الى روسيا لكيلا أجد للفاقة فيها أثرا ..

ولكن الفاقة هناك يعبس فى وجهها أينما سرت ، وتقابل بالاعراض والتجهم والاشمئزاز من السادة الذين حالفهم الحظ .

حتى ليخيل للمرء أنها الفاقة الاثيمة الناشئة فى أحضان الاجرام ، فلا تثير شفقة ولا تبعث على العواطف والاحسان بل ينظر اليها بعين الازدراء والاحتقار .

وما أولئك الذين يتراؤون متكبرين مزهوين الا الذين اشتروا كبرياءهم وتوفيقهم بثمن هذه الفاقة العامة ، وعلى حساب هذا الفقر الشامل » !! .

هذه الصورة الكالحة هى صورة المجتمع الانسانى الراقى كما نسجت الشيوعية خيوطه وأوضحت معالمه .. !!

ولما كنا فى عصر يجيد اللعب بالالفاظ فان هذا الهوان العام سمى حكم الشعب واعتبر تحقيقه تلبية لنداء الجماهير !!

وقد ألفنا فى الشيوعية أن الحاكم بأمره يتحدث دائما باسم الامة .

وأن حراس الارهاب المسلح يسمون أنصار السلام .

وأن نقض دعائم الدين يسمى المنهج العلمى .

وأن العودة الى الحيوانية الاولى تسمى تقدمية الى غير ذلك من المتناقضات ..

وظاهر من الدراسة والتطبيق معا أن الشيوعية مذهب سياسى يتوسل بالوسائل الاقتصادية لادراك مآربه • وأنه لو كان فكرة اقتصادية لمصلحة الجمهور لكان الجمهور هو صاحب الرأى الاول والاخير فى أخذ أو ترك ما يراه أضمن لمصالحه وأضبط لشئونه•

لكن ما يقع هو العكس ، فالجمهور يتجرع كارها متاعب هذا المذهب ونقائضه •

فاذا تململ قيل له : حذار أن تتحرك !! لابد أن ترضى بما يملى عليك !!

ومن الذى يصدر هذه الاوامر ؟

حفنة من الرجال أحاطوا أنفسهم بقداسة مبهمة ، وجعلوا من امتلاكهم للمال العام أو من سيطرتهم عليه فرصة لاتراف أنفسهم وأشياعهم ، ثم توزع المسكنة والبأساء على سائر الناس •• !!

ان التاريخ لم يعرف حكما استبداديا حصن نفسه بمثل هذه السلاسل من الحصون ••

● ❁ ❁

ونعود الى استكمال الصورة الاقتصادية للمجتمع الشيوعى •

هناك نظام السخرة ، وهو نظام يتيح للدولة تجنيد الالوف المؤلفة من العمال والفلاحين للكدح فى كل شىء دون مقابل ، أو مقابل كسرة خبز وكسوة تدارى ما تيسر من الجسم •• !

يقول الشيخ الاستاذ عمر الاسكندرى فى كتابه « الشيوعية على حقيقتها » :

كان المظنون أن بلادا كروسيا السوفيتية قامت دعائم الحكم فيها على أساس تحرير العمال واكرام مثواهم ، ألا يجد الانسان فيها للاعمال الاجبارية أو التسخيرية أى أثر •

ولكن الواقع الذى شهدت به المصادر العديدة الموثوق بصحتها أنه يوجد فى روسيا من العمال المحكوم عليهم بالاشغال الاجبارية

تحت الحراسة ـ ومعظمهم بدون أجر سوى فتات القوت الذى لا يكاد يفى بأودهم ـ ما يقدر عددهم بالملايين ٠

وذلك فى أنحاء نائية تبعد آلاف الاميال عن مقرهم الاصلى ٠

والحكومة تبذل كل جهد لاخفاء وجود هؤلاء العمال ، ولا تذكر عددهم صراحة فى احصاءاتها بل تدرجهم تحت عنوان « عمال » فقط أو لا تدرجهم مطلقا ٠

كذلك لا تسمح لاى أجنبى أو مراسل صحفى بزيارة معاقلهم أو محاولة البحث عن أماكنهم ٠

وقد حدث مرة أن صحافية كندية احتالت حتى تمكنت من دخول أحد هذه المعسكرات فأمر الاتحاد السوفياتى بطردها من البلاد فى الحال ٠

ومع ذلك فقد وصلت الى العالم الخارجى معلومات تفصيلية عن هؤلاء العمال ، وذلك عن طريق من تمكن منهم من الفرار ، ومن الكتاب الروسيين المقيمين الآن فى الخارج أو من الامريكيين الذين مارسوا اعمالا فى روسيا أو عاشوا فيها أو ساحوا فى أرجائها ٠

وقد اختلفت هذه المصادر اختلافا كبيرا فى تقدير هؤلاء العمال بسبب البيئة التى وجدوا فيها ، أو السنة التى حصل فيها التقدير ، اذ أن عددهم فى ازدياد مستمر ٠٠

فقال بعضهم انه نحو ستة ملايين ، وقال آخر انه عشرة ،وآخر انه أربعة عشر ، وآخر انه ثمانية عشر مليونا ٠

غير أنهم كلهم مجمعون على أنهم يقدرون بالملايين ، وأنهم يعاملون معاملة المساجين تحت حراسة صارمة ، وأنه خصصت مصالح حكومية هامة لتعيين أو ادارة الاعمال التى يسخرون فيها، فمنها انشاء الطرق والسكك الحديدية وردم المستنقعات وازالة الاشجار واستصلاح الاراضى النائية واستخراج الملح أو الذهب من المناجم فضلا عن الكثير من الاعمال الصناعية الثقيلة التى يسخرون فيها داخل معتقلات خاصة بذلك ٠

ومعظم هؤلاء العمال من المغضـــوب عليهـم سياسيا بسبب معارضتهم لمبادىء الحزب أو مشروعاته ٠

ومنهم طائفة « الكولاك » وهم أغنياء الزراع الذين لم يقبلوا الاندماج فى سبل الزراعة الجماعية ٠

وأضيف اليهم فى السنوات الاخيرة الكثيرون من أبناء الشعوب غير الموثوق بولائها ومن سكان الجهات الواقعة على حدود الاتحاد السوفيتى من جهة أوربا وآسيا على السواء » ٠

والشىء الذى لم يذكره للاسف الاستاذ المؤلف ، أن الســواد الاعظم من هؤلاء العمال المسخرين هم جماعة المسلمين المستذلين٠

هم المؤمنون الاحرار الذين أبوا ترك دينهم ، وبيع بلادهم ، وتسليم مقاليدها للاستعمار الاحمر ٠٠

هم أبناء التركستان والقوقاز والقرم وغيرهم الذين قاتلوا عن عقائدهم ومواطنهم الى آخر رمق ٠٠

فلما انكسر فى أيديهم السلاح وسقطوا هم وأولادهـــم فى الاسر ، كتب عليهم أن يعيشوا فى هذه السخرة الدائمـــة حتى يدركهم الموت ٠٠

وقد آن الاوان لكشف هذه الفواجع ، واماطة اللثام عنهـــا والاستماع الى ضحاياها وهم يئنون ويستصرخون ٠٠ !!

وذلك ما نبدأ الحديث فيه ٠٠

الفصل الخامس

المسلمون فى الاتحاد السوفياتى

من هم ؟ وما بلادهم ؟ ـ حول الاستعمار الروسى ـ حديث ذو شجون الى العرب الغافلين ـ فضل الاجناس الاخرى ـ نجاح الحملة الصليبية الروسية ـ النداء الشيوعى للمسلمين الروس ـ موقف الجمهوريات الاسلامية منه ـ عودة الاستعمار الاحمر ـ الابادة الجماعية ـ شكوى الى هيئة الامم المتحدة !!

❁ ❁ ❁

روسيا شيء والاتحاد السوفيتى شيء آخر !!

انهما فى المجال العملى والدولى شيء واحد ، ولكنهما من ناحية الواقع والتاريخ شيئان مختلفان !!

كانت روسيا دويلة محدودة المساحة والقدرة ، تقع فى الركن الشمالى الشرقى من أوربا لا تزيد أرضها عن الجمهورية العربية المتحدة ٠

ثم أخذت تتسع وتبتلع أقطارا أخرى مجاورة ، حتى بلغت الآن خمسة عشر ضعفا من حجمها الاول ، فوصلت الى البحر الاسود ولم يكن لها عليه موضع قدم الى عهد بطرس الاكبر ، وأطلت على البلطيق غربا ، وعلى المحيط الهادى شرقا ، واستوعبت عددا كبيرا من القوميات واللغات المختلفة ٠٠

والاقاليم المسيحية التى شملها هذا التوسع الروسى ضئيلة المساحة ، فقيرة الموارد ، وهى لا تزيد عن ـ أوكرانيا ـ واستونيا ـ ولاتفيا ـ ولتوانيا ٠

أما الاقاليم الاسلامية التى انساح فيها الروس فهى رقع فيحاء ، بعيدة المدى ، تزيد مساحتها عن القارة الاوروبية كلها عدة مرات !!

وتشمل (١) الاورال (٢) استرخان (٣) سيبيريا (٤) القرم (٥) القوقاز (٦) التركستان أى الشمال الشرقى من العالم الاسلامى أجمع ٠

ومنذ استولى أباطرة روسيا على هذه البلاد ـ خلال المائة والخمسين سنة الاخيرة ـ والجهود دائبة على سحق الاسلام فيها ، ومحو معالمه الثقافية والاجتماعية ٠٠ !!

والسياسة الروسية فى هذا الميدان جزء من المخطط العالمى الصليبى للاتيان على الاسلام كله ، ودك قواعده ٠٠

وقد تكفل الاستعمار الغربى بمحاربة الاسلام فى أفريقية كلها ، وجنوبى آسيا ٠

ومن حسن حظ المسلمين فى هذه البلاد ، أن كتابا كثيرين فضحوا هذه القارة ، ونبهوا الى اخطارها ٠٠

أما مسلمو أواسط آسيا وشمالها فقد نشب القتال بينهم وبين الروس خلال قرنين مشئومين كالحين ، داخ فيها الاسلام ، وذل ، وتفانى أهله واستهلكوا ٠٠

وذلك كله وراء حجب من الصمت تشقها بين الحين والحين صيحات الفارين من الاضطهاد ، أو المنسحبين من أرض المعركة بعد ما طال بلاؤهم وسقط لواؤهم ٠٠

كان المسلمون ضحية تعصب القياصرة قبل الثورة التى أطاحت بهم ٠

ثم كانوا بعد انتصار الشيوعية فى روسيا ضحية الالحاد الذى يكره الدين كله ٠٠

واليوم يتكون الاتحاد السوفيتي من أرض تسعة أعشارها كان اسلاميا ، ومن عدة قوميات كان أغلبها اسلاميا فى ثقافته وعبادته ، ثم حافت عليه الليالى ٠٠

خذ مثلا « سيبيريا » التى يظنها جمهور المثقفين عندنا أرضا خالية ، ينفى اليها المضطهدون الذين تريد الدولة الخلاص منهم .

هذه الارض كانت جزءا من الدولة المغـــولية الكبرى التى أسسها الامير « باطو » بن « جنكيزخان » .

وقد اعتنق المغول الاسلام ، وتحمسوا له ، وحكموا باسمـــه أمدا طويلا ، وبلغ من سطوة المغول أن « بارسلوف » دوق روسيا الاعظم اضطر أن يقسم يمين الولاء للامير « باطو » ، وأن يعلن هو وسائر أمراء الروس خضوعهم لسلطته ..

وظلت « سيبيريا » بلاد اسلامية خالصة حتى القرن الســابع عشر للميلاد ــ الحادى عشر للهجرة ــ .

ولم تسقط فى يد الروس الا بعد حرب دامت ٥٦ سنة .

وكان السلطان « كوجم » آخر حكامها المسلمين .

وقد عرض عليه الروس بعد ما انهار جيشه أن يقبل الاحتلال الروسى ويعيش ملكا تابعا لهم .

ولكن السلطان الشجاع أبى هذا العرض وآثر أن يقـــاتل دون كل شبر من « سيبيريا » المسلمة .

ففى أعقاب احدى المعارك رئى هذا الملك يمشى هائما على وجهه وقد فقئت عينه ، ومن حـــوله أكـداس القتلى من جنده البواسل !!

فعرض عليه السفير الروسى أن يقبل حماية دولته ، فأبى الا الاستماتة فى أداء واجبه .. !!

وجاء فى رده على الروس : « لا أقبل عيش الاسير ، ولا موت الذليل .

ولست أحزن لفقد أموالى وأملاكى ، وانما حزنى من أجـل أولئك التعساء الذين يعيشون تحت نير الاستعباد الروسى » .

واستشهد هذا السلطان البطل فى حرب المقاومة كما استشهد من بعده ابنه السلطان على ..

ووضع الروس أيديهم على هذه الارض الشاسعة وأسموها « سيبيريا » وهو لفظ محرف من « صابرى » الاسم القديم لهذا الاقليم ..

❁ ❁ ❁

ومضى الروس فى طريقهم يسابقون اخوانهم من غرب أوربا فى الانقضاض على هذه البلاد الاسلامية وتقطيع أوصالها .

يقول الاستاذ محمد سامى عاشور عميد معهد المعلمين :

« وفى خلال هذا التكالب الاستعمارى من ناحية الغرب، انتهزت روسيا القيصرية الفرصة فأنشبت أظافرها فى البلاد الاسلامية فى أواسط آسيا . وهى البلاد التى تقع ما بين حدود منغوليا وبحر قزوين من ناحية وبين سيبيريا الى الافغانستان والهند البريطانية من ناحية أخرى ..

بل لقد شرعت روسيا تناوش بلاد الافغان فى الوقت الذى اتفقت فيه مع بريطانيا على تقسيم ايران الى منطقتى نفوذ ، واحدة فى الشمال خصت بها نفسها ، وأخرى فى الجنوب كانت من نصيب بريطانيا .

وتشغل هذه البلاد الاسلامية فى أواسط آسيا التى استولت عليها روسيا القيصرية وقتئذ رقعة تزيد على رقعة أوربا كلها .

واذا كان العالم الخارجى لم يتنبه فى ذلك الوقت الى خطر الاستعمار الروسى فى أواسط القارة الآسيوية فمرد ذلك الى عوامل مختلفة .

فمن جهة كان الناس فى ذلك الوقت ينظرون الى التوسع الروسى فى تلك الجهات على أنه امتداد طبيعى فيما خالوه جزءا متمما لبلاد سيبيريا التى كانت روسيا تتملكها منذ القرن (١) السابع عشر .

---

(١) كانت سيبيريا أمة اسلامية كما قرأت آنفا احتلها الروس بالسلاح .

وساعد على ذلك أن آسيا الوسطى ـ سواء من حيث موقعها الجغرافى أو من حيث ظروفها الاخرى ـ كان يكتنفها ستار من الظلام ، فبدت كما لو كانت جزءا متمما لاملاك روسيا الآسيوية التى لم يكن يعرف عامة الاوروبيين عنها فى ذلك الوقت الا القليل ·

ومن جهة ثانية فان الاستعمار عن طريق البر أو الاستعمار « من الباب للباب » لم يكن لافتا للنظر كاستعمار البلاد النائية التى تقع فيما وراء البحار ·

ومن جهة ثالثة فان معظم شعوب آسيا وافريقية التى كان لها وعى سياسى أو قومى كانت مشغولة فى ذلك الوقت بمقاومة الاستعمار الغربى ·

ومن ثم كانت الحملات القومية فى هاتين القارتين كلها منصبة على بيان مساوىء الاستعمار الاوربى وحده ·

بينما كانت روسيا تتسلل فى غفلة من الناس الى البلاد الاسلامية التى تشغل أواسط القارة الآسيوية دون أن تلتفت اليها الانظار ·

وهكذا كان من حسن حظ روسيا القيصرية ـ شأنها فى ذلك شأن روسيا السوفيتية الآن ـ أنها لم تكن مضطرة الى ركوب البحر فى توسعها الاستعمارى · على خلاف ما كانت عليه حال الدول الاستعمارية الاخرى التى كانت مضطرة بحكم موقعها الجغرافى الى البحث عن مستعمرات لها فيما وراء البحار · فى بلاد لا تربطها بها روابط الجوار الجغرافى ·

لذلك كان توسع الروس فى أواسط آسيا يجرى فى ذلك الوقت بعيدا عن أعين الناس رغم أنه كان استعمارا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ·

وأما المسلمون أنفسهم فى سائر بلاد العالم فانهم لم يشعروا بوطأة هذا الاستعمار الخفى ولم يدركوا ما سوف يكون له من أثر فى حياة نيف وأربعين مليونا من اخوانهم المسلمين يعيشون تحت ظل روسيا القيصرية لانهم كانوا فى شغل شاغل بشئونهم الخاصة،

يحاولون استخلاص أنفسهم وحرياتهم من براثن استعمار آخر أكثر وضوحا وأشد نكاية ابتلوا به من ناحية الغرب ، ولان مصائرهم العليا من ناحية أخرى كانت فى يد دولة منهارة وخلافة كانت هى نفسها تلفظ آخر أنفاسها ولها من مشاغلها السياسية والعسكرية ما كان له أثر مدمر على الشعوب الاسلامية عامة ، تلك هى الدولة العثمانية ·

ولم تلجأ روسيا فى احتلال البلاد الى الاساليب الاستعمارية المستحدثة بل اعتمدت كل الاعتماد على جحافلها وجيوشها ، وعلى ما تستطيع تلك أن توقعه بالناس من قتل وفتك وسلب ونهب ·

كان احتلالا يمثل الاستعمار فى أبشع صوره · وينزع الى انزال الشعوب المستعمرة منزلة العبيد ·

❁ ❁ ❁

ولم يستسلم المسلمون فى تلك البلاد لسلطان الروس مع ذلك بل جعلوا يقاومون ويستبسلون ، متحملين فى ذلك كل أنواع التضحية وهم يحاولون رد هذا الطغيان عن بلادهم وأوطانهم ·

ففى بلاد الشركس والقوقاز استمر جهادهم على أشده حتى سنة ١٩٦٤ الى أن وقع زعماؤهم المجاهدون ومن بينهم الامام « شاول » فى قبضة الروس ·

بل لقد أشاد « كارل ماركس » نفسه ببطولة المسلمين فى القوقاز واستبسالهم فى دفاعهم عن أوطانهم فى ذلك الوقت ·

ومن عباراته المأثورة فى ذلك نداؤه للشعوب المستضعفة الذى يقول فيه :

« يا شعوب العالم ! ليكن قتال القوقازيين من أجل حرياتهم درسا لكم !!

تعلموا منهم فن الدفاع عن الحرية القومية ! »

والمؤرخ الروسى « فادييف » نفسه لم يتردد فى القول بأن الحرب فى شمال القوقاز شلت حركات الجزء الاكبر من الجيوش الروسية بعض الوقت ·

كما اضطر الى الاعتراف بأنه : « لولا الحرب القوقازية التى عاقت تقدمنا لاستطاعت الجيوش الروسية أن تحتل الشرق بأجمعه من مصر الى اليابان وهى تسير على نغمات فرقها الموسيقية » ٠

ولم يكد يستتب الامر لروسيا فى منطقة القوقاز حتى اخذت تسير جيوشها نحو التركستان وغيرها من البلاد الاسلامية فى أواسط آسيا الى أن تم لها فى النهاية اخضاع المنطقة كلها ٠

ومنذ ذلك الحين أخذت تستخدم أساليبها الاستعمارية التقليدية لتقويض كيان تلك البلاد ، فعمدت الى تقييد الحريات الى أدنى حد ممكن ، واستغلت كل ما فيها من موارد من القطن والمعادن استغلالا سافرا لا يمنعها من ذلك مانع ٠

❁ ❁ ❁

وقبل أن نتكلم عن الارض الاسلامية المنهوبة ، والشعوب الاسلامية الذائبة داخل الاتحاد السوفيتى أرى أن أتوجه بالحديث الى المسلمين العرب ، وهو حديث ذو شجون ومآخذ :

وخير لنا أن نتصارح بأخطائنا وخطايانا قبل أن نلوم غيرنا ٠٠

ان الناس هنا يسمعون أخبار المسلمين فى أرجاء العالم وكأنهم يسمعون أنباء جنس غريب ٠

ويصغون الى أحوال المسلمين تحت الحكم الشيوعى وكأنهم يصغون الى أحوال العالم الآخر ، عالم ما وراء المادة !!

لقد تمزقت الجامعة الاسلامية شر ممزق ، ونال منها الشيطان مبتغاه !!

أما التاريخ الاسلامى العام لهذه الامة الاسلامية الكبيرة منذ انطلقت مع الزمان السائر ، تؤدى رسالتها ، وتبلغ هداياتها فهو للاسف تاريخ غامض ٠٠

كنت يوما فى الجامع الازهر متجاوزا صحنه المكشوف الى أروقته المغطاة ٠

وفى بقعة مهجورة يداريها باب شبه خفى وجدت مقبرة بها جثمان جوهر الصقلى بانى الازهر والقاهرة ٠

فقلت لصاحب يسير معى : هل يدرى الازهريون شيئا عن موطن هذا الرجل ؟

ان جمهرتهم وجمهرة المثقفين معهم ، لا يدرون متى دخل الاسلام صقلية ؟ ولا كيف أبيد فيها ، أو انسحب منها ؟؟

وكذلك الحال بالنسبة الى جزر البحر الابيض كلها ، والى مواطن اسلامية كثيرة فى أوربا وآسيا وافريقية ٠٠

ان تاريخ الاسلام السياسى لا يدرس للاسف البالغ دراسة تمحيص واستيعاب ٠

بل ان مسير الدعوة الاسلامية لا يتابع فى الجامع الازهر متابعة تعرف واستقصاء !!

ونشأ عن ذلك أن القافلة الاسلامية التى انطلقت برسالتها الجليلة منذ أربعة عشر قرنا عرضت لاهلها محن رهيبة خلال القرون الاخيرة ٠ كان يجب أن تعرف بدقة لتحظى بفكر واحد وشعور مشترك ٠

لكن التقطع الذى عرا المسلمين فى أعصار مذلتهم حصر هذه المآسى فى محالها ، وحبس الالم منها فى جلود أهلها ٠٠

ولولا جهاد بعض الزعماء الاسلاميين الكبار لوصل ما انقطع، لكان ذلك ذريعة ضياع المسلمين أجمعين ، والاسلام أيضا ٠٠

ان الاخوة الاسلامية تفرض علينا نحن العرب أمورا مهمة نتذاكرها بصراحة ونقررها فى ايجاز !!

لقد كان العرب أول شعب آمن بالاسلام ، وحمل رايته ، وهزم القوى الشريرة التى اعترضته ٠٠

وتلك مفخرة للعرب تتضاف الى أن الوحى بلغتهم نزل ، وأن قياد الاسلام الروحى والعقلى ممتزج بالعروبة الى آخر الدهر ٠٠

لكن الاسلام ليس دينا لجنس معين ، انه لاهل الارض كلهم ما بقى على ظهرها انسان ..

انه لجميع الامكنة والالسنة والازمنة .

ومن ثم كان طبيعيا أن تدخل فى دين الله أجناس وخلائق لا عداد لها ، وكان على العرب فى سبيل نشر الاسلام أمران :

أولهما : تعريب جماهير غفيرة من كل لون ليشتركوا مع العرب أنفسهم فى فقه الرسالة وابلاغ هداياتها .

والثانى : نقل هدايات الاسلام نفسها الى لغات وآداب الامم الاخرى لان استعراب الناس جميعا مستحيل .

فليبق أمام أهل كل لغة شعاع يربط الناس بحقائق الدين ويصلهم فى حدود مستواهم برب العالمين .

وقد كان جهاد آبائنا فى الميدان الاول أوسع منه فى الميدان الآخر .

ثم خلفت خلوف كانت قصيرة الباع فى الناحيتين معا ..

ولا ريب أن ذلك أساء الى الدعوة الاسلامية .

وأشاع نوعا من الوحشة بين الاجناس الداخلة فيها . حتى لترى اليوم الجماعات الهائلة من المسلمين الهنود والزنوج والاتراك لا يكاد العرب يحسنون التفاهم معهم ، لقصور العرب فى اشاعة العربية لسانا عالميا ، ولتقصيرهم فى فهم اللغات القومية لهؤلاء الاخوة فى العقيدة والعبادة وسائر شرائع الاسلام !!

وأمران آخران نذكرهما فى هذا المجال .

الاسلام دين ودولة .

وفى صدر تاريخه كان الحكم فى يد العرب وذلك أمر لا غرابة فيه اذ هم أصحاب الرسالة الذين بذلوا التضحيات الغالية فى سبيل حمايتها وازدهارها ..

ولما كانت هناك أجناس راقية ارتضت الاسلام دينا ، ولم تر نفسها دون العرب قدرة على أداء حق الله وخدمة دينه ، فقد توفرت على النواحى الثقافية وبرزت فيها ٠

وقد ذوب الاسلام فى حضارته الفوارق الجنسية ، فتآخت مواهب كثيرة وخصائص عالية على اعلاء شأنه وتعميق مدنيته ٠

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ .

ثم انتقل الحكم الى أجناس غير عربية لاسباب شتى ٠

وكان حق الاسلام على العرب اذا فقدوا الصدارة السياسية ألا يفقدوا السيادة العلمية ٠

كان يجب عليهم أن يشتغلوا بفنون الثقافة الاسلامية ، وان يتوفروا على توسيع دائرة الدعوة بطريقتى التعريب والترجمة ،

وأن ينسابوا فى أرجاء الهند والصين والقوقاز والتركستان وجنوب البلقان ووسط أوربا ٠٠٠ الخ ٠

لكن الذى حدث أن العرب قصروا وتخاذلوا ٠٠

وأن الترك الذين حكموا الامة الاسلامية لم يؤازر نشاطهم العسكرى فتح علمى ومدد روحى ٠٠ !!

فاذا الدفعة الادبية الاولى النابعة من اخلاص السلف وكفايتهم تتلاشى كما تتلاشى الموجة على رمال الشاطىء ٠

واذا المسلمون المبعثرون فى القارات الثلاث ينفرط عقدهم وتتناكر أنفسهم ، ويحيون بلا امامة روحية ولا ثقافة عقلية ، ولا روابط ادارية ، ولا وحدة جامعة ٠

وتحركت الصليبية كما ذكرنا لتثأر لهزيمتها الاولى ٠

ورأينا الروس يحتلون نصف آسيا الاسلامية وأغلب المسلمين لا يدرى !!

ولا تزال الغشاوة السميكة مضروبة على ألوف الابصار الى الساعة التى أكتب فيها هذه السطور ٠٠ !!

❁ ❁ ❁

لقد وقعت فى احدى الليالى السود مذبحة قتل فيها الزعيمان الاسلاميان « أحمدو بللو » و « أبو بكر تفاوه » ومئات من زعماء المسلمين فى نيجيريا ·

وكان القتلة من الفجور والتبجح بحيث لم يحـــاولوا اخفاء وجودهم ، ولا غسل أيديهم ·

وبدا كفلق الصبح أن اسرائيل والاستعمار الغربى الصليبى من وراء هذه المجزرة ·

ومع هذه الدناءة كلها فسرعان ما أهيل التراب على المأســاة وأسدل ستار الصمت الخسيس على فصولها !!

لماذا ؟

لان قتل أحمدو بللو وأبى بكر تفاوه مسألة اسلامية تتصــل بمستقبل ثلاثين مليونا من مسلمى نيجيريا وهذا أمر تافه !!

ان العمل للاسلام لا يؤبه له ، ولا يذكر صاحبه ·· !!

ان الاخوة الاسلامية شعور رجعى يجب بتره ·· !!

واذا جاشت عاطفتها يوما فليس من اللائق الاسترسال معها ، بل ينبغى فورا البحث عن مقادير من الماء البارد لاطفاء جذوتها!!

ومتى يحدث ذلك ؟

فى الوقت الذى تشغل فيه صـــحف العالم واذاعاته بمقتل « لومبا » أو خطف ابن بركة وهما زعيمان يساريان !!

الخلود لهؤلاء !! والفناء لرجالات الاسلام وقادته وساسته !!·

اننى أتوجه بالحديث الى العرب المسلمين اسألهم : ما دهاهم ؟

اذا لم يرفعوا لواء الاسلام فما يرفعون ؟

واذا لم يشتغلوا بدعوته فبم يشتغلون ؟

لقد استطاع الاستعمار أن يعلقهم بقوميتهم الخاصة ، وأن يجعل من خرافة البعث العربى ارتدادا جديدا عن الاســلام فى هذه الآونة العجفاء ·

ألا يعلمون أن انسلاخهم عن الاسلام هـو خـزى الدنيا والآخرة ؟ ٠

وأن تجاهلهم لقضايا اخوانهم المسلمين فى المشارق والمغـارب هو الذى سيحفر مقابرهم ويطوى آثارهم ؟ ٠

اننى أهيب بقومى أن يعودوا الى الاسلام وأن يحسـوا آلام اخوانهم فى كل قارة ٠

اننا معشر العرب لا نمثل أكثر من سدس المسلمين فى العالم ، ولسنا أولى بالله من غيرنا ، ولن يبالينا آلله باله اذا فرطنـا فى أمره ٠

ومن حق مسلمى العالم أن يستغنوا عن العرب ولا كرامة اذا استغنى العرب عن الاسلام ، ولم يكترثوا لقضـاياه ومشكلات أتباعه فى العالمين ٠

وندع هذا الحديث ذا الشجون ونعود للكلام عن القـارة الاسلامية المفقودة داخل الاتحاد السوفيتى ٠٠ !!

❁ ❁ ❁

ان تاريخ الاسلام وأهله هناك يحتاج الى ايضاح كثير ٠

لقد دخل الاسلام القوقاز بعد سنين قلائل من دخوله فى مصر وانتشر فى التركستان انتشارا كبيرا على عهد الامويين ٠

ويمكن القـول بأن التركستان اصطبغت بالعـروبة فى وقت مبكر جدا ٠

ونظرة سريعة الى الذين خدموا الاسلام من أهل تركسـتان تشعرنا فى هذه الايام بغصة ٠

فمنهم أمير المؤمنين فى السنة النبوية أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى صاحب الصحيح المشهور ، وكـذلك الترمذى والنسائى ٠

ومنهم شيخ المفسرين العلامة جار الله الزمخشرى • وكذلك أبو البركات عبد الله بن احمد النسفى •

ومنهم أئمة التأليف فى البلاغة واعجاز القرآن الشيخ عبد القاهر الجرجانى وسعد الدين التفتازانى ويوسف السكاكى•

ومنهم قادة الفكر الفلسفى فى الاسلام الحكيم أبو نصر الفارابى والشيخ الرئيس على بن سينا •

ومنهم علماء الرياضة والفلك خالد بن عبد الملك مدير مرصد المأمون والجغرافى الاصيل أبو زيد البلخى وبنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن علماء الجبر والهندسة والحساب •

ومنهم أبو ريحان البيرونى المؤلف الكبير فى الملل والنحل وأبو منصور الماتريدى الامام المعروف فى علم العقائد وأبو بكر الخوارزمى الاديب المترسل وشمس الدين السرخسى صاحب المبسوط أعظم كتب الفقه فى مذهب الاحناف ، والجوهرى صاحب الصحاح فى علم اللغة ••• الخ •

والعجيب أننا فى الازهر الشريف نعتمد فى ثقافتنا الاسلامية على الكثير من هذه الكتب •

أفليس ما يدعو الى الحسرة أن نجهل البلد الذى أنجب أصحابها ، وأن نتركه فى صمت فريسة للشيوعية الغازية بعد ما أثخنته الصليبية العادية ؟؟

فاذا تجاوزنا الفضل العلمى لهؤلاء الائمة طالعنا فضل عسكرى آخر ينبغى التنويه به فى هذه الايام •

فان سقوط فلسطين وبيت المقدس فى أيدى الصليبيين الاقدمين ابان حملتهم الاولى ، جاء نتيجة محتومة للنزاع المستمر بين الحكام العرب ، ونكوص هؤلاء الحكام أمام تبعات الدفاع الشريف ••

وقد نقلنا فى كتابنا « مع الله » الوثائق التاريخية لهذه الحقيقة •

ولو ترك أمر المنطقة للساسة العرب وحـــدهم ، ما خـرج الصليبيون منها ٠

فان تحاقد هؤلاء ، ودورانهـــم حـــول مصـالحهم الخاصة ، داء عياء ٠٠ !!

ولكن الله قيض بطلا كرديا هو صلاح الدين الايوبى التف حوله المخلصون من العرب وجماهـــير كبيرة من التركستانيين الشجعان فكان كفاح هؤلاء السبب الاكبر لطـــرد الصليبيين من الشرق الاوسط ٠٠

ولا تزال القاهرة تحمل أسماء تركستانية هى بقايا هـــذا الماضى المجيد ٠٠

فحديقة الازبكية فى قلب القاهرة وعشرات المساجد الشامخة فى أحيائها ما زالت مرتبطة بأسماء بناتها الاولين من هذا الجنس المخلص لله ورسوله ٠٠

والمسلمون فى شمال آسيا وغربها ، فى أجزاء كبيرة من شرق أوربا ، أغلبهم من التتار والاتراك والبشكير والتركمان والاكراد والقازاخ والاوزبكيين ٠

ويلاحظ أن هذه البقاع هى التى تؤلف الآن جمهـــوريات الاتحاد السوفيتى مع الروس والسلاف وغيرهم ٠٠

❁ ❁ ❁

وتاريخ الاسلام داخل الامبراطورية الروسية محمر الجنبات ، كئيب الصفحات ٠

وهو يمثل أســـوأ ألوان الصراع التقليدى بين المســـيحية والاسلام ٠

لقد كانت هذه الشعوب الاسلامية وثنية الاصل ، وقد عانى الاسلام منها أشد الويلات ٠

ومعلوم أن المغول فى جاهليتهم دمروا الخلافة الاسلامية ، وأحالوا المدائن العظام ترابا ، وقد فعلوا قريبا من ذلك بشرق أوربا ٠

ثم خالطوا المسلمين والنصارى ، وتعرفوا على ما لديهم من ايمان وشريعة ، وشاء الله أن يختاروا الاسلام ويشيعوه بينهم٠٠

وهنا تضاعف حقد الاوربيين عليهم ، وبيتوا لهم أسوأ النيات !!

وودت مع كثير من العقلاء لو انتهى العراك الدامى الناشب من قديم بين النصرانية والاسلام ٠

وهو عراك يمكن أن تنطفىء ناره لو تخلصت الصليبية من رغبتها المجنونة فى محو الاسلام ووقف انتشاره ٠

ان فى الارض متسعا للفريقين ، ومن الميسور فى ظل معايشة سلمية شريفة أن يبقى الاسلام وتبقى المسيحية ٠٠

ولكن قتل الآخرين بحجة الدفاع عن النفس نزعة لا يبقى معها سلام ٠

وقد كانت روسيا ــ كما رأينا ــ دويلة لا تعدو مساحتها أربعمائة ألف كيلومتر ٠ وعندما كان المسلمون أقوياء استفادت من ارتقائهم العمرانى ٠٠

بيد أن عقدة الصليبية ضد الاسلام هاج غليلها منذ اعتنق التتار الاسلام وارتضوا الحياة فى ظلاله ، وهنا أخذ الروس يتحرشون بالمسلمين ، ويتربصون بهم الدوائر ٠٠

وحانت فرصة الهجوم الروسى بعد وفاة السلطان « بركة خان» وانقسام مملكته الواسعة الى ثلاث دويلات « القرم » و «قازان» و « استرخان » ٠

فان هذه الفرقة كانت بداية الانهيار السياسى والعسكرى للمسلمين ، اذ استطاع القيصر « ايفان » الرابع أن يقود حملة صليبية ناجحة ظلت تشق طريقها حتى اجتازت الاورال وتغلغلت فى الاراضى الاسلامية الرحبة وراء جبالها ٠

ولم تمض فترة كبيرة حتى أصبحت مساحة روسيا لا أربعمائة ألف كيلومتر بل أربعة عشر مليون كيلومتر على حساب الاقطار الاسلامية فى آسيا وأوربا ·· !!

لقد نجحت هذه الحملة الصليبية أيما نجاح !!

قد يقال : فأين المدافعون ؟ وماذا قدموا لدينهم ؟

والواقع أن المسلمين فى هذه البلاد المعزولة لم يبخلوا بالدم والمال ذودا عن أرضهم وعقائدهم ، وقد قرأت تصريح « كارل ماركس » وهو يشيد بالمقاومة الهائلة الباسلة التى أظهرها المسلمون فى حروبهم الطويلة للقياصرة وجيوشهم ·

ويقول الجنرال « تشرنايف » فاتح « طشقند » سنة ١٨٦٥ : « ان المدينة كانت مستعدة بأكياس الرمال فى جميع الشوارع ، وكانت المقاومة عنيفة جدا ، وقد مات كثير من الناس وهم يهاجموننا جماعات أو فرادى ، ولم يستسلم أحد قط فقد فضل الكل الموت على أسنة الرماح ، وعانى جنودنا الكثير وهم يجتازون الشوارع فى وجه قتال مر ، ولم نضع أيدينا على مجتمع أو ناد الا بعد أن سبحت جنودنا فى مجار من الدماء » ·

هكذا سقطت « طشقند » المدينة الاسلامية البائسة ، وهى نموذج لمئات المدن والقرى الاسلامية التى استقتلت فى سبيل دينها ومستقبلها ··

وبدل أن نسأل : ماذا فعل هؤلاء للدفاع عن أنفسهم ؟ نسأل العرب : لم لم يردوا الجميل القديم ؟

فان هؤلاء المسلمين القادمين من تركستان وما فوقها هم الذين أعانوهم على تطهير بيت المقدس واحباط الحملات الصليبية ضد مصر والشام والحجاز !!

وعلى كل حال فان الهزائم التى نزلت بالمسلمين لم تفقدهم الامل فى غد أفضل ، فظلوا فى القرم والاورال وتركستان والقوقاز وغيرها متشبثين بعقائدهم متحاكمين الى شرائعهم ··

وكان القياصرة لا يفتؤون يغتصبون أموالهم ، ويصادرون حرياتهم وحقوقهم ، ويحاولون جهد الطاقة فتنتهم عن دينهم ..

وبقيت هذه الحال الكئيبة تنشر غيومها على أراض اسلامية ذاهبة فى الطول والعرض .

المسلمون صامدون ، والحكومة مصرة ، والبغضاء تنفث سمومها حتى اندلعت الثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ .

وهنا هب المسلمون فى أقاليمهم الرحبة ينشدون الحياة والامان والحرية .

لقد وهت قبضة موسكو عن اعناقهم ، وحانت فرصة ثمينة للنجاة بالعقيدة والنفس والدنيا الآخرة .. !

وكان البلاشفة يعلمون مدى ما أجرم القياصرة السابقون فى جنب المسلمين ، بل كانوا ـ وهذا هو المهم ـ يريدون توفير ضمانات النجاح لثورتهم ، واستثارة المضطهدين كى يخمدوا أنفاس القيصرية معهم .

قال الاستاذ محمد سامى عاشور :

« لم تكن مهمة البلاشفة فى أول الامر بالمهمة السهلة الميسرة.

فمن جهة كان جزء كبير من الشعب الروسى لا يزال مترددا فى معاونتهم . بل كان بعضهم يناوىء حكمهم ، ويجهر بعدائه لهذا الانقلاب الجديد .

ومن جهة ثانية فشلت دعوتهم فى استهواء أفراد الطبقات العاملة فى غرب أوربا .. ولا سيما فى ايطاليا وفرنسا ، فلم يسيروا فى ركابهم كما كان البلاشفة يؤملون .

ومن جهة ثالثة فان قوات روسيا البيضاء المناهضة لهم كانت قد أخذت تستجمع قواها بمعاونة بعض الدول الاجنبية استعدادا للقضاء على الثورة البلشفية بقوة السلاح .

ولذلك فلم يبق أمام البلاشفة بعد ذلك الا أن يولوا وجوههم نحو مستعمراتهم السابقة فى الشرق يلتمسون من أهلها العون

فى محنتهم ، فلم يكد يمضى شهر واحد على استيلائهم على مقاليد الامور فى روسيا وعلى وجه التحديد فى ٧ ديسمبر سنة ١٩١٧ حتى أصدر مجلس قوميسيرى الشعب البلشفى نداء له مغـزاه موجها الى شعوب روسيا من المسلمين ٠

وكان من بين من وقعوه لينين ، وستالين ، وقد جاء فيه :

« ان امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشـك أن تنهار ، والارض التى تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل نارا ٠

وفى وجه هذه الاحداث الجسـام نتجه بأنظارنا اليكم أنتم يا مسلمى روسيا والشرق ، أنتم يا من تشقون وتكدحون ، وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهل ٠

أيها المسلمون فى روسيا ! أيها التتر على شواطىء الفولجـا وفى القرم ! أيها الكرغيز والسارتيون فى سيبيريا والتركستان! أيها التتر والاتراك فى القوقاز ! أيها التشيشيين ! أيها الجبليون فى أنحاء القوقاز ! أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم وقبوركم واعتدى على عقائدكم وعاداتكم ٠ وداس القياصرة والطغـاة الروس على مقدساتكم !

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم وحرية نظمكم القـومية ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم ، لا يطغى عليها طاغ ولا يعتدى عليها معتد ٠

هبوا اذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم ، فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل !

ان ذلك من حقكم ان كنتم فاعلين ٠

واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق سائر أفراد الشـعب الروسى تحميها الثورة بكل ما أوتيت من عزم وقوة وبكل مايتوفر لها من وسائل ، جند أشـداء ، ومجالس للعمال ، ومنـدوبين عن الفلاحين ٠

واذن فشدوا أزر هذه الثورة • وخذوا بساعد حكومتهـــا الشرعية !

أيها المسلمون فى الشرق ! أيها الفرس والاتراك والعـرب والهندوس أنتم جميعا يا من وطىء الاوربيون القراصنة أرضكم، وتاجروا بأرواحكم وأملاككم وحرياتكم قرنا بعد قرن أنتم جميعا يا من يحاول اللصوص الذين أشعلوا نار الحـــرب أن يقتسمـوا بلادكم بينهم !

••• اخلعوا عن أعناقكم نير هؤلاء اللصوص !

أولئك الذين يستعبدون أهلكـــم ويستبيحـــون دماءكـم وأرواحكم ، فان من المستحيل عليكم بعد الآن أن تظلوا قابعـين لا تحركون ساكنا فى وقت تهز فيه الحرب عرش النظام القديم ، وتشتعل فيه نفوس العالم كله حنقا على الغاصبين المستعمرين ، ونمتد فيه شرارة الغضب فتصبح ثورة تأتى على كل شىء •

حـــذار أن تضيعـــوا وقتكم دون أن تلقوا عن كاهلكم نير المستبدين والظالمين الذين استبدوا بكم وبأوطانكم !

اياكم أن تدعوهم يسلبونكم ما أوتيتم من خير بعد اليوم !

وعليكم من اليـوم أن تشيدوا صرح كيانكـــم بأنفسكـــم وبطريقتكم الخاصة ، وفق ما تحبون وتختارون •

فان من حقكم أن تفعلوا وانكم لفاعلون وها هو مستقبلكـــم فى أيديكم •

أيها الرفاق ! أيها الاخوة !

لنتقدم سويا فى عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطى !

ان رايتنا تحمـــل معهـــا الحـــرية للشعـوب المظلومة فى أرجاء العالم !

أيها المسلمون فى روسيا !

أيها المسلمون فى الشرق !

اننا ونحن نسير فى الطريق الذى يؤدى بالعالم الى بعث جديد نتطلع اليكم لنلتمس عندكم العطف والعون ٠٠ !! ٠

❁ ❁ ❁

ولا يجوز أن يمر هذا النداء دون تدبر ودرس ٠٠

فان حكام روميا الجدد اعترفوا بما اقترفه الحكم الدينى السابق من دنايا وآثام فى جنب المسلمين ، وبشروا بانتهاء عهد الآلام والمصائب ٠٠

ولما كانت الامة الاسلامية المهيضة قد فقدت الرعاية السياسية العامة ، وتعرضت فى أماكن كثيرة لاشد ضروب الفتك المادى والادبى فمن حقنا ان نسأل :

هل وجد المسلمون ما ينشدون لانفسهم من أمان وراحة ؟

ان هذا النداء الشيوعى ظهر سنة ١٩١٧ أى منذ خمسين سنة٠

فلنتجاوز هنيهة أحوال المسلمين فى روسيا من قبل ومن بعد٠

ولنرمق أحوال المسلمين تحت الحكم الصليبى فى شرق أفريقية، وغربها ، ووسطها ، وفى أقطار أخرى كثيرة من آسيا وأوربا ، فماذا نحن واجدون ؟

التعصب القاتل يفرض سلطانه على كل شىء ٠٠ !!

ووراء مؤامرة من الصمت حبك أطرافها المغفلون من ساسة المسلمين ، والمكارون من ساسة الصليبية ، بادت مجتمعات اسلامية ، وهلك مجاهدون وانطوى تاريخ !!

وما زلت أناشد الجامعات الاسلامية الكبرى أن تعيد كتابة التاريخ الاسلامى الحديث ــ لا ــ بل تبدأ كتابته فهو لم يدون بعد !!

وعليها أن تكشف الحقائق المستخفية ، وتضع تحت أنظار المسلمين المعاصرين مقدار ما عانى آباؤهم من هوان واذلال فى سبيل العيش بدينهم والذود عنه !!

ان الجامعات الاسلامية فى القاهرة والنجف والمدينة وغيرها لا تزال مشغولة بمسائل تاريخية تافهة جرت أحداثها فى القرون الاولى ·· ومذهولة عن قضايا الموت والحياة التى تواجهها اليوم!!

وليس ذلك فى مجال العمل السياسى فقط · بل فى حقيقة الدعوة الاسلامية ذاتها ، وهذا هو البلاء المبين ·· !!

ونعود الى الشعوب الاسلامية المنكودة تحت الحكم الروسى القديم ، ماذا صنعت بعد أن سمعت النداء الموجه اليها من الساسة الحمر ؟؟

انها بداهة لم تضيع الفرصة السانحة ·

فسرعان ما أعلنت استقلالها ، واستعادت سياستها على أرضها، وشرعت ترسم الخطط لتصوغ مجتمعها وفق ارادتها ومصلحتها ··

واتقد مشعل الحرية من سيبيريا الى القرم ·

تكونت جمهوريات اسلامية عديدة فى هذه الاقطار المترامية·

واعترفت الدول المجاورة بهذه الحكومات الفتية ، وعقدت معها المعاهدات ·

لكن روسيا فى ندائها السابق طلبت من مسلمى الشرق ـ خصوصا مسلمى المستعمرات الروسية ـ العون والنصرة ،فماذا تفعل هذه الجمهوريات الاسلامية المتحررة ؟ ·

ان المسلمين حيث كانوا يمكن أن يساعدوا الشيوعيين فى ظروف انسانية محددة ·

فاذا حاول الجنس الابيض فرض سيطرته على الاجناس الاخرى ، وقرر اهانتها واضاعتها ، فان المسلمين يقاتلون هذا البغى ، ويعاونون الشيوعيين على ردعه ··

واذا حاول الاستعمار نهب الاقطار المتخلفة ، وسرقة ثرواتها، واستغلال أهليها · فان المسلمين يقاتلون هذه اللصوصية ، ويعاونون أى مخلوق على استئصال شأفتها ··

واذا جاشت الاحقاد التاريخية ، وراودت أحلام الاستعلاء والبطر بعض المتآمرين فتآمروا على اجتياح قطر من الاقطار ، وابادة جنس من الاجناس ، كما يحدث الآن فى فلسطين وارتيريا وغيرهما من البلاد الاسلامية ، فان المسلمين يضمون جهودهم الى جهود الشيوعيين ليمنعوا هذه الآثام فى المجتمع العالمى ..

ولا يقال عندئذ ان الشيوعيين كفار والصهيونيين والصليبيين أهل كتاب .

فان التحالف الصهيونى الصليبى عندما ارتكب جريمته ، ومضى لغايته ، كان لا يعرف ربا ، ولا كتابا ، ولا حلالا ، ولا حراما .

كان لا يعرف الا الاثرة والضغينة .

ومن حق المسلمين أن يوقفوا هذا الطغيان بشتى الوسائل ..

واستعانتهم بقوى الشيوعيين فى هذا الميدان سياسة لا غبار عليها ..

❁ ❁ ❁

تلك أمثلة فى نظرنا لما يمكن أن يكون من تعاون بين الحكومات الاسلامية والشيوعيين .

غير أن روسيا فيما ظهر طلبت غير هذا !!

طلبت أن تكون الشيوعية صبغة الحكومات الاسلامية المتحررة قريبا منها !!

فهل كانت الدول الاسلامية فى القرم والاورال والقوقاز والتركستان الخ .. مستعدة لهذا التحول ؟ كلا ..

لقد قامت استجابة لآمال المسلمين المقهورين ، وتجسيدا لمشاعرهم ..

والنظام الشيوعى فى سبيل توطيد أركانه قتل حرية التدين وحرية التملك .

ووظيفة الحكومة الشيوعية وهى تباشر سلطتهـــا أن تقصى التدين عن الحياة العامة ، وأن تغرس مكانه الكفر بالله وشرائعه·

لقد وعينا ما جاء فى برنامج المؤتمر الشيوعى الدولى السادس المنعقد سنة ١٩٢٨ «·· ان الحرب ضد الدين ــ أفيون الشعوب ــ تشغل مكانا مهما بين أعمال الثورة الثقافية » ·

ويلزم أن تستمر هذه الحرب باصرار وبطـــريقة منظمة ، وحكومة العمال والفلاحين تعترف بحرية الضمير (١) ولكنها فى الوقت نفسه تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بالدعـــاية ضد الدين وتنظم التربية على أساس التصور المادى للدنيا ·

هذه وظيفة الحكومة الشيوعية ، ومن السخف القـــول بأن للاسلام مكانا فى هذا الجو الوبىء ·

نعم هناك نوع من الحكم يسمح بحرية المتناقضات ، يسمـــح للايمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، والعفة والزنا ، والسكر والصحو ، والتعليم الدينى والتعليم المدنى ، والمحاكم الشرعية والمحاكم المدنية ··· الخ ·

والديمقراطية الغربية تمنح شعوبها هذه السعة ··

وكثير من الذين تعلموا فى الغرب يودون لو كانت الحكومات العربية من هذا الطراز المرن ··

وهم يرون أن هذا اللون من الحكم أفضل من الحكم الشيوعى · وأخف ثقلا وأرحب فكرا ·· !!

فلير هؤلاء ما يرون ، لكنا نريد أن نقـــول لهم أن الحكـــم الاسلامى شىء غير هذا وذاك ·

انه حكم يسير فى عكس الاتجاه الشيوعى تماما ··

فهـــو يرى الحاكم رجلا يؤمن بالله ، ويغـــرس الايمـــان فى المجتمع ·

---

(١) هذا الاعتراف لون من النفاق السياسى ، والواقع ينفيه ·

يصلى لنفسه ، ويؤم الناس فى الصلاة ٠

ويخرج الزكاة ، ويشرف على جمعها من الآخرين ٠

يصوم رمضان، ويرقب حرمة الشهر فى أرجاء المجتمع٠٠الخ٠

ثم ان الاسلام عقيدة فى القلب ، وقانون فى الحكم ، وقواعد فى الاخلاق ، ونظام فى المجتمع ، ورباط عام بين أتباعه ٠

وتقاليده تنظم البيت والشارع ، وتستغرق العمر من المهد الى اللحد ٠٠

وقد فصل الكتاب الكريم والرسول الذى جاء به كيف يحيا المرء لنفسه ولامته ولربه ٠٠

وظاهر من هذا الاستغراق والشمول أن الاسلام شىء ، والميوعة الغربية شىء آخر ٠ وأنه ـ من باب أولى ـ لا يمكن أن يلتقى مع الشيوعية فى تنظيم سياسى واجتماعى ٠٠

من هنا لا نعجب اذا رأينا المستعمرات الاسلامية الروسية بعد تحررها تنحاز بعيدا ، وتحاول بناء كيانها وفق طبيعتها الدينية العتيدة ٠

على أن اليد التى أسداها الشيوعيون أول أمرهم لضحايا القيصرية البائدة كان لها أثر حسن فى نفوس الكثيرين ٠

ثم ان مبادىء العدالة الاجتماعية التى قدموها بين يدى ثورتهم كان لها بريق واغراء ، وقد هش بعض الشباب للشيوعية ، يحسبها لا تعنى الا هذا التحرر الاقتصادى ٠

ولعله قارن بينها وبين ما فى الاسلام من ضمانات للعاملين ، وبر بالمعوزين ، فظن التقارب ممكنا ٠٠

ولكن لم تمض فترة طويلة حتى تكشفت الحقيقة كلها ، وبرز الخطر على الكيان الاسلامى برمته ، فاستمسك الناس بدينهم وآثروه على أى نزعة أخرى ٠

وحاول نفر من المهيجين أن يثيروا الفلاحين والعمال على أصحاب الارض والمصانع ٠ بيد أن هذه الطريقة فشلت هى

الاخرى ، لان أصحاب الاموال كانوا أرعى لله ، وأحنى على عباده من أن يظلموا عاملا ، أو يحرموا بائسا ، فلا وجود للحقد الطبقى الذى تنفخ الشيوعية فى ناره ·

ما العمل اذن ؟

لا بد أن يتدخل الجيش الاحمر ··

لا بد أن تفرض الشيوعية بالسلاح على من يكرهونها أشد الكره !!

وقام الجيش الاحمر بمهمته على شر وجه ، وقضى قرابة ثلاث سنين سوداء وهو يحصد هذه الجمهوريات الاسلامية من شاطىء المحيط الهادى الى جبال أورال ··

وماذا عسى تملك هذه الجمهوريات الوليدة ؟

انها ما كادت تسترد أنفاسها بعد ما عانت تحت ضغط القيصرية المتعصبة ، حتى بوغتت بهذا العدوان الجديد ·

فقاومت جهد الطاقة ثم تساقطت دولة بعد أخرى ·

ولم تغن التضحيات على جسامتها فى دفع هذا البلاء ·

قال السيد نور محمد خان : « كانت الجيوش الروسية مدربة تدريبا حسنا ومزودة بأحدث الاسلحة من طائرات ودبابات وسيارات مصفحة ومدافع بعيدة المدى ، بينما كانت الحكومات الاسلامية التى تمتد من سيبيريا شرقا الى جبال الاورال غربا لا تملك منها شيئا ، جيوش غير مدربة وأسلحة قديمة ·· »

ما يجدى الايمان والحالة هذه ؟

وفى ابريل سنة ١٩١٨ أصدر « لينين » أمرا بالزحف على البلاد الاسلامية دون انذار سابق ، فأخذت الدبابات تحصد المدن حصدا وتدك الحصون والقلاع ، والطائرات تمطر البلاد سيلا من قنابلها دون تمييز بين عسكريين ومدنيين ·

وفى نهاية هذا العام كان الروس قد استولوا على جمهورية « ايديل أورال » ، وشمال القوقاز ، وحكومة « خوقند » فى

تركستان ، وتأخر الاستيلاء على شبه جـــزيرة القـــرم لعنف المقاومة فيها ٠

وفى سنة ١٩١٩ استولت روسيا على جمهورية « ألاش » ٠

وفى أبريل سنة ١٩٢٠ انتهت من احتلال القرم ثم استأنفت الهجوم على جمهورية « أذربيجان » واستطاعت اخضاعها ٠

ثم حاصرت جمهورية « خيوه » من ثلاث جهات فدافع عنهـا أهلهـــا التركمـــان دفاع المستميت ولكنها سقطت فى نهـاية عام ١٩٢٠ ٠

وفى سنة ١٩٢١ استأنف الروس الهجـــوم على جمهـــورية « بخارى » ودار بينهم وبين أهلها قتال مرير ٠

ودافع أحفاد البخارى عن وطنهم بكل ما لديهم من بأس ، فلما انهزمت جيوشهم المنظمة شنوا حرب العصابات نحو عشر سنين ، ولكنهم فشلوا فى ادراك النصر لعدم وجود أية مساعدة خـارجية من العالم الاسلامى !!

هذا هو الوصف السريع للقتال الذى نشب بين المســـلمين والجيش الشيوعى المكلف باخضاعهم والسيطرة على بلادهم ٠٠

وهو وصف لا نقف طويلا عنده لان المحـــزن المبكى هـــو ما وقع بعده ٠

فان الروس الحمر شرعوا يوجهون جهودهم لنقل البلاد بمـا عليها ومن عليها الى المذهب الجديد ، وهنا بدأت الكوارث الشداد٠

فالمسلمون حراص على دينهم متمسكون بتعاليمه فى ظاهـر أمرهم وباطنه ٠٠ ولقد صابروا الليالى فى ظل الصليبية المدبرة وها هم أولاء يلقون عدوا أكفر بالله ، وأجحـد لشرائعه فهـــل يستسلمون ؟ كلا ٠٠

وعاد الصراع الجائر مرة أخرى ٠

والثورات حين تريد فرض نفسها واثبات وجودها على واقع مخالف لا ينبض قلبها برحمة ازاء معارضيها ٠

فكيف اذا كانت هذه الثورات لا تعرف ربا ، ولا ترجو آخرة، ولا تخشى حسابا ؟! ٠

ان الشيوعيين يعبدون هذه الدنيا ، ويرونها وجودهم الاوحد ٠٠

وهم يرون أعداءهم وكأنهم عوائق دون ثروات يجب أن يستمتعوا بها وخيرات يجب أن يضعوا أيديهم عليها ٠٠

ومن ثم ترى الواحد منهم يقاتل وكأنه يسترد حقا شخصيا سلب منه ، فمن وراء قتاله نهمة للحياة لا تشبع وثأر عند الآخرين لا يهدأ ٠٠

فاذا كان الاسلام ينتصب سدا منيعا أمام هذه المآرب ، واذا كان المسلمون يشكلون باسم دينهم مجتمعا أبعد ما يكون عن هذه الافكار فهيهات أن يلقوا من الشيوعيين مهادنة أو رحمة ٠

وذلك ما وقع فى أسلوب تقشعر منه الجلود ٠

❁ ❁ ❁

كان التعذيب قديما يشبه أسلحة الحرب التقليدية من بنادق ومدافع ، أما التعذيب الذى اخترعه الشيوعيون أو افتنوا فى تطبيقه فهو يشبه القنابل الذرية يمتد دمارها الى نطاق بعيد ٠٠

لقد قرر الروس الحمر أن يغيروا البلاد الاسلامية ويحولوا تاريخها كله من مجرى الى مجرى آخر ٠

فكانت الاوامر تصدر بهجرات جماعية واسعة المدى يتحول بها الناس من وطنهم الاول الى بلاد لا يعرفونها ٠٠

وتصور معى أمرا عسكريا يصدر مثلا الى المصريين كى يتركوا بقضهم وقضيضهم بلادهم الحبيبة ويسكنوا « كنيا » أو « أنجولا » وأمرا آخر الى سكان آخرين ان يحلوا محل المصريين فى الاقامة بربوع النيل ٠

هكذا شرعت الحكومة الشيوعية فى تغيير معالم البلاد الاسلامية، وقطع الصلات بين حاضرها وماضيها ..

فاستقدمت الالوف المؤلفة من الروس والسلاف والاكران ، وشحنت بهم أذربيجان وتركستان والقرم .

ونقلت جماهير المسلمين الى براري سيبيريا وأواسط آسيا .

وعند تنفيذ هذا المخطط الرهيب قاوم الفلاحون دون أرضهم، وقاوم الكثيرون دون بيوتهم وحياتهم فكان الفناء الذريع جزاءهم .

ولا تسل عن تعداد الهالكين عند تنفيذ هذا البرنامج الفظيع!!

لقد كان هم الشيوعية الاكبر أن تفرض نظامها .

ولما كان المجتمع الذى يلتصق بالعقيدة الاسلامية يأبى كل أو أغلب ما تريده الشيوعية فكان لا بد من فنائه لتبقى !!

ثم ان الارض الاسلامية التى يعيش عليها جمهور المسلمين مليئة بخيرات زراعية ومعدنية ضخمة .

والشيوعية فى استعدادها لحرب عالمية حاسمة بحاجة الى هذه الخيرات كى تعزز قدرتها العسكرية ..

ان كل ما تستخرجه روسيا من بترول يسرق من جمهورية « أذربيجان » الاسلامية ، وانظر الى ما فى تركستان فقط من ثروات معدنية . تعرف أن الروس يغترفون من كنوز لا تنفذ !!

ففى هذه الجمهورية الاسلامية ٢٥ منجما للذهب ، ١٦ للفضة، ٤٦ للحديد ، ٣٢ للرصاص ، ٢٤ للبترول ، ٧٠ للفحم ، ١٣ للكبريت ، ٦٣ للصوديوم . هذا عدا عن الاورانيوم والفرام والزئبق والنحاس والقصدير والبلاتين . وتوجد من المعادن الاخيرة مقادير كبيرة ..

وقد قسمت روسيا تركستان الى عدة جمهوريات منفصلة امعانا فى محو تاريخها ووحدتها ..

ولا نشك أن روسيا اذا فقدت الاراضى الاسلامية فانها تتحول الى دولة من الدرجة التاسعة أو العاشرة ٠

ونريد أن نرى القارىء صورة من صور التحويل الاشتراكى للجمهوريات الاسلامية ، أو بتعبير دقيق للمستعمرات الاسلامية التى استولى عليها الروس ٠

وذلك بنقل الاحداث الكالحة التى وقعت فى شبه جزيرة القرم بعد ما هزمها الجيش الاحمر :

تقع شبه جزيرة القرم على الشاطىء الشمالى للبحر الاسود ، وكان سكانها المسلمون يبلغون خمسة ملايين ، وقد استطاعوا الظفر باستقلالهم أول ما استولى الحمر على السلطة فى موسكو ، وسرعان ما انعقد مؤتمر وطنى من أعضاء انتخبهم الشعب المسلم انتخابا حرا ــ وفق ما يحدث فى الغرب ــ وتمكن هذا المؤتمر من وضع دستور يحكم البلاد وفق نصوصه ٠

ولم تترك روسيا الشيوعية أهل القرم يستمتعون بحريتهم الدينية والسياسية فوجهت جيشها للقضاء عليهم ، ويقال انها كانت ترمى الى جعل القرم وطنا قوميا لليهود بدل فلسطين ٠

وليس فى ذلك من عجب فان أول لجنة للشيوعية فى موسكو كانت كثرتها من اليهود ــ ستة أعضاء من عشرة ــ ٠

وعلى أية حال فان مسلمى القرم قاوموا العدوان الروسى ببسالة فائقة ٠

اعتصم الجيش بالجبال ودافع دفاع الابطال ، وأعانه الاهلون بما يملكون من زاد وقوة ٠

فلما رأى الروس أن حبل المقاومة طويل ، لجأوا الى حرب التجويع فنقلوا ما فى الجزيرة المكافحة من أقوات وتركوا سكانها للضياع !!

وهنا تعرضت البلاد لمحنة لم تخطر ببال ٠ فان العسكريين والمدنيين والاطفال والرجال أشرفوا على الهلاك طلبا للاقوات المفقودة ٠

وقيل ان بعض الاشخاص أكلوا أولادهم ..

وقد نشرت جريدة « ازفستيا » فى عددها الصادر ١٥ يوليه سنة ١٩٢٢ تقريرا للرفيق « كالينين » عن مجاعة القرم جاء فيه : « بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع فى شهر يناير ٣٠٢٠٠٠ مات منهم ١٤٤١٣ وارتفع عددهم فى شهر مارس الى ٣٧٩٠٠٠ مات منهم ١٩٩٠٢ وبلغ فى ابريل ٣٧٧٠٠٠ مات منهم ١٢٧٥٤ وفى شهر يونيه بلغ ٣٩٢٠٧٢ . ولم يذكر عدد الموتى الا انه قال : ان أكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث التى يستغرب لها ، أو تبدو عجيبة فى بابها ..

والروس فى نظرنا مسئولون عن هذه المأساة ، وسياستهم بعدما سادوا الجزيرة المثخنة بالجراح ، المتهالكة من الاعياء تدل على ذلك .

فقد جردوا المسلمين من أملاكهم وما لديهم من ثروات .. وشرعوا يهدمون المساجد والمعاهد الدينية فلم يبق من ١٥٥٨ مسجدا بالقرم الا آحادا تافهة .

أما جمهرتها الكبرى فقد أزيلت أو تحولت الى أندية وقهوات ودور لهو واصطبلات للخيل وحظائر للماشية .

ثم بدأت عملية محو المعالم الاسلامية عن طريق اجتثاث الجذور ، أو نقل السكان أنفسهم على ما ذكرنا آنفا فماذا كانت النتيجة ؟

كان سكان القرم خمسة ملايين مسلم سنة ١٩١٧ فأمسوا سنة ١٩٤٠ ٤٠٠٠٠٠ فقط أى أقل من عشر السكان !!

أين ذهب أولئك المسلمون الذين توارثوا أبا عن جد عمارة هذه الارض ، وتكونت لهم فيها صبغة خاصة وحضارة معينة ؟

أمسوا عمالا هائمين على وجوههم فى فيافى سيبيريا وغيرها .

ليست لهم أسر ، ولا ذكريات ، ولا أواصر تاريخية ، ولا روابط روحية ، ولا أذان ولا جماعات ... ولا ... ولا ...

لقد صدرت الاوامر بنقل أهل هذا القطر الى قطر آخر ·
لا · بل بتشريدهم فى أقطار أخرى فمن عاش عاملا مسخرا عاش ، ومن هلك هلك ·· !!

والقرم نموذج لشتى المستعمرات الاسلامية التى تعرضت لمثل ذلك المصير الاشأم ·

واذا كانت المساجد رمزا للعبادة الاسلامية فقد تجاوز ما دمر منها عشرات الالوف ، أما بقية ما يكون الشخصية الاسلامية فقد تلاشى أو هو فى طريقه الى الفناء ··

❁ ❁ ❁

وليس هذا حال المسلمين تحت الشيوعية الروسية وحدها ، كلا ، ففى كل دولة قام فيها الحكم على هذا النحو الكفور ، تعرض الاسلام وأمته للذوبان والمحق ، وراء ستار حديدى من الصمت ·

انه تنافر حقيقى بين نزعتين ووجهتين ، وشرعتين !!

ولم يكن عجبا أن ينجو بنفسه من يستطيع النجاة من هذا الجحيم ·

ومن عشرات السنين ونحن نرى مسلمين ممن استولى الشيوعيون على بلادهم يعيشون بين اخوانهم فى القاهرة ودمشق وبغداد ومكة والمدينة ··

كانت قلوبهم تبكى وألسنتهم تروى ، وعنهم سجلنا ما سجلنا من حقائق ·

وفى أحد الايام اتفق الشيخ محمد عبد اللطيف دراز (١) مع نفر من هؤلاء المهاجرين أن يبعثوا بشكاة موجزة الى هيئة الامم المتحدة كى تحقق فيها وتنصف ذويها ·

وكتبت الشكوى وأرسلت الى « مستر تريجفلى » سكرتير الامم المتحدة ·

---

(١) الوكيل الاسبق للجامع الازهر والوكيل السابق لجماعة الشبان المسلمين·

وتلقى السياسى العالمى الشكوى ثم أرسل الى الشـــيخ دراز هذا الرد :

«تلقينا شكواكم غير المؤرخة وأمرنا بتوزيع نصها على الاعضاء» ·

لكن الهيئة التى أكلت عرب فلسطين مستعدة لان تأكل مسلمى آسيا وافريقيا جميعا ·

ان مستر تريجفلى نفسه رجل صهيونى ·

والاعضاء الكبار فى هيئة الامم المتحدة هم دهاقين الاستعمار العالمى ، والصليبية الحاقدة ·

فأى خير يرتجيه المسلمون من هؤلاء ؟

❁ ❁ ❁

والى القراء نص الشكوى (١) التى أرسلها وكيل الجـــامع الازهر السابق ورئيس جماعة الكفاح الاسلامى :

« نتشرف برفع هذه الشكوى الى هيئتكم الموقرة ، باســـم الشعوب الاسلامية التى ترسف فى أغلال الذل والعبودية تحت وطأة الحكم الشيوعى الذى امتدت سلطاته حتى شملت البـــلاد الواقعة بين جزيرة البلقان والمحيط الهادى ·

ويقيم على هذه الرقعة أكثر من مائة مليون من المسلمين فى أحوال وظروف تفوق فى فظاعتها وقســـوتها أظلم عصـــور التاريخ الغابرة ·

حتى ان الاجيال المقبلة ستستحى وتخجل من مدنيتنا الحديثة المعاصرة ، ومن نظمنا السياسية والخلقية والفلسفية جميعـــا ، عندما تذكر هذه الظروف القاسية التى يعيش فيها مائة مليون من بنى الانسان ، دون أن تتحرك الهيئات العالمية لنجدتهم ·

---

(١) كتبت هذه الشكوى بلغة رديئة ، ولم تسرد الوقائع بترتيب دقيق ، ويبدو أن الحقائق أخذت سردا عاما من أفواه اللاجئين ··

تلك الهيئات التى أسست لحماية الكرامة الانسانية ، ولضمان أبسط الحريات التى تؤمن وتؤمنون معنا بوجوب توفرها للناس أجمعين ، من غير نظر الى دينهم أو جنسهم أو لونهم أو لغتهم ..

فان هناك قاسما مشتركا بين بنى البشر جميعا ، وهو الانسانية ..

اننا نجأر بالشكوى لدى هيئتكم الموقرة ضد نظام الحكم المفروض بقوة السلاح على هؤلاء الناس ..

وهو نوع من الحكم يسعى الى هدم كل ما بنته يد الانسان منذ آلاف السنين ، ويحاول أن يدوس بأقدامه كل ما قدسته الانسانية منذ القدم ، ليخلق عالما جديدا خاليا من الاعتقاد بالله ! لا عبادة فيه الا للقوة الغاشمة والمادة الفانية .. !!

وخليق بنا فى هذا المقام أن نذكر أن التجارب والحوادث الواقعة أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن لا فرق بتاتا بين الشيوعية القومية والشيوعية العالمية .

وأن الدول التى تفرق بين هذين النوعين من الحكم ، انما تزعزع ايمان الاحرار في كل مكان ، وتخلق بلبلة عامة فى الافكار .

لانها باظهار سخطها على الشيوعية العالمية ومساعدتها غير المشروعة للشيوعية القومية تظهر للعالم بأسره أنها لا تناوىء الشيوعية كمبدأ هدام ، وانما تعارضها كحكم سياسى ينافسها فى السيادة العالمية ..

ان أكثر من مائة مليون من المسلمين مهدد كيانهم فى بلاد كانت يوما ما مركزا للحضارة الاسلامية بل الحضارة العالمية جمعاء .

وسنوجز هنا الطرق التى دأبت الشيوعية على سلوكها فى سبيل اضطهاد المسلمين ، ومحو معالم دينهم ومدنيتهم ، مدعمين كل طريقة منها بالامثلة الحية من الوقائع والحوادث الثابتة .

١ ـ الابادة الجماعية أو نفى جزء من الشعب أو الشعب كله من وطن آبائه وأجداده الى سيبيريا أو الى مناطق أخرى حيث يفقدون الصلة بوطنهم الاصلى ويضيعون بمرور الزمن ..

ونستدل على ذلك بالوقائع الآتية :

(أ) قتل الشيوعيون فى التركستان وحدها سنة ١٩٣٤ مائة ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية والعلماء والمثقفين والتجار والمزارعين .

وفيما بين سنة ١٩٣٩/٣٧ ألقت روسيا القبض على ٥٠٠ ألف مسلم ، وعددا من الذين استخدمتهم فى الوظائف الحكومية ، ثم أعدمت فريقا ، وأرسلت فريقا آخر الى مجاهل سيبيريا .

وقتلوا سنة ١٩٥٠ ٧ آلاف مسلم ونفوا من التركستان سنة ١٩٣٤ ثلاثمائة ألف مسلم .

وقد هرب من التركستان منذ سنة ١٩١٩ حتى اليوم مليونان ونصف مليونا من المسلمين .

وفى سنة ١٩٤٩ هرب ألفان من التركستان الشرقية ولاقى حتفه من هذا الفريق الهارب ١٢٠٠ وهم فى الطريق الى الهند .

وفى سنة ١٩٥٠ هرب من التركستان ٢٠٠٠٠ من المسلمين التجؤوا الى البلاد الاسلامية فى الشرق الادنى .

ومن سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤ مات ثلاثة ملايين تركستانى جوعا نتيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد وتقديمها الى الصينيين الذين أدخلوهم الى تركستان .

ونتيجة لقانون مزج الشعوب فى الاتحاد السوفيتى ، نفت روسيا ٤٠٠٠٠٠ مسلم تركستانى الى أوكرانيا وأواسط روسيا فاندمجوا فى تلك الشعوب وفقدوا وطنهم الاصلى .

وفى سنة١٩٥١ألقى القبض على ١٣٥٦٥ مسلم فى التركستان وأودعوا المعتقلات .

(ب) أبادوا فى القرم سنة ١٩٢١ مائة ألف مسلم بالجوع وأرغموا خمسين ألف مسلم على الهجرة فى عهد بللاكون الشيوعى الهنغارى الذى نصبوه رئيسا للجمهورية القرمية الاسلامية ٠

وفى سنة ١٩٤٦ نفوا شعبين اسلاميين كاملين وهما شعب جمهوريتى القرم وتشيس الى مجاهل سيبيريا وأحلوا محلهم الروس ٠

وقد قلد الشيوعيون فى شرق أوربا رفاقهم فى الاتحاد السوفيتى ، فأبادوا فى يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ٢٤ ألف مسلم (١٥ ألف من مقاطعة طوزلا ، ٣ آلاف فى مدينة سراييفو ٦ آلاف من ماكيدونيا وكوسوفا) أتوا بهم الى مدينة دويرونيك ثم أبادوهم ٠

٢ ــ هدم المساجد وتحويلها الى دور للهو واستخدامها فى غايات أخرى واقفال المدارس الدينية ٠٠

(أ) قد بلغ مجموع المساجد التى هدمت أو حولت الى غايات أخرى فى التركستان وحدها ٦٦٨٢ جامعا ومسجدا منها أعظم المساجد الاثرية مثل : « منارة مسجد كالان » فى مدينة بخارى و « كته جامع » فى مدينة قوقان و « جامع ابن قتيبة » و« جامع الامير فضل بن يحيى» و «جامع خوجه أحرار » فى مدينة طشقند٠

ومجموع عدد المدارس والكتاتيب التى اقفلوها فى التركستان يبلغ ٧٠٥٢ مدرسة منها : « ديوان بيكى مدرسة » فى مدينة بخارى و « بكلريك مدرسة » و « بران حان مدرسة » فى مدينة طشقند وغيرها من المدارس التاريخية التى كانت يوما ما مناهل للعلم والعرفان ٠

(ب) وفى القرم طمسوا معالم الاسلام بما فيها الجوامع الاثرية فى مدينة « باعجه سراى » عاصمة القرم الجميلة مثل « جامع حان » وجامع « طوز يازار » و « جامع أصماقويو » وغيرها جميعا ٠

(جـ) وهدموا فى مدينة زغرب فى يوغوسلافيا جامعا عظيما شيد رمزا لوحدة عنصرى الشعب الكرواتى المسلمين والكاثوليك ·

وأغلقوا فى مدينة سراييفو « الاكاديمية » الاسلامية العليا للشريعة الاسلامية ، وجميع المدارس الدينية باستثناء واحدة فقط أبقوا عليها للدعاية ·

٣ ـ قتل رجال الدين ، أو نفيهم ، أو الحكم عليهم بالاشغال الشاقة ، أو منعهم من الحقوق السياسية ، بل والحقوق الانسانية ، وايجاد أية عقبة أخرى تحول بينهم وبين مزاولتهم لمهنتهم ·

(أ) لقد قامت روسيا بعدة حملات على رجال الدين المسلمين فى التركستان وغيرها من المناطق الاسلامية الشاسعة المندمجة فى امبراطوريتها الحمراء وقتلت كثيرا منهم ومن ضمنهم: فضيلة الشيخ برهان البخارى قاضى القضاة ، وفضيلة الشيخ خان مروان خان مفتى بخارى والشيخ الجليل عبد المطلب داملا والشيخ محسوم متولى والشيخ عبد الاحد داد خان والشيخ الحاج ملا يعقوب والشيخ ملا عبد الكريم وغيرهم كثيرون ·

(ب) وكذلك عملوا فى القرم حيث أضافوا الى وحشيتهم مع رجال الدين ، حرق المصاحف الكريمة فى الميادين العامة ·

(جـ) وفى يوغوسلافيا قتلوا مفتى كرواتيا فضيلة الشيخ عصمت مفتيتش والعالم الفاضل الشيخ مصطفى يوصو لاجيتش ·

وحكموا بالاشغال الشاقة مددا مختلفة على ١٢ عالما دينيا بعد محاكمة صورية فى مدينة سراييفو ، منهم فضيلة الشيخ قاسم دوراجا شيخ علماء البوسنه والهرسك ، وفضيلة الشيخ عبد الله دروبسيوفتش وكلاهما من علماء الازهر الشريف ·

٤ ـ قتل الزعماء السياسيين أو نفيهم من أمثال ذلك أن الشيوعيين قتلوا فى التركستان الشرقية سنة ١٩٣٤ الحاج خوجه نياز رئيس الجمهورية ومولانا ثابت رئيس مجلس الوزراء وشريف حاج قائد مقاطعة آلتاء وعثمان أوراز قائد مقاطعة

كاشغر ويونس بك وزير الدولة والحاج أبو الحسن وزير التجارة وطاهر بك رئيس مجلس النواب وعبد الله داملا وزير الاشغال وغيرهم كثيرين لا يتسع هذا المقام لذكر أسمائهم ٠

وكلما أحس الشيوعيون ببوادر أية حركة قومية أو اسلامية بين التركستانيين قاموا بحملة التصفية وهى حملة يراد بهـــا القضاء على كل من تحدثه نفسه بما قد يخـــالف تعاليم آلهـــة الشيوعيين ٠٠ « ماركس » « لينين » « ستالين » ٠

(ب) وفى القـــرم قتلوا سنة ١٩٢٨ ولى ابراهيم رئيس الجمهورية مع جميع وزرائه ٠ وفى سنة ١٩٣٠ قتلوا محمد قوباى رئيس جمهورية القرم مع هيئة وزرائه جميعا ، وفى ســـنة ١٩٣٧ استدعوا الى موسكو الياس طرحان رئيس جمهورية القرم أثناء محاكمة المارشال تحاتشنفسكى وأعدموه رميا بالرصـاص مع أعضاء حكومته ٠

(جـ) وفى يوغوسلافيا حكمت محكمة « اسكوب » فى ماكيدونيا سنة ١٩٤٧ على سبعة عشر زعيما ألبانيا من الالبانيين المقيمين فى يوغوسلافيا وفى نفس السنة حكمت محكمة « بريشتينا » على ٣٧ من الاعيان الالبانيين ثلاثة منهم بالاعدام والباقى بالاشغـــال الشاقة ٠ وفى سنة ١٩٤٩ أى بعد انفصال يوغوسلافيا من دول الكومنفورم حكمت محكمة سراييفو على ١٣ زعيما من المنتمـين الى « جمعية الشبان المسلمين » المنحلة أربعة منهم بالاعدام والباقى بالاشغال الشاقة ٠

٥ ــ منع المسلمين من التمتع بالنظم الاسلامية فى دائـــرة الاحوال الشخصية ، فقد ألغيت المحاكم الشرعية فى جميع انحاء الاتحاد السوفيتى ، وفى يوغوســلافيا نشرت جريدة Novodobe الصادرة فى سراييفو بتاريخ ٢٢ مارس سنة ١٩٤٦ قانونا بالغاء المحاكم الشرعية فى جميع أنحاء يوغوسلافيا ، ومعنى ذلك خروج الاسرة الاسلامية من دائرة توجيه الشريعة الاسلامية الى دائرة القوانين الشيوعية التى تنادى بالاباحية التامة وبانحلال الروابط الطبيعية بين أعضاء الاسرة الواحدة ٠

هذا الى جانب نهب البلاد الاسلامية ونقل ثرواتها الى مقاطعات أخرى وتمزيق أوصال كل بلد اسلامى واحد وخلق قـــوميات مستقلة على أساس لهجات لغة واحدة بقصد تشتيت المسلمين من نفس الجنس واللغة وخلق منازعات مصطنعة بينهم ، كما قسموا تركستان الى ستة جمهوريات على هذا الاساس الواهى ٠

ثم نذكر أن الشيوعيين يقومون بشتى أنواع الدعاية اللادينية من غير أن يسمحوا بالدعاية الدينية ٠

من أمثال ذلك : قيام الشبيبة الشيوعية وجماعة الملحـــدين الرواد بمظاهرات لادينية صاخبة فى مواسم الاعياد الاسلامية ويهينون كل ما يقدسه المسلمون ٠

بناء على كل ما سبق نتشرف برفع هذه الشكوى الى هيئتكم الموقرة رجاء بحثها واتخـاذ قـرار فيها يرد لمائة مليون مسلم حقوقهم الطبيعية والانسانية ويرفع عنهم هذه المظالم البشعـة ليتمكنوا من الاشتراك مع غيرهم من بنى الانسان فى بناء عالم أفضل يسوده العدل والحرية والمساواة ويكون أساسه تمتع كل شعب بحق تقرير مصيره ٠

هذا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام » ٠

❁ ❁ ❁

وقد أخذت هذه الشكوى طريقها الى سلال المهملات ، فمـــا اهتم لها عدو ولا اكترث لها صديق !!

أما الاعداء فقد سرهم ما تلقاه الامة الاسلامية من هوان ، وما تتعرض له من ابادة ، تلك أمانيهم ٠٠ !!

وأما الاصدقاء فقد أخرسهم الرعب وقيد حركاتهم ، وآثروا النجاة وحدهم ٠٠ !!

ولعل النزعات القومية الضيقة التى سيطرت على العـــالم الاسلامى وقسمته دويلات شتى لا تهتم دولة بأخرى ولا تتدخل

فى شئونها الخاصة (!) لعل هـذه النزعات بعض ما أطفأ حماس العقيدة الدينية وجعل الاخوة الاسلامية أثرا بعد عين ، فوقعت هذه المذابح بين مسلمى آسيا،ووقف جيرانهم الاقربون والابعدون مكتوفى الايدى بازائها ..

ولست ألوم خصومنا فنحن أولى باللام ..

ان مصابنا جاء من عند أنفسنا قبل أن يجىء من الضائقين بنا والحاقدين علينا ..

وحتى نلتقى مع ديننا يكون الفلاح ويتحقق وعد الله ..

الفصل السادس

الاســـلام بين الحياة والمـوت

عود على بدء ــ بين الاسلام المشوه والاسلام المدعى ــ الحكـم الاسلامى ظل فى قمة الانسانية ألف عام ــ أسباب الانهيار :الحكم الفردى ، العوج الاقتصادى ، العجز فى الحياة ــ الحكم الاســلامى بعيد عن هذه الادواء ــ أدعياء الاسلام الجدد ــ هل العـــروبة ستار لترك الاسلام ؟ ــ هل نميت بعض الاسلام ونترك بعضـــه الآخر ؟ ــ طريق الرشد فى السياسة الداخلية والخارجية ــ الحكم المدنى ذريعة الارتداد التام عن الاسلام ، بحث علمى جيد لمجاهد مغربى ــ واجب الشعوب ٠

❁ ❁ ❁

هبت أعاصير الشيوعية على العالم العربى والاسلامى وهو خائر القوى ، مكدود الاعصاب ٠

كانت علله القديمة قد برحت به ، وأفسدت تصـــوره للحياة ، وأرعشت خطاه على صعيدهـــا ، فمـــا يســتطيع أن يثبت لله ولا لنفسه حقا ٠٠!!

ثم جاء الاستعمار الصليبى الحديث مزودا هذه المـرة بالعلم الواسع ، والهمة البعيدة ، والباع الطويل ٠

وسرعان ما تساقطت البلاد الاسلامية كلها بين أظافره فمرغها فى تراب الهزيمة كيف شاء ٠

وما كادت تستجمع رغبتها فى الحياة ، وتعاود النهـوض من وهدتها حتى أقبل الزحف الاحمر لا بارك الله فى طلائعه !!

فماذا وجد ؟

وجد دينا جريحا فقرر الاجهاز عليه ، ولفه فى أكفانه !

وجد الاستعمار الصليبى الذى سبقه قد مهد له نصف الطريق، ووفر عليه نصف العناء ، فلم يستصعب القيام بالنصف الباقى ..

وجد الغرب المسيحى قد طوى أكثر ظلال الاسلام عن التعليم والقانون والآداب والمعاملات .

وخلق أجيالا تضيق بالقرآن ، وتنفر من أحكامه ..

وتجهل الرسول وتزيغ عن سنته ..

وتضيع الصلاة والصيام جهرة ، وتتبع الشهوات ، وتقرب بعيدها ، وتجيد كل لغة الا لغتها ، وكل فقه وتاريخ الا فقهها وتاريخها .. !!

وفى فوضى تربية بعيدة عن الدين ، وحكومات غير متقيدة بأحكامه وأهدافه ، أخذت الشيوعية تلقى بذورها وتكون عشاقها ..

وقد تفاوتت مكاسب الشيوعية فى شتى الاقطار الاسلامية تفاوتا بعيدا وذلك حسب أمرين :

الاول ـ قحط التراث الاسلامى ، وفراغ البيئة منه ..

والآخر ـ جور الصليبية الى الحد الذى يزهق الروح وينشر اليأس ..

لقد سيطرت الشيوعية فى السودان على جمهور مفزع من المثقفين كما انتشرت بين عدد ضخم من اللاجئين الفلسطينيين .

وكادت الشيوعية تفرق اندونيسيا كلها ، بل ان زعيمها سوكارنو أعلن دون ما حياء أنه « ماركسى » .

وتوجد الآن فى كثير من البلاد العربية والاسلامية طوائف من الشباب الفارغ القلب ، الشارد الخطو ، تستهويه الشيوعية ، وتظهر أعراضها فى صلاته الجنسية ، وملاحظاته الفكرية

والخلقية ، وأحكامه على الشئون العامة والخاصة ، كما يوجد حكام يمهدون بسياستهم الداخلية لجعل البلاد شيوعية ان لم تكن اليوم، فان غدا لناظره قريب !!

❁ ❁ ●

ونحن بداهة نرفض هذا المصير الكالح ، ونعترض المزالق التى تؤدى اليه ..

ونرى النجاة فى شىء واحد اسمه الاسلام !!

لكن ما الاسلام العاصم من الغرق ؟

ان هناك عشرات من الدول تعتنق الاسلام ، وتقر النسبة اليه ، ومع ذلك فان أحوالها لا تسر حبيبا ولا تسىء عدوا .. !!

أمم انزوت عن طريق الحياة كما تنزوى العربات العاطلة على جانب الطريق ، تنظر الى السائرين المنطلقين وهى واقفة فى مكانها ، لعطل آلاتها ، أو لنفاذ وقودها ، أو لعدم وجود قائد .!!

فهل أغنى عنها هذا الاسلام ؟

ونحن نسرع بالجواب : لا .. لم يغن عنها هذا الاسلام .. !

ومثل هذا التدين لا يزيد أهله الا جمودا وخبالا ..

وما عنيناه قط ، ونحن ندعو الى دين الله .. !

اننا عندما نتفرس فى شئون قومنا الآن ، نجد نوعين من الاسلام ، أو بتعبير أدق ، نوعين من ادعاء الاسلام .

كلاهما بعيد الصلة أو ضعيفها بكتاب الله وسنة رسوله .

هناك اسلام مشوه محرف مأخوذ من أعمال المسلمين وسياستهم المعتلة ابان ذهاب دولتهم ، وانهيار حضارتهم ، وشيوع الخرافة والهوى فى أدمغتهم وأفئدتهم ..

وهذا النوع من الاسلام مرفوض .. !!

وهناك اسلام مدعى مفتعل يجرى على بعض المعاصرين المفتونين بحضارة الغرب الرأسمالى أو الشرق الشيوعى ، وهو اسلام لا يعدو استجلاب عنوان دينى لجملة حقائق مدنية ، وأفكار بشرية ، خطؤها أكثر من صوابها ·

وأكثر الساسة يتبنى هذا الاسلام المفتعل ويرتضيه ·

وهو اسلام مرفوض كذلك ·

ان الاسلام الذى ندعو اليه شىء آخر غير تخليط الجاهلين ، وخداع المضللين ·· !!

وهو اسلام لا ينبع من بعيد ··

انه ينبع من الكتاب الذى نستمع اليه آناء الليل وأطراف النهار،ومن الرسول الذى نعرفه جيدا:كيف عاش؟وكيف عبد الله؟ وكيف جاهد ؟ وكيف ···· وكيف ··· ؟

ذلكم هو الاسلام الحق ، وما عداه فهراء ·· !!

❁ ❁ ❁

لقد قامت ـ بالاسلام الحق ـ دولة يانعة الحضارة ، واسعة السلطة ، عظيمة الهيبة ، ظلت فى المجال العالمى الدولة الاولى بين أترابها لا عشرات السنين بل مئات من السنين قاربت الالف عام ·

وهذه الدولة الاسلامية انفردت بالصدارة دهرا طويلا ، ثم شاركتها فى هذه المكانة بعد قرون طويلة دول أخرى ··

واذا كانت الولايات المتحدة الامريكية ترى فى عصرنا هذا أعظم دول الارض ينازعها فى ذلك الاتحاد السوفيتى ، فان الدولة الاسلامية فى عصرها الطويل المديد ، كانت أشرف مكانة وأعز نفرا ·

وقد ظلت أمدا غير قصير لا يجرؤ أحد على مطاولتها ··

ولم يكن هذا السبق العالمى غرور جنسى ، أو ادعاء ملوك ورؤساء ! ـ كلا ـ بل كانت أحوال المسلمين العلمية والخلقية

والمدنية والعسكرية ترجح كفتهم فى كل موازنة ، وتعلو رايتهم فى كل سباق ٠

ولم يكن هذا الرجحان وليد حضارة قديمة انتفع الاسلام بها ، أو نتيجة ارتقاء محلى مشى الاسلام على قمته !!

لا هذا ولا ذاك ٠٠

لقد نزل الاسلام بين العرب وهم يومئذ أهون ناس فى الدنيا!

فما زال يربيهم من جاهلية ، وينظمهم من فوضى ، حتى أحالهم خلقا جديدا لم يكن له فى أرضهم ولا تاريخهم نظير ٠٠ !

ثم خرج العرب من جزيرتهم ثوارا على ما حفلت به القارات القديمة من فساد فى الاعتقاد ، وانحلال فى الاخلاق ، وعوج فى السياسات ، ونظام فى المجتمع ، وعجز فى الحياة ، والتصاق بالاوهام والدنايا ٠٠

فكان العرب ــ بالاسلام الذى حملوه ــ عافية العالم من سقامه ، وشفاءه من أوهامه ٠٠ !!

والمعجزة التى صنعها الاسلام فى خلقه للعرب ، وتحريكه للعالم الهامد ، وتطويره للنشاط الانسانى كله ، هى من السطوع فى آفاق التاريخ بحيث لا ينكرها الا من ينكر وهج الظهيرة ، وأشعتها الحادة البريق ٠٠ !!

ثم هى معجزة ممكنة التكرار ما بقى الليل والنهار ، لانها تقوم على كتاب ينطق بالحق ، ونبوة تعلى قدر البشر ٠٠

فاذا قلنا : لا نهضة لنا الا بشىء اسمه الاسلام ٠ فان هذا الكلام لا يتعاظمه الا غر يجهل التاريخ ، أو حاقد على الله ورسوله يكره القرآن والسنة ، لان عقله من صنع الغزو الثقافى الذى بعثر الاستعمار أوزاره فى كل ناحية ٠٠ !

وطبيعى أن تتعرض الدولة الاسلامية الكبرى للنصر والهزيمة، والتقدم والتأخر ، تبع علل عارضة « وتلك الايام نداولها بين الناس » ٠

لكنا نعترف أن هناك عللا باطنة تكونت فى كيان أمتنا ،كانت تتغلب عليها ابان قوتها ٠

ثم استفحلت هذه العلل ، ووهت المقاومة ، فاذا الدولة الرفيعة الشأن تنحط من عليائها ، وتأخذ شمسها فى الافول رويدا رويدا ، حتى عم الظلام بعد انحدار شمل القرون الثلاث أو الاربع الاخيرة ٠٠

ونحن المسلمين متشبثون برسالتنا السماوية ، وسائرون على سناها ، ووقافون عند حدودها ٠٠

وعندما نستعيد نشاطها القديم ، ونستحيى ماضيها الاول ، فانما نستعيد بداهة الامجاد لا العلل ونستحيى الصواب لا الخطأ٠

ولنعترف أن لآبائنا وأجدادنا أخطاء قلت أو كثرت ٠

وما نستطيع القول بأن خطاهم لزمت الصراط المستقيم ، فما زاغت ولا تعثرت ٠٠

ان هذا القول عمى عن الواقع ، وجهل بالدين ، واستدامة لاسباب الهبوط والهزيمة ٠٠

ولنعترف طائعين بأن الاستعمار الذى استباح حرماتنا بين المحيطين الهادى والاطلسى شرقا وغربا ، وبين سيبيريا على شواطىء المحيط المتجمد شمالا ، وتحت الصحراء الكبرى وأعماء أفريقيا جنوبا ، لنعترف بأن هذا الاستعمار كان نتيجة لاخطاء جسام ارتكبها المسلمون ، وتفريط قبيح طعن رسالتهم فى صميمها ، وكبا بتاريخهم فى تلك الهاوية السحيقة !!

لنعترف بأننا ابتعدنا عن كتاب الله وسنة رسوله فى كثير من ميادين العلم والسياسة ، وأننا حين نصطلح مع الوحى وصاحبه فليس عن طريق الجمود العلمى أو الفساد السياسى ، وهما علتان أزرتا بتاريخنا كله فى الحقب الاواخر ٠٠

ومن حسن الحظ أن أصول الاسلام النظرية محفوظة وفيها تصوير كامل للحق ٠

وأن التطبيق الحسن لا يعجز مؤمنا يدين لله بالسمع والطاعة.

والذى يتصور الاسلام بعض الآراء ، أو بعض الاعمال التى وقعت فى قرن كذا أو قرن كذا مخطىء كل الخطأ .

فان آراء الناس وأعمالهم على امتداد القرون يحكم عليها ولا يحتكم اليها .

يحكم عليها بما قال الله وقال الرسول ، وليست أسوة يتأسى بها الاخلاف أو يحتجون ..

فملوك بنى أمية والعباس وعثمان رجال فيهم البر والفاجر والمخطىء والمصيب ، وسياستهم قد تضل وقد ترشد .

وما تؤخذ الاسوة الحسنة الا من صاحب الرسالة وخلفائه الراشدين .

ومؤلفو كثير من الكتب الدينية قد يوفقون وقد ينحرفون . وأقلامهم قد تسطر الحق وقد تسطر الباطل .

وما ينسب العصمة لهم الا مغفل .

فمنابع الهدى النقى فى الاسلام معروفة ..

لكنا فى زمان لا يزال يرزح تحت ثقل من التصورات الدينية المستغربة !!

حتى خيل للبعض أن الاسلام هو بعض الكلام المبجوج فى الآلهيات ، أو بعض البدع المحدثة فى العبادات ، أو بعض المراسم المقترنة بعهود السلاطين ، أو ما أشبه هذا وذاك من أهواء الحكام الجائرين ، وأقوال العلماء الجامدين .. !!

لقد حاربت فى هذا العصر ـ وما زلت ـ حكاما وعلماء ظهر لهم نظراء خلال التاريخ الاسلامى كله ، وتأسيت فى هذه الحرب الراشدة بأهل الحق من أسلافنا ، وهم بحمد الله كثر ..

وهؤلاء الحكام والعلماء هم الذين فرضوا أهواءهم على الدين، ولم يتقوا الله فى عباده ، أو يحسبوا حسابا للقائه ..

وتزوير الاسلام هو جريمة الجـرائم ، وفاحشة الفواحش ، لانه تعويق حقيقى عن الايمان ، وصد عن سبيل الله ..

❁ ❁ ❁

ونحن نلفت النظر فى هذا المجال الى ثلاثة أمور :

١ ـ كل حكم يقوم على اغتصاب ارادة الامة ، والاستبداد بأمورها ، وعدم الاكتراث بمشورة عقلائها ، فهو باطل من أساسه .

وهو ضرب من الوثنية السياسية ينكره الاسلام أشد الانكار.

وقد حدث فى الماضى والحاضر أن وثب الى المناصب العليا فى الامة رجال أقزام ، أو عمالقة عن طريق الارث ، أو الغصب، لا عن طريق البيعة الصحيحة والانتخاب الحر ..

تستطيع الحكومات من هذا القبيل أن تنتحل لنفسها أى صفة الا الاسلام .

فان الاسلام يجعل الشورى قاعدة سياسته ، ويأبى شائبة من الضيم أو الافتيات تنزل بالجماهير .. !

ان الاستبداد السياسى كان فى مقدمة العاهات التى أقعدت المسلمين ، وأذلت جانبهم ، وعطلت رسالتهم ..

وكل متحدث عن الاسلام فى عصرنا هذا يخرس عن ذكر هذه العلة ، فهو مريض القلب أو العقل ..

والمسلمون أحوج أهل الارض الى تقرير الحرية السياسية ، اذ فى جوها الطليق تنتعش تعاليم الاسلام وتنمو ، كما أن فى جوها يذوق الناس طعم العدالة والامان .

ان الحكم الفردى فساد عريض فى الارض والسماء ، وبيئة خصبة للرياء والملق والعبودية . ووسيلة فذة لتكبير الصغار وتصغير الكبار . وغبط الكفايات ورفع التفاهات .. !

ويعجبنى فى تصوير مآسى الحكم الفردى قول الشاعر محمد الاسمر :

ضاق على الضرغام يوما غابه ·
وانقطعت من رزقه أسبابه ·
فقال للفهد : أشر بما ترى ·
فقال : ان الخير فى ترك الشرى ·
فمشيا فى الارض حتى وجدا ·
غابا حوى من الوحوش عددا ·
وبصرا بالقرد وهو يحكم ·· !!
يومىء باللحظ ولا يكلم ··
منتفخ كالليث وهو قرد !
منفرد بالحكم مستبد ···
له بطانة بها الحمار ··
مدخر للرأى مستشار ·· !!
والبغل فيها الشاعر المقدم ·
وقنفذ الجحر الكمى المعلم ··
والبوم للبشرى بكل خير ·· !
والببغاوات لحفظ السر ·
والضفدع الصداح والمغنى ·
والذئب قائم بأمر الأمن ·· !
والجرذ القائم بالاصلاح ··
والهر طاهى اللحم فى الافراح ··
والدب للزمر وقرع الطبل ·
والفيل للالعاب فوق الحبل !
رأى الهزبر ما رأى فزأرا ·
وقال للفهد : أحق ما نرى ؟!
فقال : يا مولاى حق صدق ·
جميع ما يفعل هذا الخلق ··
ليس الذى ترى من الغرائب ·
فنحن فى مملكة العجائب ·

هذه الصورة الضاحكة الباكية لملكة العجائب ، هى التعبير الدقيق لاحوال الحكم الفردى وما يشيع فى أرجائه من أوضاع مقلوبة وألقاب مكذوبة ..

ومن المحزن أن هذا الحكم كان من أعظم البلايا التى أصابت الاسلام وأمته فى الماضى والحاضر ..

ان الحكم المقبول هو ما كان ترجمة أمينة لرغبة الامة ورأيها .

والحاكم الشرعى هو الذى ينظر اليه الجمهور على أنه وكيله وأمينه وحبيبه .

ومن الاقوال الشائعة : ألسنة الخلق أقلام الحق .. وهذه كلمة أصدق ما تكون فى موقف الامة الاسلامية من حاكمها .

فان كانت تثنى عليه ، وينشرح صدرها به ، فهو حبيب الله ، وموضع رضاه ، وان ضاقت به وازورت عنه ، وشهدت ضده ، فهو عدو لله ..

وفى الحديث عن ابن ماجة والامام أحمد بن حنبل أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« يُوشِكُ أَنْ تَعْلَمُوا خِيَارَكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ » قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّءِ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ» .

والواقع أن الانتخابات الحرة هى الطريق الفريد لاختيار الحاكم الصالح ..

وأن الامة الاسلامية يجب أن تتوفر لها جميع الضمانات المنتجة لهذا الاختيار الحر .

واذا كان الحاكم الفرد شرا يجب اجتنابه ، فلنتذكر هنا أن الحكم الشيوعى لا يعرف الا هذا الاسلوب الشرير فى تنصيب الحاكمين .

وأن مثالب الاستبداد التى تنسب للملوك هى أقل شرا مما يفعل حكام الشيوعية حيث كانوا .

والشعوب فى ظل الامراء الحمر أخفض صوتا ، وأوطأ ظهرا ، وأضيع حقا ، منها فى ظل أى حكم آخر ..

والنهضة الاسلامية التى تمد شعاعها اليوم ، تريد أن تجنب البشر هذا الهوان ، أيا كان مصدره ، وتريد أن تحمى المسلمين من لوثات المستبدين ، ومن جنون العظمة الذى يجرى فى دمائهم .. !!

٢ ـ وللمال آثار بعيدة المدى فى معاش الناس ومعادهم ، وهو دون ريب قوام الدنيا وسياج الدين ..

وفى الاسلام مجموعة هائلة من النصوص التى تحكم تداوله وتوارثه وتبين كيف ينفق وكيف يكسب ..

ومعالم الحلال والحرام هى الدين كله . وفى الحديث :

«الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لا يَدْرِي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَمِنَ الْحَلالِ هِيَ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ؟ فَمَنْ تَرَكَهَا اسْتِبْرَاءً مِنْهُ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ فَقَدْ سَلِمَ . وَمَنْ وَاقَعَ مِنْهَا يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَ الْحَرَامَ . كَمَا أَنَّهُ مَنْ رَعَى حَوْلَ الْحِمَىٰ أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَهُ . أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً . أَلا إِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ» .

وهذا الحديث لا يحتاج الى تعقيب فى ضرورة تحرى الحلال الصرف ، وترك الحرام والتنزه عما جاوره ..

وضمائر المؤمنين هى المرجع الاول فى هذا المسلك الشريف..

لكن دور القانون فى تنقية المكاسب ، وحراسة الحقوق الخاصة ، والعامة ، لا يمكن تجاهله .. !

وقديما كان المحتسبون ينطلقون فى الاسواق يمنعون الغش ، ويرقبون الموازين ، ويضبطون المعاملات التجارية بضوابط الشريعة ، ويؤدبون من يحاول الاعتداء على حدود الله ..

ووظيفة المحتسب جزء من عمل الدولة قديما فى تنقية المكاسب ونصب مصفاة للحلال والحرام ..

فهل بقيت مصافى الحلال والحرام مبثوثة فى أنحاء المجتمع الاسلامى ترد السحت ، وتفرش العفة ، وتقيم حدود الله ؟؟

يبدو أن الحكام قديما شغلتهم الشواغل عن القيام بهذا الركن !!

أهو فرط ثقة بضمائر الناس ؟ ربما !

أهو قلة اكتراث بتعاليم الدين ؟ ربما !

لكن الذى نقف عنده متأملين . أن الخليفة الاول قاتل مانعى الزكاة ..

فهل قاتل أحد بعده أولئك المانعين ؟! .

قد يقال : انهم لم يمتنعوا بعد ، أو امتنعوا سرا فلم تقم لهم عصبية مسلحة تقاومها الدولة بالسيف !

ومبلغ علمنا أن فريقا كبيرا من المؤمنين حريص على ايتاء الزكاة فور وجوبها فى ماله ، وأن فريقا آخر يبخل بحق الله ، وأن الدولة المقصرة فى وظيفتها لم تؤد واجبها فى استخراج هذا الحق ، وايصاله الى الفقراء والمحتاجين ..

والناس بازاء المال صنوف :

فيهم من يسميه العامة بالنهاب الوهاب ، والنهاب الوهاب رجل يجيد اصطياد المال حيث بدا له ، فاذا امتلكه لم يلبث فى يده الا ريثما يعرف الوجهة التى يذهب اليها ، فهو كما قال الشاعر :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

وعيب هؤلاء أن رغبتهم فى الانفاق الخاص والعام ، تجرئهم على الكسب السليم والمريب ، وتدفعهم الى استباحة أمور كثيرة ، وهم يعتذرون لانفسهم فى ضمائرهم بأن لا حـــرج فى ذلك ما داموا لم يدخروا ما كسبوا ·· !!

والاسلام يأبى هذا السلوك ، وعنده أن العجز عن النفقة فى الخير أشرف من السلب والتصدق ·· !

وفى الحديث عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

«مَنِ اكْتَسَبَ مَالا مِنْ مَأْثَم فَوَصَلَ بِهِ رَحِمَهُ أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ جُمِعَ ذلِكَ كُلُّهُ جَمِيعاً فَقُذِفَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ» .

ومن نكت المصريين أن أحد حكامهم جمع مالا خبيثا ، وبنى منه مسجدا فكانوا ــ على طريقتهم فى غمز الحكام الجـــائرين ــ يمرون بالمسجد ويقولون : هذا هو المسجد الحرام !!

والى جانب النهاب الوهاب ترى الجموع المنوع ، وهذا صـــنف تتملكه شهوة الثراء ، والرغبة فى الاكتناز ، فهو يطوف بثروته كما يطوف الوثنى بصنمه ·

وما يخرج منه شىء لله أو للناس الا بخلع الضرس !!

والكانزون للمال على هذا النحو يحبسون خير الله عن التداول والنفع ، ويملؤون المجتمع بالعقوق والحقد ··

وفيهم يقول الله ، جل جلاله : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1] .

(١) سورة التوبة : ٣٤ ــ ٣٥ ·

ومع هؤلاء وأولئك ترى النقائض ·

فهناك الورع الذى يترفع عن عنبة أو بلحة من طريق مريب ، ويقيم رقابة دقيقة على فمه وما يدخل فيه ··

وهناك من يسرق الضياع الرحبة ، والقصـــور المشيدة ، ويمشى فيها مختالا كأنه ما صنع شيئا !!

واختلاف المسالك والمشارب لا غرابة فيه ··

لكن السؤال الذى تجب الاجابة عنه هو : هل الحكومة الاسلامية تقف محايدة بازاء هذه المسالك ؟

لقد صح أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لايُبَالِـي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ أَمِنْ حَلالٍ أَمْ مِنْ حَرَام»

فهل الدولة تتفرج على هؤلاء ؟

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم ، وقد سئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فأجاب: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ»

فهل وظيفة الدولة تنتهى عند ايراد هذا الوعيد ؟

الواقع ان اقامة حدود الله فى الميدان الاقتصادى هو من صميم عمل الدولة ·

وأن مصافى الحلال والحرام التى نوهنا بها آنفا يجب أن تنصب عند كل مورد ومصرف تصل اليه يد القانون ··

وعندما نتفرس فى تاريخنا الماضى نجد الضمير المسلم كان يقظا على الاجمال فى شئون الحلال والحرام ، وان كانت الطبقات الحاكمة ، ومن اقترب منها ، قد تخوضت فى مال الله بغـير حق ، وألحقت بالاسلام وأمته اهانات وجراحات ··

بيد أنه من الانصاف القول بأن حساب الارباح والخسائر يبقى حصيلة تجعل الامة الاسلامية أعصى على الشيوعية ، وأبعد عن الاصابة بها ·· !

ذلك أن جمهرة العمال والفلاحين فى أنكد العهود يطعمون ويكتسون أحسن مما يطعم ويكتسى فلاحو المزارع الجماعية ، وعمال المصانع المؤممة فى البلاد الشيوعية ··

ولا نحب أن نقارن بين شرين لنختار أهونهما ··

ولكنا نقول : ان المسلمين فى أسوأ ظروفهم كان لديهم بقايا من تعاليم الدين تطعمهم من جوع وتؤمنهم من خوف ··

على عكس المجتمعات الاوربية والصينية وأشباهها ··

فان الازمات قد تمر برجلين ، أحدهما مكتنز ، والآخر نحيف · فينجو الاول ويهلك الاخير ·

والثروة الطائلة من تعاليم الاسلام المالية قد يذهب الاضطراب الاقتصادى بالقليل والكثير منها ، بيد أن ما يبقى منها سيكون له أثره فى تماسك المجتمع ··

أما الديانات الاخرى فان هزالها فى هذه التعاليم يعصف بكيانها كله ، وذاك سر انتشار الشيوعية فى أوربا وآسيا ··

لقد امتدت فى فراغ ··

ومرة أخرى أرفض اعتبار هذا الكلام دفاعا عن العوج الاقتصادى الذى عرا أمتنا فى الاعصار الاخيرة ·

فان خلوها من المصفاة الدقيقة المنسوجة من تعاليم الشريعة فى شئون المال ، جعل أغنياء كثيرين يثرون من سحت ·

وعاملين يكدحون دون عوض مكافىء ··
ومترفين يمرحون فى ساحات البطالة ··
وناسا يتقدمون بقوة المال مع فراغهم من المواهب ··
وآخرين يتأخرون للاقلال الذى أحاط بهم دون سبب ··الخ ·
أترى هذا الفساد يعالج ببعض الافكار الشيوعية ؟

ان ذلك كمن يعالج جريحا نزفت دماؤه بقـــارورة دم من فصيلة أخرى !!

انها لن تجدد حياته بل ستسلبه حياته ..

ان الامة الاسلامية لا تستشفى من عللها ـ لو أرادت العافية ـ الا بتعاليم دينها وحده ..

❁ ❁ ❁

ومنذ أيام لقينى بعض الشباب ، لا أدرى أهم يساريون حقا ، أم أنهم يرددون ـ دون وعى ـ بعض الافكار الحمراء .

قـــالوا لى : ماذا لو ألغيت الملكية الفـــردية ؟ أفى الدين ما يمنع ذلك ؟

واسترسلوا : لقد جاء الاسلام قديما فوجد مجتمعات تقـــر هذا الحق فلم يشأ اعتراضها ، ولو وجدت مجتمعات تنكر مبـدأ التملك الفردى لتركها وما ترى !!

فقلت لهم : انكم تريدون أن نقبل النظرية الماركسية باسم الاسلام !

أتعرفون هذه النظرية جيدا ؟

انها قبل أن تكون انكار حق التملك الفردى ، فهى انكـــار للعقـــائد والعبـــادات ، ورفض بات للألوهية والنبوة والوحى والبعث والجزاء .

وقد يهز بعضكم رأسه استخفافا بهذه الامور جميعا ، ويقول: نحن نبحث فى الجانب الاقتصادى ..

وأقول لكم فى حسم : ان الامر عندنا ليس اقامة مجتمع من الدواب المتخمة ..

ان أمعاءكم لو انفجرت من مقادير الطعام التى تزحمها ، فى ظل نظام يوفر لها هذا العلف ، فهى عندنا مجتمعات حيوانية .. لا أكثر .

ان شئون العقيدة ، والعبادة ، وأساس السمع والطاعة لوحى الله كله ، أمور نعدها نحن فى رأس القائمة لا فى ذيلها ..

ثم أجيبكم بعد هذا التمهيد الى ما تطلبون :

ان الاسلام يصون الملكية الفردية صيانة تامة ، ما دامت تتكون وتؤدى ما عليها وفق تعاليمه ، والعدوان على هذه الملكية صنو الاعتداء على العرض وعلى الدم ..

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ ﴾ (٣) .

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ »

وتعاليم الاسلام المقررة فى جميع العقود التجارية والمعاملات المالية تقوم على هذا المبدأ ..

لكن يجب أن نعلم أن الاسلام كالكائن الحى ، تتعاون أجهزته كلها على القيام بوظيفة معينة .

فلنفرض أن مجموعة التعاليم المالية فى الاسلام تشبه الجهاز الهضمى .. فهل هذا الجهاز يؤدى عمله فى غيبة الجهاز الدورى ، وتوقف القلب والرئتين عن العمل ؟

---

(١) سورة النساء : ٢٩ .
(٢) سورة النساء : ٥ .
(٣) سورة البقرة : ١٨٨ .

وهـــل همـــا معا يؤديان شيئا ، اذا انكسر العنق ، أو طار الدماغ ٠٠ ؟؟

ان الاسلام بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، من الاعمال المتشابكة والتوجيهات المتماسكة ٠

وهى تمثل فى جملتها كيانا معنويا لا يستغنى بعضـــه عن بعض ، ولا ينجح بعضه فى غيبة البعض الآخر ٠٠

ومن ثم فنحن لا نفكر فى اصلاح اقتصادى ، ونغمض العين عن الصلاة والصيام ٠٠

وكارل ماركس وغيره من أصحاب الافكار المهتاجة ليسوا هم الاساة لتقصير بعض الناس فى ماضينا أو حاضرنا ٠

ان هذا « الماركسى » وغيره من الحمر ، هم فى نظـــرنا نحن المسلمين مرضى يحتاجون الى علاج طويل ٠٠

وثم شىء أخير نقوله نحن المؤمنين ولا يقوله غيرنا :

ان لبركة الله مدخلا كبيرا فى الشدة والرخاء والبأســـاء والنعماء ٠٠

فهو لو بارك فى ثمرات ستة ملايين فدان لجعل انتاجها مساويا لعشرة ملايين ٠

وهو لو شاء لفتح من خيرات البر والبحر ما يشبع ويقنع ٠

ان الشيوعيين يقبلون على الحياة بكل ما لديهم من ذكاء ونهم، ويضعون احصاء لكل ما يضع الدجاج من بيض ، ويخـــرج الزرع من حب ، فكيف حالهم مع ما أبطنوا وأظهروا من كفر ؟

ان القشف والضنك هما حظ الجماهير ٠٠

وعلى امتداد الارض الحمراء لا ترى الا الحاجة والضر ٠٠

❁ ❁ ❁

٣ ــ لا أدرى متى ظهرت بين المسلمين هذه العاهة المهلكة ، عاهة العجز عن الحياة ، والتخلف فى مضمارها ، وقصر الباع فى معرفتها والافادة منها ٠٠ !!

لقد ظلوا دهرا طويلا وهم قادة الحياة الراسخون ، وخبراؤها المبرزون ، ما شانهم قصور فى حرب أو سلم ، ولا انكسرت هممهم أمام بعيد أو وعر ..

ولكنهم ـ بغتة أو على مهل ـ جثموا على صدر الارض لا حراك بهم ! كأنهم عابر طريق أصابه الشلل فحبسه فى جلده ، وخدر حواسه وأعضاءه فهو ميت حى !!

وحال المسلمين الآن لا تنجحهم فى دنيا ، ولا تربحهم فى دين.

اذا كان فى العالم فقر وجهل ومرض فحظوظهم من هذه الآفات ـ ونعوذ بالله ـ موفورة ، وقواهم فى دفعها محقورة ..

غيرهم يحكم الامواج بأساطيله ، فأين سفنهم ؟

ويزحم البر بمنتجات السلام والقتال جميعا ، فأين جهودهم ؟

ودعك من تفجير الذرة وغزو الفضاء فليس للقوم هناك أثر !!

ان تخلفهم فى الحياة لا يساويه الا تقصيرهم فى الاسلام ، وتفريطهم فى جنب الله .. !!

لقد فكرت مليا : متى أصيب المسلمون بهذا البلاء ؟

ووجدت أنهم فى الحروب الصليبية الاولى هزموا دول أوربا مجتمعة ، وأن ما عراهم من هزيمة أول الامر كان لاسباب خلقية، ترجع الى نزاع الامراء والملوك ..

والنزاع من خلائق العرب المحقورة .. !

فلما اجتمع الشمل اندحر الغرب وفل سلاحه !

وكارثة الاندلس تعود للعلة نفسها ، علة الانقسام واتباع الهوى ..

وقد استطاع الاتراك أن يحتلوا شرق أوربا ، وأن يبلغوا وسطها بعد ضياع الاندلس ..

ولم تكن قـــدرة المسلمين الصناعية مـدنيا وعسكريا دون خصومهم ، بل المأثور أن مدافع المسلمين كانت أبعد مدى ، وأن ملكة الاختراع كانت ناشطة فى أغلب الميادين ..

ولكن يظهر أن هذا التفوق الاخير لم يكن طبيعيا ، أو هـــو بقية الأصالة القديمة فى كيان العملاق ، الذى نبغ بعلمه وأدبه، قبل أن تعمل جراثيم (١) الفساد الثقافى والاجتماعى على تبديد قواه واطفاء بريقه ..

وهكذا شرع المسلمون ينسحبون فى كل ناحية ..

وما هى الا جولة أخرى حتى كانوا مصـــفدين بين أيدى أعدائهم .. !!

ومن خلال النظام السائد . ولد فجر جديد ، ولد منذ نصف قرن تقريبا ولادة طبيعية ، اذ أخذ زعماء الاصلاح فى ايقـــاظ البصائر الغافية،واعادة الرشد الى الامة التىفقدترشدها وسعدها

والنهضة الصحيحة لا تتم الا بين يدى بعث علمى وقلبى ، رحب الابعاد ! وذلك ما صنعه رواد هذه النهضة ..

وأذكر منهم على سبيل المثال جمال الدين الأفغانى ومحمـــد عبده ، وحسن البنا ..

ان اليقظة العلمية والعاطفية التى قادها أولئك النفر ،أمدت المسلمين بروح جديد ، وردت خصـــومهم مهـــزومين فى أكثر من ميدان ..

وقد استطاعوا فى غير تكليف أن يربطـــوا الاجيال الناشئة بدينها ، وأن يدفعوها فى آفاق الارض تحمل شعاره ، وتتحـرى وجهته ، وتحيا ظاهرا وباطنا وفق تعاليمه ..

---

(١) فى رأيى أن من أسباب انهيار الدولة الاسلامية استمساك العرب ببعض تقاليدهم الجاهلية لا التعصب القبلى وحده ، بل كراهية الاحتراف والضيق بالمهن الشريفة وازدراء الصناعة ، والفلاحة الى غير ذلك من خصائص البدو ، وطبائـــع الأعراب ، وذاك سر حملة ابن خلدون عليهم .

وقـــد نسبت الى هـؤلاء القادة الكبار أخطاء سياسية كبيرة وصغيرة !

ليكن فهم ليسوا أنبياء ولا أشباه أنبياء ..

بيد أن ما أجرى الله على أيديهم من خير لا يجحده الا مكابر . وحسبهم أنهم مزقوا حجب الغفلة عن أمة تائهة .

وعـرفوها بنفسها ومكانتهـــا ، ثم قاموا الى جـــانب ذلك بأمرين جليلين .

(أ) نوهوا بالاسلام وعظمته فى وجه حكـومات ارتدت عن شريعته ، أو كانت فى طريقها للارتداد .

(ب) جعلوا المثقفين يوائمون بين معارفهم وعقائدهـــم ، وعلموهم كيف يسخرون الدنيا للدين،فاذا المهندسون والكيماويون والاطباء والصناع المهرة فى كل فن يستفتحون أبواب الحياة باسم الله ، ويجعلون ساحات الكون العريض محاريب عبادة .

التسبيح فيها هو العمل فى الحياة لرب الحياة والاحياء !!

وهذا أخصر طريق لاحياء أمة ماتت ، ونهب تراثها ، وجاس العدو خلال ديارها .

بل لا طريق الا هذا التفوق الساحق فى آفاق الحياة ..

ان أسلافنا ــ ابان العصور الاولى ــ لم يكن خصومهم أقـدر على الحياة منهم ، فما كان أبو جهل أذكى من أبى بكر ولا أبرع .

وما كان « ريتشارد » أذكى من صلاح الدين ولا أبرع .

وما كان المسلمون وراء ساستهم وقادتهم دون أهل الارض فى الخصائص الانسانية العادية ، بل كانوا فى أغلب الاحيان أرجح كفة وأطول باعا ..

والامر الآن يحتاج الى مزيد من الخبرة والقدرة .

لماذا .. ؟

لان عبادة الحياة شاعت بين الناس شيوعا جعلهم يستميتون فى الاكثار من ثرواتها وزهراتها ..

وهذه الوفرة فى المتاع والمطام ساندت المبادىء الباطلة على الانتصاب والتطاول ..

فاذا لم يدعم الحق جانبه بالسلاح نفسه ، فالفشل مصيره ..

وقد لفت النظر فى كتبى الاخـــرى الى بعض الانحـرافات الثقافية فى مواريثنا . تلك الانحرافات التى لا تزال متداولة هنا وهناك ، فى كتب التصوف والكلام والفقه ، بقايا من عللنا الموجعة ، ورواسب من أيام الانحـــلال العلمى الذى حـــل بنا وأساء الينا ..

❁ ❁ ❁

ان الاسلام الذى ندعو اليه ، ونبنى النهضة على قواعـــده ، لا نجىء به من المريخ ، انما نرجع فيه الى كتاب الله بين أيدينا ، والى نبوة واضحة السنن عالية الراية .

وقد ننحرف نحن عنه أو ينحرف من قبلنا ومن بعدنا ، غير أن ذلك لا يعكر صفوه ولا يطفىء سناه .

والأمة الاسلامية الكبيرة تعرف هذا الدين !

وعندما نوشـــدت به وردت اليه ، حثت الخطـا الى صراطه المستقيم ، وثابت اليه من كل ناحية .

ولكن الاستعمار الذى هزمها عسكريا ، وضع ألف عائق دون هذه العودة .

ولعل أنكى هذه العوائق وأقساها أولئك النفر من المسلمين الذين يرفضون امضاء أحكام الله ، واقامة شعائره وشرائعه ..!!

فاذا ناقشت أولئك ، سمعت كلاما مريضا عما يقع فى ظـل الدين ــ الدين مطلقا ــ من استبداد سياسى ، وعوج اقتصادى ، وتخلف عمرانى !!

وهى شبهات بدد العلماء غيومها ، ورأيت فى السطور الآنفة قيمتها ..

ونحن ما نقبل استبدادا ولا عوجا ولا تخلفا ، وما ندعو الى الاسلام الا لنقى بلادنا والعالم كله هذه السيئات .

ان الاستعمار الصليبى وطىء بلادنا من ثلاثة قرون تقريبا ، أما الاستعمار الشيوعى فقد طرق الابواب من خمسين سنة(١) .

وهو ـ كما قلنا ـ يضم الى أرباحه كل ما ألحقته الصليبية بالاسلام من جراح ومتاعب ، وكل ما وضعته فى سبيله من سدود وعوائق ..

وأول هذه العوائق والسدود فصل العقيدة عن الشريعة ، والحكم على الاخيرة بالاعدام السريع ، والحكم على الاولى بالاعدام البطىء .

واقامة حكومات أو الرضا بحكومات تجعل عنوانها الحكم اللادينى ، أو تسير على خطة تنتهى بالحكم اللادينى .. !!

وقد ماج العالم الاسلامى بفوضى هائلة خلال هذه المحاولات ، تضاعفت فيها آلامه ، وتعقدت فيها قضاياه !!

فلنترك أولئك الذين يصفون الدين بأنه رجعية بالية ـ والدين هو الاسلام لا غير !! ـ فان هؤلاء الخراصين بين جاحد يعرف مكابرته أو كاذب يعرف قصوره ..

ولننتقل الى نوع آخر من الناس أشد خطورة من سابقه .

هذا النوع من الناس يزعم الايمان ، بل لا تنقصه الجراءة ليقول لك : انه أعرف منك بالله وأغير على دينه . !!

ولكنه يفهم الاسلام بعقل مرن ، وتفكير متحرر ، لا كما يفهمه الجامدون من الشيوخ .

---

(١) أعنى منطقة الشرق الأوسط ، والا فهو يقص أجنحتنا منذ قرنين كما قرأت هنا .

حسنا ، فلنر نماذج من هذا التجديد فى تفهم الدين ..

سمعت أحد هؤلاء يذكر أنه يأكل لحم الخنزير ! لماذا وقد حرمه الله ؟

لا .. ان ذلك يوم كانت المراعى رديئة موبوءة ، أما فى عصرنا حيث الاشراف الطبى على المراعى والحظائر فلحم الخنزير مباح .. !

وسمعت آخر يطلب المساواة فى الارث بين الرجل والمرأة . لماذا وقد جعل الله نصيب هذا ضعف نصيب تلك ؟

لا ... ذلك يوم كان العلم والعمل وقفا على الرجال . أما الآن فالمرأة والرجل سواء فى العلم والعمل . !

ورأيت آخر يدع الوضوء والصلاة ، ولا تنقصه الصفاقة ليقول : أنه أعرف بالله من الركع السجود . !

لكن لماذا لم تصل وقد أمر الله المؤمنين بأداء الصلوات الخمس ؟

لا .. ذلك كان لتدريب الناس على الاخلاق الحسنة ، وقد استكملنا أكثر من غيرنا تلك الخلال . !

ويفطر أحدهم فى رمضان ، ويأمر الآخرين بالفطر ، ويضع قدما على أخرى فى مكتبه ، وهو يهتك حرمة الشهر ، ويشرب القهوة والدخان !!

لكن لماذا تفعل ذلك ؟ وقد قال الله :﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[1] .

لا .. ان هذا الصوم يضعف الانتاج !! ونحن فى عصر يتطلب المزيد منه . !

ويقضى أحدهم زهرة شبابه يسطو على الاعراض ، ويقترف الفاحشة فاذا اعترضت طريقه ... قال : هذه طبيعة لابد أن تجاب . !

---

(١) سورة البقرة : ١٨٣ .

لكن الزنا جريمة تستحق سوء العذاب ، الجلد فى الدنيا ، والجحيم فى الاخرى ٠

وهنا يتضاحك على حدود الله من جلد ، ورجم ، وقطع ، وعلى التخويف بالآخرة ٠٠ !!

وليس يختلف مسلم ومسلم فى أن جحد الفرائض واستباحة المحارم كفر بالله والمرسلين ٠

وأن دعوى هؤلاء الناس للاسلام مرفوضة جملة وتفصيلا ٠

وأن حقائق الدين أصلب من أن تسيل مع ميوعة هـــؤلاء الافاكين ٠٠

وفى أثناء الاحتلال الغربى للبلاد الاسلامية بين المحيطـــين الهادى والاطلسى ، صنعت أجهزته الثقافية ألوفا مؤلفة من هؤلاء المأفونين ٠

فلما انسحب عسكريا ترك شئون البلاد الادارية والسياسية بين أيديهم !!

أتراه خرج وقد استخلف من بعده هؤلاء المارقين ؟

وهذا الصنف من المسلمين ــ عربا أم غير عرب ــ هـــم دعاة الحكم المدنى المبتوت الصلة بالاسلام ٠

هم القائلون بأن الدين علاقة شخصية بين الانسان وربه ، لا تتعداهما الى المجتمع ٠ !

وأخـــيرا ٠٠ هم الذين اعتنقـــوا الشيوعية ، لما راق لهم اعتناقها ، وانبثوا فى كل ناد يهونون كفرها ويزينون شرها ٠٠

ونحن لا نستغرب كفر كافر ولا معصية عاص ، انما نستغرب اصرار هؤلاء على دعوى الاسلام مع فراغ قلوبهم منه ، وابائهم الانقياد لتعاليمه وأحكامه ٠٠

ويظهر أنهم وجدوا هذا التظاهر لعبة سياسية ناجحة ٠ او خدعة تدفع غضب العامة من المؤمنين فاستمسكوا بها لفائدتهـــا فحسب ٠ !

وبين يدى وانا أكتب هذا الفصل كتاب عنوانه : « المغرب المسلم ضد اللادينية » ألفه السيد ادريس الكتانى ، نصر الله وجهه ، وبارك جهاده ٠

والمؤلف فى كتابه القيم يحارب نزعة الحكم اللادينى ، التى نبتت فى المغرب غداة تركته فرنسا بعد جهاد اسلامى صميم !!

هكذا يلد الاستعمار العسكرى استعمارا ثقافيا يحل محله !!

ووقفنى وأنا أقرأ الكتاب حوار بين المؤلف وصديق له من رجال حزب الاستقلال ، كان المؤلف يعتب على صديقه هـــذا تأييده اقامة حكم لا دينى فى البلاد ويقول له :

كنت آخر شخص يمكن فى نظرى أن يؤيد اللادينية فى الحزب، لما أعرفه من تربيتك الاسلامية وغيرتك الدينية ، وكم يؤلمنى أنك سايرت القافلة ٠٠ !!

قال : أى خطر فى اللادينية ؟ انها شىء ينسجم مع الديمقراطية التى نؤمن بها ، والاسلام نفسه لم يعارض فى منح المـــواطنين ــ بقطع النظر عن أديانهم ــ جميع الحقوق المدنية على قـــدم المســاواة ، كمــا هــو الحال فى مصر ، وهذا ما نريد أن يتحقق فى المغرب أيضا ٠ !!

قلت : انك تناقض نفسك ٠ فمصر التى تحتج بها دولـــة اسلامية أثبتت فى دستورها الملكى القديم والجمهورى الجـديد ، المادة التى تنص على أن « دين الدولة هو الاسلام » ٠ وهذه حجة عليك تثبت أن الدولة الاسلامية لا تحرم أى مواطن من حقوقه المدنية ولا السياسية ، كما هو الشأن عندنا اليوم فى المغرب حيث لا نزال ــ بحمد الله ــ دولة اسلامية ٠

على أن اللادينية ليست كما فسرتها ٠ فهى أخطر من ذلك ٠ اذ هى الفصل بين الدين والدولة ٠ أى تجريد الدولة بجميـــع مؤسساتها من كل صبغة دينية ، هذا اذا لم تقع محاربة الدين علنا كما حدث فى تركيا ، أو مداورة كما يحدث فى البـــلاد الاسلامية المنكوبة بحكم مدنى صفيق ٠

وهذا الفصل اذا كان له ما يبرره فى الدول المسيحية فالامر بخلاف ذلك فى الاسلام ٠

قال : ولكننا لا نفهم اللادينية هكذا ، ولن نطبقهـــا بهـــذا الشكل (١) ٠

قلت : هذه هى اللادينية كما يفهمها السياسيون وتطبقهـــا الحكومات اللادينية فى العالم ، ولن يغير من هـــذه الحقيقة أنك تفهمها بشكل متواضع ٠

قال : ان الامر يعنينا نحن لا غـــيرنا ٠ وعندما يحين وقت تطبيقها سنفسرها نحن كما نفهمها ، ونطبقها حسب مصالحنا !

قلت : فى ذلك الوقت لن تسأل أنت عنها ، فالذين أوحـوا بها لا يجهلون حقيقتها وأهدافها البعيدة ، واعتراضك أو تأويلك يومئذ سيكون متأخرا عن وقته ٠

فالسـيد عبد القادر بن جلون يوم أعلن « لادينية حـــزب الشورى والاستقلال » للصحافة فى ــ ايكس ليبان ــ لم يستشر الحزب فى ذلك ٠

ويوم يصبح فى الحكم ، ويستطيع فرض النظام اللادينى على الدولة ، لن يستشير الشعب المغـــربى ، ولن يأخـــذ رأيك فى الموضوع ٠

قال : ان الذى دفع الاستاذ ابن جلون لتصريحاته فى ايكس ليبان ، هو الرغبة فى كسب عطف اليهود (٢) فى وقت كنا فيه محرومين من كل شىء فى بلادنا ٠ فهى للاستهلاك الخارجى فقط ٠

---

(١) ساسة الغرب جعلوا المثقفين فى العالم الاسلامى يكفرون على أقساط ، بالتعبير « التجارى » ! فهم يخلعون المسلمين من دينهم جيلا بعد جيل أو جـــزءا بعد جزء ٠ وهم يرون أن الزمن معهم ليبلغوا النهاية التى يريدون ٠٠ والنهاية التى يريدون هى سحق الاسلام بالتدريج ان عز سحقه دفعة واحدة ٠ !!

(٢) تدبر هذا التفكير ، يعلن العرب ترك دينهم كسبا لعطف اليهود !! أى يهود ؟ اليهود الذين أقاموا دولتهم على أنقاض العروبة والاسلام ؟! ٠ ولكن الحكم المدنى يفعل أكثر من ذلك ٠ ولولا قرب العهد بفجيعة فلسطين ، ولولا بقايا الاسلام النابضة بالحياة ، لفعلت الحكومات المدنية ما هو أدهى وأمر ٠ فجهرت بالانسلاخ عن الاسلام ، وبترك ما يريد الاستعمار تركه لليهود وغير اليهود ٠

قلت : هكذا ظننت يومئذ • ولكن حرص ابن جلون على نشر هذه التصريحات فى جـــريدة « مارك بريص » بالمغـــرب ماذا كان يعنى ؟

قال : ليطلع عليها يهود المغرب •

قلت : ومسلموه أيضا فى نفس الوقت • فهل يصح أن نقـول أيضا : انها للاستهلاك الخارجى فقط ؟

وتسرب اللادينية بعد ذلك الى مبادىء الحزب وصحـــافته ، ومحاضرات قادته ،وتوجيهاتهم وسياستهم،رغم استقلال المغرب ، وزوال أسباب التملق والتقرب ، هـل كل ذلك لمجـرد الاستهلاك الخارجى أيضا ؟!

والذى حدث فى المغرب ، على شاطىء الاطلسى ، صورة تشبه ما حدث فى كل الدول الاسلامية ، حتى شـــاطىء المحيطـــين الهندى والهادى ••

لقد خرج الاستعمار العسكرى تاركا وراءه خطة دقيقة لاقصاء الاسلام عن ميادين الحياة العامة جمعاء ••

فالدولة لا تأذن لشريعته بدخول المحاكم ، ولا لفقهه وتربيته بدخول المدارس ، ولا لصبغته وشعاراته بالظهور فى اتجاهاتهـا الداخلية والخارجية •

والتقاليد فى البيت والشارع لا تلتفت لحلاله ، ولا لحرامه ، ولا تكترث بفرائضه أو نوافله •• !!

ربما استبقيت بعض المساجد لمن شاء أن يزورها ••

ومن لا يريد فلا حرج عليه من ترك الصلاة ونسيان الله !!

❁ ❁ ❁

وفى سبيل الشغب على الاســـلام استعملت كلمة العـروبة استعمالا ينطوى على الختل والعبث والتناقض •

فقد تسمع الحديث عن الاشتراكية العربية فتسأل : من أين انبجست ينابيع هذه الاشتراكية ؟

من شعر امرىء القيس أو عنترة ؟

من خطب قس بن ساعدة أو كذاب اليمامة مسيلمة ؟

ان العرب لم تعرف تنظيما سياسيا ولا اقتصاديا الا بعد ظهور الاسلام ٠

بل لم تعرف التجمع فى اطار قومية عامة ، تجعل منها أمة بعد أن لم تكن أمة الا بعد ظهور الاسلام ٠

فما سر الحرص على بتر العنوان الدينى ، وابعاد الصفة الاسلامية ؟

ان ابعاد العنوان الاسلامى مقصود فى ميادين شتى كان الاسلام شبح مفزع ٠٠ !!

واخفاء لكلمة الاسلام توضع أحيانا هذه العناوين : « رسالات السماء » « القيم الروحية » « المثل العليا » « عاطفة التدين » « المواريث الثقافية » أو « الايمان ٠٠٠ »

الايمان بماذا ؟ الايمان فقط ٠٠٠ لكى يفسره من شاء بما شاء !!

والغموض أو الميوعة مقاصد قد تروج فى ميدان السياسة ، حيث التلاعب بالالفاظ ، ومخاتلة الخصوم ، والضحك على الذقون ٠٠

أما فى ميدان التربية فالوضوح التام أساس التعليم والتقويم والتوجيه والتنشئة ، ولا مكان لابهام أو لبس أو اخفاء ٠

ووقع صلح أخيرا بين ما يسمى « بالقومية الافريقية » والقومية العربية !!

والقومية الافريقية مولود جديد فى عالم السياسة ، ونحن أشد الناس ترحيبا بمحو الالوان الاجنبية عن سكان هذه القارة المحروبين ، وأشد الناس رغبة فى أن يشقوا مستقبلهم بأنفسهم دون أثقال على أفكارهم أو ضمائرهم ٠

لكن هل سماسرة الغرب الصليبى ، واولهم حكام « أثيوبيا » يستهدفون ذلك ؟

أم يريدون اللعب بمستقبل الشعوب المسلمة فى هذه القارة وقطع الطريق عليها ؟

وهل سدنة البعث العربى يشدون أزر العـــرب والمســلمين المناضلين فى هذه القارة ؟ أم يلوذون بالصمت المطلق ازاء كربات المكروبين فى « أريتريا » و « الصومال » وغيرهما ؟ ٠

ان العروبة حين تتنكر للاسلام فهى تبخع نفسها ، وتنكس رأسها ، وتلغى وجودها ، وتطوى أذيال النسيان على تاريخهـــا كله من حاضر وآت !!

وتسأل بعدئذ : أأولئك عرب حقا ، متعصبون لجنسهم ولغتهم وتقاليدهم وتاريخهم ؟ فتجد الوقائع ضد هذا الزعم ٠٠ !!

اذا ثار نزاع بين اللغة العربية واللغة العامية ، رأيت هؤلاء العرب ! مع العامية ينصرونها ويخذلون العروبة !!

فهم يؤيدون أن تكون العامية لغة الاذاعة المسموعة والمرئية٠ وهم يحاربون الشعر القديم ، ويلتفون حول هراء اسمـــه الشعر المنثور أو النثر المشعور !!

وهم فى ميدان العلم يؤيدون أن تكون الانكليزية لغـة كلية الطب وغيرها ٠٠

ومن هنا بدأت اللغة العربية تنكمش انكماشا خطيرا ومعيبا ، فى آفاق الفنون والمعارف والصناعات ، بل حتى فى أثاث البيوت٠ لان ألوفا مؤلفة من الكلمات المحدثة والمصطلحات الجديدة فرضت نفسها بلغاتها الاولى ، مع ترحيب وسماحة عرب آخر الزمان ٠٠

والمعروف أن العرب يغارون على الاعراض وأولئك لاغيرة لهم٠

والمعروف أن محمدا لو لم يكن نبيا لكان معجـــزة العرب ، وفخرهم الى آخر الدهر ٠

وأولئك تضيق صدورهم بمحمد ورسالته !!

فأى عروبة هذه ؟

الحق أن الامر من أوله الى آخره لا يعدو محاربة الاسلام فى الفرد والمجتمع والدولة ٠

وهى محاربة شبت نارها لحساب الصليبية الغربية بدءا ، ثم لحساب الشيوعية ختاما ، والعرب المسلمون هم الضحية ٠٠

● ● ●

اننا نحن المسلمين لا نستطيع أن نقسم القرآن نصفين ، نصف نقبله ونصف نهمله ٠

ونحن نعرف آثار الضعف البشرى ، ونعرف أن كثيرا من الناس يعجزون عن بلوغ الكمال وتحقيق الخير ٠

لكن هذا شىء ، وتعمد اماتة الوحى الالهى شىء آخر !! ٠
قد يستخفى امرؤ فى جنح الليل ويقترف رذيلة ما ٠
وقد ينتهز فرصة انعدام الرقابة ليفعل ما لا يليق ٠

وقد يفرط فى أداء واجب لخمول فى ارادته ، أو يتهاون فى فريضة لغلبة فى شهوته ٠٠

تلك كلها معاص تشين الانسان ، وقد تتصور ويتصور معها ايمان عليل ٠٠

لكن الذى لا يتصور ، أن يتضافر مجتمع فى وضح النهار وعلى ملأ من الناس ، وعلى بينة مما يقصد ، ويقرر ترك الفـــرائض المقررة ، وارتكاب الآثام المحظورة ، ثم يزعم أنه مؤمن !!

اننا نحن المسلمين نقرأ كتابنا وسنة نبينا ، فنحس أن ديننا كيان اجتماعى تام ، وليس رباطا سريا أو علنيا بين رب العالمين وامرىء فذ من خلقه ٠

والمجتمع الاسلامى يقوم على الاقرار بوحدانية الله ، والشعور بالخضوع له فى كل ما أمر به ونهى عنه ٠٠

ان الله خلقنا لنذكره لا لننساه ، ولنعيش وفق ما شـــرع لا لنعيش وفق ما نهوى ٠

وقد قامت دولة الاسلام الاولى على هذا الاساس المبين ..

فاذا كانت روسيا مثلا تربى الناشئة على أنه « لا اله » وبالتالى ترسم لهم فى علاقاتهم مناهج من وضعها ، فنحن المسلمين نربى الناشئة على أن الله حق وأن ما أوحى به الى رسله الاكرمين هو أسلوب حياتنا .

ولا انفكاك أبدا بين الايمان به ، والانقياد لشرعه ..

فاذا قال أحد : نؤمن به ولا نصلى له . نقول له : كذبت ...!!

واذا قال : نؤمن به ولا ننفذ أحكامه فى المواريث والجنح والجنايات . نقول له : كذبت ..

الاسلام كل لا يتجزأ ، والرضا بحرق آية كالرضا بحرق الدين كله ..

ورجال الحكومات المدنية بتأثير التربية الاستعمارية يمارون فى ذلك جهرة أو مخافتة ، ويحاولون تغطية موقفهم بقبول بعض المراسم الاسلامية المحدودة .

وهذا بيقين ذريعة الاجهاز على الدين جملة ، خلال سنين تقصر أو تطول ..

ان الله بعث محمدا ليعالج به فساد أهل الكتاب ، ولينفض الغبار عن وجه الانسانية الوضىء .

وقد تميز دينه بالحفاظ التام على الحقيقة كلها ، ورفض أى خدش لها ..

وقد رأينا من عيوب أهل الكتاب فى عصرنا هذا ما زادنا اعتصاما بالاسلام ، واستماتة فى الدفاع عن حقائقه ..

لقد رضوا بمجتمع تسوده رذائل الربا والزنا والسكر ... وأخيرا اللواط.

وسكت المتحدثون الرسميون باسم الدين عن هذه المناكر .

ورضوا بمجتمع تسوده التفرقة العنصرية ، والمظالم الاجتماعية ، واذلال الشعوب ، وسرقة خيراتها ..

وسكت المتحدثون الرسميون باسم الدين عن هذه المناكر ٠

ومن قبل ذلك سكتوا عن جوهر التوحيد ، وهو يلتبس بالتعدد والشرك ، وسكتوا عن الحلال يحرم والحرام يحل ٠٠

ووصف القرآن هذه الاحوال الشنعاء فقال :

﴿ وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[1] .

ونحن المسلمين نأبى لرسالتنا هذا المصير ٠

نريد بناء دولة توالى الله ، وتوقر اسمه ، وتسبح بحمده ، وتحترم وصاياه فى العبادات والأخلاق ٠٠

وهذه الدولة قامت القرون الطوال ، فوقع التعصب عليها ولم يقع منها ٠

كفلت رعاياها من غير دينها فما فتنتهم ولا أفزعتهم ٠

أما غيرها فتاريخه ناطق باضطهاد المخالفين ، أو استئصال شأفتهم ٠

ماذا على النصرانية لو تركت الاسلام يأخذ طريقه فى الحياة ، دون منغصات وعوائق ؟

من يدرى ؟

قد يكون أقدر منها على محاربة الالحاد الذى يهددها ويهدده ٠

ان الضغط الصليبى على دول الاسلام اليوم ، هو سناد الحكومات المدنية فى اطراح تعاليم الاسلام ٠

---

(١) سورة المائدة : ٦٢ ـ ٦٣ ٠

ومعروف أنه فى جو الحرية التامة سيقيم المسلمون حكومات تحيى العبادات التى همدت ، وتعيد القوانين التى أقصيت ..

بيد أننا سنظل نجاهد هذا الضغط ، وقرينه الجديد ، الزحف الاحمر ، حتى يتم الله هذا الأمر أو نهلك دونه ..

❁ ❁ ❁

ورأينا أن الدول الاسلامية فى العالم كله ، وقد اكتنفتها ملابسات تردها الى الله ، وتدفعها الى صراطه المستقيم ، فان الدول الغربية مصرة على انتهابها وتمزيقها .. وابعادها عن دينها اليوم أو غدا .

والدول الشيوعية طامعة أشد الطمع فى استغلال حاجتها ، وسلخها عن دينها كذلك طوعا أو كرها ..

فهل نرجو أن يثوب الحكام المسلمون الى ربهم ، ويعزموا عزما وثيقا على احياء الاسلام ، واعلاء رايته ؟

ان هذا يتطلب نية واضحة ، وثقة فى الله ، وانفرادا بالتصرف دون وجل من بشر ..

واذا أوجدت هذه النية وصاحبها العمل الصادق ، فانه على مر الايام سيبرز على الصعيد العالمى كيان اسلامى شريف ، ينصر اليقين والفضيلة والعدالة والشرف ..

ونقول : على مر الأيام ! لأن ما فسد خلال سنين طوال لانرتقب صلاحه على عجل . حسبنا ـ كما قلت ـ أن ننوى العودة الى الاسلام ونبدأ العمل من أجله ، ولن يطول بنا عهد حتى نصنع لله مجتمعا يؤمن به ، ويعلى كلمته ، ويسعد ببركاته ، ويؤدى رسالته ، ويستعيد أمجاده الأولى ..

وتقتضى هذه النية المنشودة أن يقوم الحكام المسلمون ، فى العالم أجمع ، بأمرين ، أحدهما فى الداخل والآخر فى الخارج .

أما فى الداخل فلا بد من اصلاحات شاملة للقوانين ترد للشريعة الاسلامية مكانتها فى القضاء والفتوى .

واصلاحات مماثلة فى ميادين التربية والتثقيف ، تصـــون العبادات المفروضة يومية أو أسبوعية أو سنوية ، وتحمى الآداب والتقاليد ، فلا تأذن بتبذل أو انحلال ٠

لقد ذهبت يوما لصلاة الجمعة ، فرأيت مجموعة من الغلمـان يلعبون الكرة غير بعيد عن المسجد ، ما أبهوا لنداء ، أو احتفوا بذكر الله !! ٠

فقلت : هذا هو الجيل الهابط !

ونظرت اليهم وأنا أتذكر الأخطار التى تهددنا من الصهيونية العالمية ومن وراءها ، وكاد يساورنى القنوط ، فمـــا بهـــؤلاء يقترب النصر !!

والغريب أن لعب الكرة عندنا فى مبارياتها الرسمية يتم فى رمضان واللاعبون مفطرون !! وبالتالى لا يصلون !!

ان الدولة الاسلامية لا تقبل بتة هذا العصيان ٠

انه لو خصصت فى الصحف صفحة للتربية الدينية ، كصفحة الألعاب الرياضية لكان لها بعض الأثر !!

ولكن أنى يتم ذلك وعاطفة التدين ناضبة ؟

ان الدول العربية الآن نوعان : نوع يوصف بالتقدم ، وآخر بالتخلف ٠

ذلك حسب ميلها الى النظم الاشتراكية ٠

ورأينا أن هذه وتلك تنقصها أمور جوهرية لتستكمل الصبغة الاسلامية ، وهى عندنا الهدف الأكبر والأرشد ٠٠

فان أصول الحكم فى بعض هذه الدول لا تتسق مع مراســـم الشورى الاسلامية ، أو ما يسمى فى عصرنا ـ الديمقـــراطية الحديثة ـ كما أن أصابع السلطة الفردية تعبث فى المـــال العـــام بأسلوب فيه افتيات على الجماهير ، وفيه من قبل ومن بعد انحراف عن تعاليم الدين ٠٠

وتلك حالة نستنكرها ، وما يشفع فى قبولها صيام أو قيام ·
أما الدول الموسومة بالاشتراكية ، ولنبدأ بالجزائر ، فلنا عليها عتب قصير !!

لقد كان الاسلام سلاحها فى كفاحها ، وكان لفظ الجهاد ، العنوان الشرعى لقتالها المرير مع الفرنسيين ·

فلما كلل الله جهادها بالنصر ، تسمت بأسماء كثيرة ليس من بينها الاسلام ، فهى الجمهورية العربية الديمقراطية الشعبية الجزائرية ·· على ما أذكر ؟؟

حتى صحيفة الجهاد سميت صحيفة الثورة !!

ونحن واثقون من أن الشعب الجزائرى وفى لدينه ، بيد أننا نوقظه الى دسائس السياسات العالمية المعادية للاسلام ، حتى يبقى على دربه القويم القديم ·· !!

ومن حقنا ـ ونحن نتحدث عن الاشتراكية ـ أن ننوه بما كتبنا فى الأربعينيات (١) من رسائل اسلامية فى هذا الموضوع ، زلزلت القارونية الكانزة ، كما أقلقت الفرعونية الحاكمة ·

ولا نفخر بهذا ـ معاذ الله ـ بل ننبه الى أن الدعاة المسلمين كانوا أسبق من الكل الى الاصلاح الاقتصادى بوحى من دينهم ، وباعث من اخلاصهم لله وعباده ··

ونحن ما زلنا متحمسين لكفاية الانتاج وعدالة التوزيع ·

لكننا نرى هذه الاصلاحات جزءا من البرنامج الاسلامى ،الذى يشمل الجسد والروح ، والدنيا والآخرة ، والصلاة والعفاف ، وتحريم المحرمات واقامة الأركان ·· !!

ذلك ما ننشده فى الداخل ، ونعده تحصينا لبلادنا ضد الالحاد الأحمر والأغبر ، الواردين من الشرق والغرب ·

---

(١) التاريخ الميلادى هو الغالب عندنا للأسف ·

أما فى الخارج : فهناك دول ارتدت عن الاسلام كتركيا ، وهذه يجب أن تعود لدينها ، وتتمشى مع الكثرة العظمى من شعبها ·

والشعب التركى يحن الى الاسلام وما يذاد عنه الا بالسيف والنار ···

وهناك دول لا تهتم بأمر المسلمين ، وان استبقت اسم الاسلام وهى الدول التى تتعاون مع اسرائيل وتوالى من أقاموها !! ·

وواجب هذه الدول أن تقطع علائقها مع أعداء الله ، الذين استباحوا ديارنا وأموالنا ، وأهانوا كرامتنا وتحزبوا ضدنا ··

ولنا بعد ذلك كلام مع دول الجامعة العربية ·

ان التصاقها بالاسلام أصبح ضرورة لحياتها وبقائها ، ولا معنى لتجاهل التاريخ والواقع ·

ان قضية فلسطين اسلامية ، وليست محلية ، فلماذا تبعد ابعادا عن الاسلام ؟

ثم الى متى تتجاهل الدول العربية آلام المسلمين فى أنحاء الأرض ؟

لقد سلمت دول الجامعة أريتريا الى الحبشة ، وهى تعرف أن مسلمى الحبشة يذوبون فى أتون التعصب الكالح العنيد ·

فماذا حدث ؟

أكلت الحبشة الاسلام والمسلمين ، فى القطر المضموم اليها ، والجامعة لا تهتم ولا تريد أن تهتم بشىء من ذلك ··

واغتصبت الحبشة أجزاء من الصومال المسلم ، ويبدو أنها اتفقت مع فرنسا على اغتصاب البقية خلال العام القادم ، بعد أن تجلو فرنسا عما تحتله من هذا القطر المستباح ·

ومع ذلك فان دول الجامعة العربية ترتبط مع الحبشة بأواصر صداقة متينة ·

ذلك فى الوقت الذى تعترف فيه الحبشة باسرائيل ، وتمدها بمقادير هائلة من الاغذية والعتاد !!

فما معنى هذا كله ٠٠ ؟

أخشى أن أقـــول : ان نزعة البعث العربى التى أنضجهـــا الاستعمار أخيرا قد جرأت العرب على خيانة رســـالتهم ، ونبذ الولاء لدينهم ، وتجاهل المنتسبين اليه هنا وهناك ٠٠ !!

ان الحكومات العربية ينبغى أن تكون وفية للاسلام وشعوبه الكثيرة ، تحـــزن لآلامهم ، وتكترث لقضـــاياهم ، وتســـارع الى نجدتهم ٠

فاذا لم يكن لديها العون الفعـــال ، فليسعـــد النطق ان لم تسعد الحال ٠٠

أما أن يستقبل جلادو الاسلام وأهله بالتكريم والاجلال فى عواصم الأمة العربية ، فذاك ما يندى له الجبين ، بل ما تقشعـــر منه الجلود ٠٠

والآفة الكامنة وراء هذه العظائم المفزعة ، هى فى الحكم المدنى الذى يبتعد عن شارات التدين وعواطفه الطبيعية ، أو الذى يكره الاسلام كرها غريبا ٠

اما عدم ايمان به ، واما بعدا عن الاتهام بالتعصب ٠٠

وقد كشفنا سوءات هذا اللون من الحكم فى كتبنا الأخـــرى ٠ غير أنى قرأت للأستاذ ادريس الكتانى فى كتابه : « المغرب المسلم ضد اللادينية » بحثا يتضمن علما زائدا ، وحقائق جديدة ، أرى أن أمد شعاعها فى كتابنا هذا ، ليعرف من لا يعرف طبيعة الحكم الاسلامى وخصائصه ، والفروق بينه وبين الحكم الدينى ، كمـــا عرفته أوربا ٠٠ قال :

١ ــ « لقد كانت المسيحية ديانة خلق وروحانية ، هدفهـــا تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق للأجيال التى عاشت خلال القرون الستة التى سبقت الاسلام ، طبق استعدادها النفسى والاجتماعى والفكرى فى ذلك العهد ٠

فاذا عرفنا أن هذه الأجيال كانت تعيش فى جهالة وبداوة ، أقرب الى الطبيعة الحيوانية منها الى الحياة المدنية ، أدركنا السر فى أن الله تعالى لم يزود السيد المسيح بأكثر مما اشتملت عليه ديانته وقتئذ ٠

فلما جاء الاسلام بعد هذه القرون الستة ، كان نضج الفكر البشرى وتطور الحياة الاجتماعية قد بلغا مستوى أصبحت معه المجتمعات البشرية على استعداد لتلقى وتطبيق تعاليم وأنظمة كاملة ودقيقة لبناء حياتها على أسس علمية جديدة ، وفى اطار اتحاد وتعاون أكبر ينسجم مع تقدم الفكر وتطور الحضارة ٠

وعلى خلاف المسيحية جاء الاسلام شريعة كاملة خالدة ٠٠

ولم يكن دينا فقط ختم الأديان السماوية التى أوحى بها فى التاريخ ، انه كذلك ٠ وبصفة خاصة مجتمع روحى واشتراكى ونظام سياسى وأسلوب للعيش ٠ أو كما وصفه « رونى كروس »: أخوة تتوارثها أمم وأجناس فى مجتمع متحد ، تحت رعاية الله لانجاز ارادة الله » (١) ٠

ويمتاز الاسلام ببساطة عقيدته ومرونة أحكامه ٠

وتأتى هذه المرونة من كون الاسلام عنى بوضع القواعد الأساسية للأخلاق والحرية والعدالة ، والأصول التى يقوم عليها نظام الحكم والمجتمع ٠ والعلاقات الفردية والدولية ، تاركا للأمة حق الاختيار فى تطبيق أحسن الوسائل ، حسب امكانياتها وظروفها الزمانية والمكانية ٠

ولكى تظل هذه المرونة حية مع الزمن اقتبر الاسلام « الاجتهاد » (٢) أحد أصوله الأربعة فى التشريع ٠ وفى عصور الاسلام الذهبية كان علماء الاجتهاد يسيرون جنبا الى جنب مع التطور الاجتماعى ، ويجدون حلولا للمشاكل الجديدة ، ولم يخطر ببالهم أن الاسلام يمكن أن يعرقل هذا التطور فى وقت من الاوقات ٠

---

(١) عبارة لمجلة « بارى ماتش » الباريسية ٠ من مقال كتبته عن « محمد » صلى الله عليه وسلم فى خمس صفحات ٠ (٢) لعله يقصد القياس والاستصلاح ٠

فمن تلك البساطة وهذه المرونة ينبعث سر عظمة الاسلام ، وسر النجاح الذى عرفه فى العالم خلال قرون طويلة من التاريخ، كما اعترف بذلك كثير من المستشرقين والنقاد ٠

٢ ــ ان بعض ما اشتملت عليه المسيحية من التعاليم ، فى الحياة الاجتماعية والمدنية ، اذا كان صالحا للقرون الستة الأولى للميلاد ، فقد أصبح التقيد به عسيرا بعد عصر النهضة ، فالزواج مثلا تعتبره المسيحية عقدة دائمة بين الزوجين مدى الحياة لا يمكن فسخها مهما كانت الأسباب ٠

وهذا القانون لا يتطابق دائما مع حاجات الناس ، ولا ينسجم مع طبيعة العلاقات الزوجية ، وقد تخلصت منه بعض الشعوب المسيحية بتطبيق « النظام اللادينى » ، بينما ظلت الدول الخاضعة للسلطة المسيحية كأسبانيا وفية له حتى الآن ٠

ونتج عن ذلك انهيار خطير فى بناء الأسرة ، فعندما ينفصل الزوجان عمليا ، ويصبح التفاهم مستحيلا بينهما ، ثم يمنعان من الطلاق رغم ارادتهما المشتركة ، يندفعان بطبيعة الحال الى ربط علاقات أثيمة يبيحها العرف ويمنعها القانون ٠٠

ومن جهة أخرى نجد أن القيود الشديدة التى وضعتها الدول اللادينية نفسها ضد الطلاق لم تحم الأسرة من هذا الخطر ، بل ربما لم تؤثر حتى فى التقليل من نسبته ٠

فالاتحاد السويسرى،الذى يعتبر مثلا فى الازدهار والاستقرار السياسى ، تفوق نسبة الطلاق فيه حد التصديق ، وتتجاوز بكثير نظيرها لا فى فرنسا وأمريكا بل فى مصر الاسلامية ٠

وبخلاف ذلك فان الاسلام لم يجعل عقدة الزواج مستحيلة الحل ــ وان كان يتمنى دوام العشرة ــ ولكنه أباح الطلاق بقيود معروفة ٠ ورغم ما تتهم به هذه القيود من السهولة فى التطبيق بالنسبة للقيود التى وضعها « النظام اللادينى » فاننا عند المقارنة بين نسبة الطلاق فى مصر وفى فرنسا مثلا نجد أنها تكاد تكون متشابهة ، مع العلم بأن مستوى الحياة الاقتصادى والاجتماعى فى مصر ــ وهو دون نظيره فى فرنسا ــ من شأنه أن يبرر ارتفاع هذه النسبة فيها ٠

٣ ـ ان المسيحية لم تكن فى أصولها الحقيقة المنزلة تشتمل على أنظمة سياسية للدولة ، ولا على قوانين مفصلة للحكم كما هو الحال فى الاسلام ، وانما كانت دين محبة ورحمة وأخلاق • أما ما يوجد فيها اليوم من هذه الأنظمة فانما هو من الأشياء الموضوعة، التى أضيفت للمسيحية بعد زمن السيد المسيح •

ورجال الدين (١) فرضوها على الشعوب المسيحية ، الى جانب أنظمة جديدة تحررية أخرى ، من وضع رجال السياسة باسم المصلحة الوطنية •

فالخطر فى هذا التحول ليس عظيما بالنسبة لأصول الديانة المسيحية المنزلة من السماء •

بينما نجد الاسلام فى أصوله المنزلة ـ القرآن والسنة ـ يشتمل على أنظمة كاملة لسياسة الدولة ، وأصول الحكم ، وأحكام المعاملات الاقتصادية والتجارية،وقوانين الحرب والسلم ،والعلاقات الدولية ، وغير ذلك مما تمتلىء به الشريعة الاسلامية • فتبديل هذه الأنظمة والأحكام الالهية بقوانين « النظام اللادينى » الموضوعة ، معناه الحكم بغير ما أنزل الله •

والله تعالى يقول :﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٢)، ثم يكرر: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٣)، ثم يعيد :﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٤) ، ويقول : ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ واحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾(٥) ، ويقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٦) .

---

(١) هذا حق ، ولكن النصارى يكلفون بشرائع العهد القديم فى الحدود والقصاص وغير ذلك •

(٢) سورة المائدة : ٤٤ • (٣) سورة المائدة : ٤٥ •

(٤) سورة المائدة : ٤٧ •(٥) سورة المائدة : ٤٩ •(٦) سورة المائدة : ٥٠.

٤ ـ ان المسيحية فى طبيعتها تقوم على أساس الرهبنة ونظام « البابوية » الذى يمنح « البابا » السلطة الدينية العليا (١) ، ويقع تتويجه رسميا بمقتضاها ، ويقوم البابا بتعيين نوابه فى جميع البلاد المسيحية ، والاشراف على جميع المصالح والمؤسسات الدينية ، وهذا معناه أن المسيحية تتوفر فعلا على اطار كامل لسلطتها الخاصة يترأسه « البابا » ٠

واذن فالنظام « اللادينى » انما أقر الفصل بين سلطتين موجودتين مختلطتين ، احداهما دينية والأخرى دنيوية ، وحدد اختصاصات كل منهما ٠

وبعكس ذلك فان الاسلام لا رهبنة فيه ٠ وليس لرجال الدين فيه أى تمييز أو سلطة أو اطار خاص ٠ بل ان التفرقة بين رجال الدين ورجال الدنيا من الأشياء التى لا يعرفها الاسلام ولا يقرها٠ فكل رجل فى نظر الاسلام يجب أن يكون رجل دين ودنيا ، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر لأن الانسان يتكون من جسد وروح ، والجسد جزء من الدنيا التى يجب أن يعترف بها ويخضع لقوانينها ، والروح جزء من « عالم الغيب » الذى هو عالم الدين ولا يمكن أن تتنكر لمالك يوم الدين ٠

وما دامت الروح جزءا لا يستغنى عنه الجسد فيجب التوفيق بين حاجاتهما ، واقرار الانسجام والتعاون بين سلطتيهما ٠

---

(١) للبابا دولة مستقلة تسمى « الفاتيكان » وتقع فى أطراف روما الشمالية الغربية ٠ وقد تكونت سنة ١٩٢٩ بموجب معاهدة « اللاتران » التى وقعها موسولينى مع البابا ، واعترف فيها باستقلال الفاتيكان ، ومساحتها ٤٤ هكتارا وعدد سكانها ١٠٠٠ نسمة ٠

ويعتبر « البابا » أو « الحبر الاعظم » الرئيس الروحى الأعلى للمسيحيين الكاثوليكيين المنتشرين فى العالم ، ويمثل الفاتيكان لدى الدول الأجنبية أكثر من ٨٠ مبعوثا ومندوبا ديبلوماسيا ، كما يتبعها ١٣٥٨ أسقفا وبطريركا فى الكنائس الكاثوليكية ٠

وفى الفاتيكان مكتبات تحتوى على أكثر من مليون مجلد ، وعدد ضخم من المخطوطات النادرة ، التى لا نظير لها فى العالم ، ويقوم البابا الى جانب عمله الدينى بوظيفة وزير خارجية الفاتيكان ٠ ويشرف بنفسه على أعمال الدولة اشرافا دقيقا٠ ومما يلاحظ أن الدول الغربية كثيرا ما تستشيره فى الشئون السياسية ، خصوصا ما يتصل بمعاملة المسلمين ، فى أهم الشئون الثقافية والسياسية ٠٠ !!

وعلى هذا الأساس قامت فلسفة الدين الاسلامى ، وظهـــرت الحكومة الاسلامية التى هى حكومة دين ودنيا ٠

والتاريخ يشهد بالنجاح العظيم الذى لقيته هذه الحكـومة ، خصوصا فى العصور الذهبية للاسلام ٠

ولذلك فان تخلى الحكومة الاسلامية عن سلطتها الدينية ــ مع العلم بأنه لا يوجد فى المجتمع الاسلامى ونظامه من يمثل هـذه السلطة ، كما هو الحال فى المسيحية ــ لا يعنى الا شيئا واحـدا هو الغاء هذه السلطة بالمرة ، لعدم وجود من يمثلها عمليا (١) ، وخصوصا فى المغرب ، الذى لا توجد فيه لا « مشيخة الاسلام » ، ولا « مفتى الديار المغربية » ، ولا « مشيخة القرويين » ولا حتى « شيخ جماعة » ، وهو آخر لقب كان قبل عهد الحماية ، وانمـا تتمثل فى حكومته الاسلامية ، وفى عهد رئيس الدولة الأكبر جلالة الملك محمد الخامس أيده الله ٠

على أن مثل هذه السلطة ليست مما يصنع باليد أو يخلق خلقا٠ ولقد حاولت تركيا أن تصنع اطارا « لرجال الدين الاسلامى » ، لتقلد بهم القساوسة والرهبان المسيحيين فأخفقت ! وكان هـذا أبلد أنواع التقليد التى حاولتها تركيا تحت شعار اللادينية ٠

٥ ــ ان المسيحية تشتمل على مذهبين رئيسيين متعارضـــين أشد التعارض ، وهما مذهبا الكاثوليكيين والبروتستانتيين ، وقد بلغت العداوة بين الطائفتين حدا جعل تاريخ العلاقات بين ملوكهما وأمرائهما عبارة عن سلسلة من الحروب الدينية الطاحنة ، اذ أن

---

(١) اذا تخلت الحكومات الاسلامية عن الدين ، فقد الاسلام نهائيا من يقوم على شئونه ، فليس له « بابا » يمثله ٠ والرؤساء الدينيون كشيخ الجامع الأزهـر وغيره ، موظفون يخضعون خضوعا تاما لموظفين مدنيين قاصرى الفقه ، بل ربما لا قدم لهم فى الدين وتقوى الله ٠

ويستطيع أصحاب السلطة المدنية ــ حتى فى ظل الالحاد الأحمر ــ استئجار مشايخ يحققون لهم مآربهم فى تغليب الأهواء الأرضية على شرائع الله ٠

ونظرة الى أوضاعنا المعاصرة تؤكد هذه الحقيقة المؤسفة ٠٠ !!

ومن المناكر الشائعة أن يختار ممثلو الاسلام اختيارا يهبط بقيمة ديننا ، فى الوقت الذى يقود الأديان الأخرى رجال ذوو مكانة محروسة مهيبة !!

عقيدة كل منهما تدفعه ـ فى تعصب جارف مع قساوة ووحشية ـ لاستئصال الطائفة الأخرى ، والتقرب الى الله بسفك دمائها ٠

وبلغ هذا العداء قمته خلال القرنين السادس والسابع عشر (١) ورغم أن الملك « هنرى الرابع » بذل كل جهوده لوضع حد لهذه الحروب ، وأصدر فى أواخر القرن السادس عشر قرارا يرخص للبروتستانتيين بمزاولة شعائر دينهم ، فانه لم يحن عهد لويس الرابع عشر حتى عاد لعداوتهم وأصدر سنة ١٦٨٥ قرارا بنقض قرار سلفه ، فلم يسع البروتستانتيين الا أن يهاجروا من فرنسا بأموالهم ومعاملهم ٠

وأخذ العداء بينهما سبيله للظهور والانتشار فى أوربا من جديد ٠

ولعل هذه الحالة الأليمة التى عاشها المجتمع المسيحى فى أوربا، وعانى من عذابها الأمرين ، كانت من أهم العوامل التى جعلت الرأى العام المسيحى بعد ذلك يدرك خطر استمرار سلطتين دينيتين متعارضتين ٠

ودفعت قادة الفكر الأوربى لابتكار نظام « اللادينية » ـ وقد ظهر فعلا فى القرن السادس عشر ـ كوسيلة للتخلص من حكم رجال الدين ، ووضع حد للحروب والعداوات ، التى أصبح من المستحيل استتباب سلام حقيقى ودائم معها ، طالما كان على رأس الحكم ممثلو احدى الطائفتين ٠

والذى يعرف طبيعة الاسلام لا يشك فى أن هذه الحالة ليس لها نظير فى المجتمع الاسلامى ٠ فليس فى الاسلام مذاهب دينية تتعارض عقائدها ويتناحر رجالها بهذه الدرجة ٠

والحروب الداخلية التى نشأت بين طوائف المسلمين كالتى جرت بين الامام على ومعاوية ٠ وما تلاها من ظهور الشيعة

---

(١) ان من أتيح له أن يشهد الفيلم التاريخى « الملكة ماركو » يستطيع وحده أن يتصور فظاعة الحرب الدينية ، ومجازر التقتيل والتعذيب التى كانت بين الطائفتين بأوربا ٠

والخوارج وغيرهما ، لم يكن مبعثها الخلاف فى أصل من أصول الدين ، ولكنها كانت حروبا سياسية أثارها التنازع على الحكم ، واستحقاق الخلافة ، وعززتها العصبيات القبلية التى اتخذت لتبرير مواقفها أشكالا دينية ٠

ومن مجموع هذه الفروق ، بين طبيعة كل من الديانتين ، نشأ فرق آخر فى المدلول اللغوى لكلمة الدين عند المسيحيين ، يختلف عن نظيره عند المسلمين ، وهذا الفرق الدقيق أشار اليه الأستاذ « علال الفاسى » فى بحثه القيم الذى نشرته أخيرا مجلة « دعوة الحق » ٠ عدد يونيه سنة ١٩٥٨ بعنوان (التفكير الاجتماعى) حينما قال :

« فاذا نحن أخذنا الكلمة التى نستعملها عادة مقابل الدين ، وجدناها هى « ريليجيون Religion » ولكن هذه الكلمة لها معان أخرى غير ما أسلفناه ٠ فهى تشير قبل كل شىء لنظام كهنوتى فيه الراهب ، وفيه الاعتراف ، وفيه سيطرة البشر على أخيه ، وتحكمه فى غفران ذنبه ، وقبول توبته !

و « ريليجيوزيت Religiosite » تعنى استسلاما كاملا لهذا النوع من العبودية ، واشراكا فى العبادة نفسها بالله ، عن طريق الامتثال لكل ما يأمر به رئيس الديانة أو ينهى ٠

وطبيعى أن هذا النوع من الفهم الغربى لمدلول الدين ، طبقا للمحتويات التى كونتها ظروف المسيحية الأولى ، والتى كان الاسلام ثورة عليها ، واصلاحا لها ، كان له أثر متناقض فى نفوس الغربيين منذ بداية عهد الاصلاح الدينى البروتستانتى ، ثم أثر أخطر منذ أن طغى رجال الدين على أهل الدين وأصبحوا يمنعونهم من الدراسة ومن المعرفة ، ويحولون بينهم وبين التطور فى نظام الحياة والأخذ بأسباب الرقى المادى ٠

ونشأ عن ذلك أن أحس المجتمع بضرورة التحرر من الدين بالمعنى الغربى ٠ أى بالثورة على سيطرة الكنيسة وتحكم الرهبان والتحرر من الارستقراطية الاقطاعية ، التى ما كانت تبحث عن

مرضاة الشعب وربه بقدر ما كانت تبحث عن غفران الأب وربط أحسن الصلات بالبابا ٠٠ » ٠

وبعد أن أشار الأستاذ علال الفاسى الى أن هذه الحالة كانت من أسباب الثورات المختلفة التى عملت للتحرر من الكنيسة ٠ ودفعت بالدولة للانفصال عنها ، والحلول محلها فى جميع مظاهر الحياة الاجتماعية ٠ وضرب لذلك مثلا بالطلاق ، تابع قائلا :

« فأما عندنا فقد نسينا مدلول « الدين » بالمعنى الاسلامى ، وهو مجرد تشريع،وملأنا الكلمة بما تدل عليه الترجمة الفرنسية، فأصبحنا بطبيعة الحال نفهم من معنى الدين ما تحتويه كلمة « ريليجيون » ٠

وأصبحنا نفكر فى أمر الدين بما يفكر به الغرب ، وما نقرؤه من آدابه ٠ تلك الآداب الموجهة قبل كل شىء لنقد مجتمع مبنى على تحكم الكنيسة وصعوبة الطلاق ـ ولو فى حالة تلبس أحد الزوجين بالزنا ـ وقيام اقطاعية يحميها رجال الكنيسة وتستعبد معها الشعوب ٠

وهكذا وجدت عندنا مشكلة فصل الدين عن الدولة مثلا ، ومشكلة الطلاق وما أشبه ذلك ، مما هو بعيد عن أن يكون مشكلا فى وطننا ٠

فالدين بالمعنى الغربى لا وجود له فى بلادنا ، والدولة والدين شىء واحد لأن الدولة لا بد أن تقوم على عقيدة أو خلق ، ولا بد أن تكون حامية للقانون ، وهى المسئولة عنه وعن ايجاده اذا لم يكن موجودا ٠٠

وكل ما هى مطالبة به أن تكون موافقة لرغبات الأمة فى تصرفاتها وفى أعمالها ٠

فالدولة الاسلامية ليست دولة « اكليريكية » « كهنوتية »بالمعنى الذى يفهمه الغرب ٠

بل يمكننا أن نقول أنها مدنية بطبيعتها ، لا لأنها منفصلة عن الكنيسة ، ولكن لأن الكنيسة غير موجودة ، وليست هى من طبيعة الدين الاسلامى ولا جزءا منه ٠٠ »

هكذا وضع مفكر مغربى كبير أصابعه بلطف على الجرح الدامى للمشكلة ، التى برزت لميدان السياسة العربية فى الشرق ، ثم ظهرت عندنا فى المغرب ، ليلة اعلان الاستقلال ، والتى قاومتها فى صمت منذ ثلاث سنوات دون أن أجد سندا أدبيا من كاتب أو مفكر مغربى يواجهها بصراحة ، حتى تعرض لها الأستاذ علال الفاسى فى آخر لحظة بينما هذا الكتاب تحت الطبع ٠٠

والواقع أن عدم ادراك هذا الفرق الكبير فى مدلول كلمة الدين عند المسيحيين وعند المسلمين كان عظيم الخطر فى تضليل الكثيرين من المثقفين العرب الذين تلقوا تعليما غربيا دون أن يحصلوا بجانبه على دراسة صحيحة تمكنهم من معرفة الاسلام على حقيقته ٠

ولما كانت الكلمات اللغوية انما تعيش فى المعانى الحية التى يلبسها الناس لها بالاستعمال كل يوم ، فان كلمة « الدين » لم تعش فى ذهن هذه الطبقة من المثقفين الا بمدلولها الغربى الذى أشار اليه الاستاذ علال الفاسى اذ هو الذى تتحدث عنه الآداب والثورات والكتب والصحف الغربية التى تعيش عليها وفى جوها هذه الطبقة ٠٠

وكما ضل الكماليون الأتراك فى فهم الدين الاسلامى على حقيقته فسلكوه مسلك الدين المسيحى واصدروا حكما واحدا عليهما ٠ فان هذا التيار الغربى المضلل لا يزال جارفا حتى اليوم ولا يزال يجرف معه كتابا ومفكرين وسياسيين يقعون فى خداعه غير شاعرين ٠

ففى أبريل سنة ١٩٥٨ كتب الأستاذ محمد النقاش فى مجلة الآداب اللبنانية مقالا علق فيه على الدستور المؤقت للجمهورية

العربية المتحدة الذى لم ينص فيه على دين (١) الدولة ولا دين رئيسها قائلا :

« وانها لخطوة مباركة ، فالدين دستور سماوى يقرر علاقة الانسان بالله بينما دستور الدولة دنيوى يقرر علاقة المواطنين بعضهم ببعض !! ·

والدولة الديمقراطية الحق تفصل بينها وبين الدين ، وتبيح حرية المعتقد لجميع مواطنيها ولا تفرق بينهم على أساسه ·· !» ·

وهذه العبارة هى نموذج مهذب لعبارات الكماليين التى سنذكرها فيما بعد ·

فالدين الذى يقول عنه الأستاذ النقاش أنه يقرر علاقة الانسان بالله دون علاقة المواطنين بعضهم ببعض ليس هو الاسلام ، لأن الاسلام يقرر جميع هذه العلاقات ويحددها ·

والدين الذى لا يبيح حرية المعتقد لجميع المواطنين ويفرق بينهم على أساسه ليس هو الاسلام فهذا يقول : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٢) . وانما هو الدين المسيحى الكاثوليكى الذى حرم على البروتستانتيين ممارسة شعائرهم ، وأحل تقتيلهم وتعذيبهم ··

والذى أعلن الحروب الصليبية على المسلمين واضطهد اليهود وأحرقهم فى الوقت الذى عاش فيه المسيحيون واليهود فى الشرق العربى وفى أسبانيا الاسلامية متمتعين بكامل حرياتهم الدينية ·

فكيف نسحب حكم واحد على طبيعتين مختلفتين ؟

هذه بعض أمثلة للفروق الجوهرية العديدة بين طبيعة الاسلام والمسيحية تجعلنا ندرك الآثار التى يخلفها كل من الدينين فى

---

(١) كان اهمال النص على أن الاسلام دين الدولة ارضاء لحزب البعث العربى · وهو حزب يكره الاسلام كراهية شديدة · يستوى فى ذلك جناحاه الشيوعى والغربى ·· وارضاء الحكام المصريين لهذا الحزب كان شؤما عليهم وعلى المسلمين أجمعين ·

(٢) سورة البقرة : ٢٥٦ ·

المجتمع الذى يؤمن به كما ندرك ـ نتيجة لذلك ـ أن ما يصلح لمجتمع مسيحى ليس من الضرورى أن يكون صالحا لمجتمع اسلامى وبالعكس ، لان حاجاتهما الاصلية ليست ـ فى الواقع ـ متساوية ٠

فاذا كانت هناك عوامل دينية واجتماعية وتاريخية أو حتى سياسية لفائدة الاستقرار والسلام الداخلى تبرر ـ كما رأينا ـ أخذ الدول المسيحية الغربية بنظام « فصل الدين عن الدولة » فان هذه العوامل تعتبر مفقودة تماما فى الدول الاسلامية ٠

وكذلك فانه رغم الانقلابات والثورات المختلفة التى ظهرت فى الأقطار الاسلامية منذ مطلع هذا القرن ٠ سواء فى البلاد العربية أو فى ايران وأندونيسيا وغيرهما لم تقم أية حركة سياسية ترمى لفرض « النظام اللادينى » وانتهاج سياسة مصطفى كمال فى تركيا وهى البلد الاسلامى الوحيد الذى فرض عليه هذا النظام (١) ٠

ويجب أن لا ننسى هنا شيئا آخر ، هو أن الحملة التى يواجهها الاسلام من أعدائه انما هى أثر من آثار الهجوم العنيف الذى وجه ضد الأديان عامة من طرق الماديين ٠

ولقد كانت المسيحية ـ فى الواقع ـ هى السبب المباشر والهدف الأصيل الذى وجه اليه هذا الهجوم ٠

ولكن الحملة جرفت معها سائر الأديان وكان من نتيجتها زعزعة الايمان بالدين كله واعداد الرأى العام المسيحى لقبول النظام اللادينى ٠

---

(١) النظام اللادينى فى تركيا يسنده السلاح وحده وقد قام على أشلاء المجاهدين المقهورين ولو تحرر الاتراك لعادوا الى الاسلام فورا ، ان الحكم اللادينى لا يستند الى رأى عام فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، انه يستند الى الارهاب السافر أو المقنع ، والملحدون يؤمنون بالحرب لانفسهم وحسب أما غيرهم فيعامل بالقهر والكبت ولو كان ملء الارض !!

ولكى نأخذ فكرة عن هذا الهجوم لنسمع الى الأستاذ « امرى ريفز » وهو يحلل أسباب فشل المسيحية فى كتابه«تحليل السلام» فيقول :

« ان القتل الواسع النطاق ، والتعذيب ، والاضطهاد ، والضغط ، والفتن التى شهدناها فى منتصف القرن العشرين لأدلة قاطعة على الافلاس الكامل للمسيحية كوسيلة لترويض الانفعالات الانسانية الغريزية ولتحويل الانسان من حيوان الى مخلوق اجتماعى معقول ·· !

وان بعث البربرية والاستعمال المطلق للابادة الجماعية فى العالم بأسره لا يمكن اعتباره مسلك قلة من الأفراد الذين لا يؤمنون بالله أصابهم مرض التلذذ بالتعذيب (السادزم) أو جماعة من المتعصبين للشنتوية اليابانية ·

لقد قتل ملايين من الأبرياء دون أن تهتز شعرة فى جسم من قتلوهم كما نهب عشرات الملايين من البشر وجردوا مما يملكون ، ونفوا من بلادهم واستعبدوا ، وقد لقوا هذا المصير على أيدى مسيحيين انحدروا من أصلاب أسر مسيحية انتسبت منذ قرون الى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، أو الى الكنيسة الشرقية الارثوذكسية أو الكنيسة البروتستانتية ·

ولقد ارتكبت فظاعات ومآس مفزعة ومجردة من كل مظهر انسانى لا على يد ألمان ويابانيين فحسب بل على أيدى أسبانيين وطليان وبولنديين ورومانيين ومجر وفرنسيين وصرب وكروات وروس ·

ولقد أغضت الكنيسة عن هذه الفظاعات وأغمضت عينها كل المجتمعات المسيحية على اختلاف مذاهبها (١) ·

وليس قصدى هنا أن أتهم أو أصدر حكما على أى دين منزل (منظم) لاغضائه عن هذه الانفجارات الوحشية الشبيهة

---

(١) طبيعة الحكم المسيحى فى الداخل ، وطبيعة الاستعمار الصليبى الغربى هى استباحة الخصوم ، والضراوة فى السطو على ما يملكون ·

بحيوانية انسان ما قبل التاريخ ، ولكن مجرد حصول هذه النكسة أو وقوع تلك الرجعة قاطع الدلالة على عدم كفاية الوسائل المسيحية فى تكييف الأخلاق الانسانية والتأثير عليها وحمل الانسان على ترك ما توحى به غرائزه والاهتداء بالمثل الروحية·

انه من العبث نكران أن المسيحية عجزت عن التسرب الى نفس الانسان وعن غرس جذورها فى تلك النفس ·

لقد اقتصر نجاحها فقط على خلق قشرة رقيقة من السلوك الخلقى ، وطبقة خفيفة من الحضارة لم تلبث أمام القلاقل الاجتماعية التى شهدها القرن العشرون حتى مزقتها قطعا » ·

ثم يتابع تحليله قائلا :

« ان ألفى سنة لزمن كاف للحكم على جدوى أية طريقة بصرف النظر عن المذهب الذى تطبقه هذه الطريقة ، وخلال هذه القرون العشرين خيل الى الناس أن المسيحية نجحت فى تأنيس الحيوان الراقد فى صدر الانسان ، وفى ضبط وتقييد النزعات والخصائص الانسانية المدمرة ·

ولكن منذ حادت الكنائس عن رسالتها الانسانية العالمية متحولة الى « منظمات وطنية » مؤيدة الوثنية القبلية ، نستطيع القول : كم هى ضعيفة قبضة المسيحية على العالم الغربى ؟! ·

ذلك لأنها من أجل عرض الدنيا قد تخلت عن تعاليمها الروحية مستسلمة أمام غرائز الانسان البركانية التى يحطم بعضها بعضا ما لم يتداركها القانون ويلزمها حدها ·

ان ما فى المسيحية من قدسية وبواعث للحضارة هو توحدها وعالميتها أى تعاليمها القائلة : ان الناس خلقوا متساوين أمام الله وانهم لعبيد لاله واحد يحكمهم قانون واحد · فتلك هى التعاليم المنطوية على الفكرة الثورية حقا فى تاريخ الانسانية (١) ·

---

(١) التفرقة العنصرية مختلطة بدماء الغربيين ،وقد عجزت المسيحية كل العجز عن ازالتها بل لقد أقرتها ·

ولكن لسوء حظ المسيحية ـ كدين منظم ـ أنها تحولت شيئا فشيئا الى هيئة ذات سلطة رئاسية مطلقة وقد أدى هذا الى Shism ثم الى التفرقة ·

بذلك انحدر القانون الواحد العالمى الى ديكتاتورية من ناحية والى انتشـــار للفـــرق والمـــذاهب على أوســـع نطاق من ناحية أخرى ·

وفى هذه اللحظة بدأت الأوطان والقوميات الحديثة تتبلور ، كما بدأ الشعور الوطنى يسود العالم الغربى ويتفوق على الشعور المسيحى ، فانقسمت الكنائس المسيحية فيما بينها الى عدد جديد من الفرق المذهبية ، وجعل كل فريق منها يؤيد المثل الأعلى الجديد المبتدع ، أعنى المثل الأعلى الوطنى ·

وما لبثت المسيحية أن تشابهت بالوطنية ·

وفى كل وطن ، اعتبرت السياسة الوطنية كأنهـــا سياســة مسيحية لمناهضة الاتجاهات الاشتراكية والنزعات الحرة » ·

هذا نموذج للمطاعن التى وجهت للمسيحية ، وهو غنى عن كل تعليق · فهل الاسلام كان كذلك ؟ وهل يمكن أن يؤاخـــذ بمثل ذلك ؟

ان وقائع التاريخ وحقائق الاسلام تجيب بالنفى ·

ولكن الاسلام مع ذلك تأثر من هذه الحملة كما تأثر من طغيان الأفكار الوطنية والقومية عليه ، ليس فقط لأن الغربيين أصبحوا ينظرون اليه ويكتبون عنه باعتبار أنه نسخة من المسيحية كمـــا يفهمونها · بل لأن المسلمين الذين تعلموا فى مدارسهم اللادينية أصبحوا يعتقدون ذلك بدورهم وينظرون اليه بنفس المنظار !·»

❁ ❁ ❁

ذلك ما كتبه السيد « ادريس الكتانى » نقلناه على طـــوله لعموم جدواه ولأنه يدل على وحدة المرض العقلى والاجتمـــاعى الذى تشكو منه أمتنا بين المحيطين ·

ولا عجب فان مصدر البلاء واحد ، ودول الغرب تنزع عن قوس واحدة فى ضغنها على الاسلام ، وافسادها لأجياله الناشئة ، ولعبها بساسته الكبار ! من عرب وعجم وترك وهنود ·

وانى لأطوى فؤادى على احتقار شديد لأناس يسمعون أن الصينيين تركوا الدين واعتنقوا الشيوعية ، والدين هناك هو البوذية فيصيح هؤلاء هنا : اتركوا الدين ـ يعنى الاسلام لاغير ـ فقد ترك الدين غيرنا !! ·

واذا ثار عبدة البقر فى الهند على مقدساتهم صاح مغفل فى لقاهرة : أغلقوا الازهر فلا مكان فى عصرنا لمقدسات بالية !!·

وهكذا يتناول الاسلام باللطمات من عصابات القردة التى أفسد الغزو الثقافى فكرها ·

هاجمه أولا أذناب الغرب الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ·

ثم هاجمه ثانيا أذناب الشيوعية ممن يحاربون الألوهية ويرفضون الوحى ، ويعادون الاسلام ونظامه الشامل للفرد والمجتمع والدولة ·

و « الحكومة المدنية » هى العنوان الذى يهربون اليه ويخادعون به ·

ولو صرحوا بذات أنفسهم لقالوا : لا نريد الاسلام · فدعونا من ذكره لا تضايقونا بعرض تعاليمه !! ·

انه شىء مضى أوانه ولا عودة اليه !! ·

❁ ❁ ❁

ونحن ما فى طاقتنا أن نمنع الارتداد ، فليذهب الى الجحيم من أراد ·

لكن الذى فى طوقنا أن نذكره ، وأن نكرره ، أن هؤلاء المرتدين يبغون فساد جمهور الأمة بالقوة ·

فهم يستغلون السلطات التى سرقوها لنشر الالحاد والانحلال، وتفريغ القلوب مما بها من ايمان بالله وطاعة له ·

ووجب على جماهير المسلمين أن تهتك الأستار التى يختفى وراءها هؤلاء الشيوعيون ، وأن يستبينوا طـــواياهم على ما بها من شر .

ان الحكم الصحيح ما يكون الا صورة كاملة دقيقـــة لرغبات الأمة الروحية والمادية ومصالحها الاجتماعية والاقتصادية .

والمسلمون فى كل قارة أوفياء لدينهم مستمسكون بشرعه .

وليس من حـــق بشر أن يلويهـــم عن وجهتهـــم بالســـيف أو بالختل ... !!

وطريق الحكم الاسلامى واضح لا يشينه جهل جاهل ولا يؤوده جحد جاحد .

وأنا أعلم أن كلا من الغرب والشرق يضـــيق بعـــودتنا الى الاسلام الحق .

فليمت من شاء ضيقا .

أما نحن فليس أمامنا الا طريق واحد ، نعرفه بفطـــرتنا ، ونشتاق الى السير فيه ! هو ديننا .

فلنصطلح مع الله وحده ، ففى كنفه ما نرجو من رزق كثير ، ونصر عزيز .

﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلا فِي غُرُورٍ﴾(١).

﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾(٢).

﴿أَفَمَنْ يَمْشِـي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِـي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٣).

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ...﴾(٤).

---

(١) سورة الملك : ٢٠ .
(٢) سورة الملك : ٢١ .
(٣) سورة الملك : ٢٢ .
(٤) سورة الملك : ٢٩ .

الفصل السابع

فلسطين والشيوعية وواجبنا العام

أشرنا فى صدر هذا البحث الى موقف « روسيا » الأخير من كفاح العرب ضد الصهيونية والاستعمار وكيف أن الشـــيوعية تسللت الى العالم العربى والاسلامى مع هذه المساعدات التى دعم بها الروس مقاومة العرب لعدوهم ٠

والموضوع كله يحتاج الى تفصيل وكشف ، فان اللغط الباطل الذى طال طنينه هنا وهناك كاد يطمس أعلام الحقيقة الخطيرة ٠

* * *

لقد قررت انجلترا منذ خمسين سنة انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وكانت انجلترا يومئذ قائدة العـــالم الصليبى ، والدولة الأولى فيه ٠

وكانت تحصل على نصيب الأسد من تركة الرجل المـريض ، أى من أشلاء الأمة الاسلامية التى ذهبت شذر مذر ، وجثم الذئاب فوق كيانها المستسلم يقتطعون منه ما شاؤوا ٠

وكافح عرب فلسطين كفاح المستميت ، وكافح معهـم الجيرة الأقربون من اخوانهم فى الشرق الأوسط ٠

وكانت الروح الاسلامية كامنة وراء الجهاد الحزين الباســـل الذى أطفأ الانكليز جذوته ، ونكسوا رايته ، وأذلوا أهله ٠

ومضت السنون والاستعمار الغربى يقطع الطريق الى غايته فى القضاء على الاسلام وأمته ٠

وقامت اسرائيل فى أحضان الرعاية الغربية التى كفلت لليهود أسباب البقاء والنماء ، وأمدتهم بتأييد اقتصادى واسع وتأييد سياسى أوسع ٠

حتى لكأن وجودهم على انقاض شعب فلسطين البائس قد غدا حقيقة عالمية لا ريب فيها .. !!

وزاد الطين بلة أن الغزو الثقافى الصليبى للعالم العربى والاسلامى أفلح فى دحرجة الحكام المسلمين عن دينهم ، وفى جعل النزعات القومية تستبد بهم .

فاذا قضية فلسطين تتحول الى قضية عربية محدودة تافهة بعد أن كانت قضية اسلامية واسعة مخيفة .

وذلك فى الوقت الذى يعانى فيه العرب تعصبا دينيا أعمى ، سواء من اليهود الذين يواجهونهم أم من الأمريكيين وحلفائهم الذين يطفحون حقدا على الاسلام والمسلمين .

وعندى أن الحال التى وصل اليها العرب والمسلمون فى هذه الأيام ، لا نظير لها فى تاريخهم الطويل ، وان الخط البيانى لوجودهم الروحى والعسكرى يمس القاع .

وأنه اذا لم يوضع حد لهذا الارتداد عن دين الله فليس أمام العرب الا القبور .

❁ ❁ ❁

ولدت دولة اسرائيل فى وقت هان المسلمون فيه على الله وعلى الناس وعلى أنفسهم .

فالغرب الصليبى فى عنفوان قوته ، وعندما قرر اقامة اسرائيل لم يحسب للعرب أى حساب ، ولم يقدر لوجودهم الشعبى أو الرسمى أية قيمة .

أما العالم الشيوعى الذى تبوأت روسيا قمته فكان كذلك ينظر للعرب والمسلمين على أنهم أمة تائهة ، ويرمق ملوكهم ورؤساءهم بازدراء ، لأنهم فى جملتهم كانوا يدورون فى فلك السياسة الغربية ، وكانوا يحاربون الشيوعية بقسوة ـ خوفا على سلطانهم وثرواتهم لا خوفا على دين الله ـ .

حتى لكأن وجودهم على انقاض شعب فلسطين البائس قد غدا حقيقة عالمية لا ريب فيها ٠٠ !!

وزاد الطين بلة أن الغزو الثقافى الصليبى للعالم العربى والاسلامى أفلح فى دحرجة الحكام المسلمين عن دينهم ، وفى جعل النزعات القومية تستبد بهم ٠

فاذا قضية فلسطين تتحول الى قضية عربية محدودة تافهة بعد أن كانت قضية اسلامية واسعة مخيفة ٠

وذلك فى الوقت الذى يعانى فيه العرب تعصبا دينيا أعمى ، سواء من اليهود الذين يواجهونهم أم من الأمريكيين وحلفائهم الذين يطفحون حقدا على الاسلام والمسلمين ٠

وعندى أن المال التى وصل اليها العرب والمسلمون فى هذه الأيام ، لا نظير لها فى تاريخهم الطويل ، وان الخط البيانى لوجودهم الروحى والعسكرى يمس القاع ٠

وأنه اذا لم يوضع حد لهذا الارتداد عن دين الله فليس أمام العرب الا القبور ٠

❁ ❁ ❁

ولدت دولة اسرائيل فى وقت هان المسلمون فيه على الله وعلى الناس وعلى أنفسهم ٠

فالغرب الصليبى فى عنفوان قوته ، وعندما قرر اقامة اسرائيل لم يحسب للعرب أى حساب ، ولم يقدر لوجودهم الشعبى أو الرسمى أية قيمة ٠

أما العالم الشيوعى الذى تبوأت روسيا قمته فكان كذلك ينظر للعرب والمسلمين على أنهم أمة تائهة ، ويرمق ملوكهم ورؤساءهم بازدراء ، لأنهم فى جملتهم كانوا يدورون فى فلك السياسة الغربية ، وكانوا يحاربون الشيوعية بقسوة ــ خوفا على سلطانهم وثرواتهم لا خوفا على دين الله ــ ٠

ومن ثم أيدت روسيا وجود اسرائيل ، وأقرت ازالة أهـــل فلسطين ، وشاركت الدول الغربية فى أقذر جريمة سياسية ودينية شهدها العصر الحديث ٠

ولست ألوم الروس على هذا المسلك ، فالروس قوم يخدمون مصالحهم ومبادئهم ، وقد تجاوبوا ــ بهذه السياسة ــ مع طبيعتهم وظروفهم ٠

انما تقع اللائمة على العرب الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم٠

العرب الذين يأبون الاسلام شعارا لهم فى المجال العـــالمى ، أو حياة لهم فى الميدان الداخلى ٠٠ !!

❋ ❋ ❋

وقامت « اسرائيل » على قدميها وسط العرب المشدوهين ٠
وشرعت روســـيا ترمـق المـــوقف فى الشرق الأوســـط بذكاء ودقة ٠

ان عناصر اسلامية كثيرة أخذت تستعد لجهاد جديد ، وعناصر وطنية أخرى لم ترض الواقع الأليم وبدأت تقاومه ٠

وهؤلاء وأولئك لا تربطهم بروسيا علاقات ود ٠

من أجل ذلك تجهمت روسيا لهـــذه الحركات ، وأصـــدرت أوامرها للشيوعيين العـــرب ــ وكانوا يومئذ قلة متكورة ــ أن يقبلوا قيام اسرائيل ، وأن يسكبوا الماء البارد على العـــداوة المشتعلة ضدها بين الجماهير ٠

وقد لمسنا بأيدينا هذا الاتجاه ، ورأينا الكتاب المشهـــورين المائلين الى اليسارية يخشون المجاهرة فيجنحون الى تعليقات ساخرة على السياسة العربية الرجعية ! أو يقومون بهجـــوم بذىء على الرجال الكبار الذين يقاومون الصهيونية بصلابة ٠

أما الخلايا الشيوعية المبعثرة فى المجتمع العربى فلم تنقصهـا الصراحة فى المطالبة بقبول الأمر الواقع فى فلسطين ٠

ونثبت هنا ما سجله الأستاذ محمد جلال كشك من تصريحات وتوجيهات لهؤلاء الحمر تحت عنوان«عارهم فى فلسطين(١)» قال :

« لقد خرجت جريدة « القاعدة » لسان حال الحزب الشيوعى العراقى فى ١٩٤٨ تقول : « ناضلوا فى سبيل انهاء حالة الحرب• واعلان تأليف الدولة العربية المستقلة الديمقراطية فى القسم العربى من فلسطين » •

وأصدر الشيوعيون العراقيون كتابا سموه « أضواء على القضية الفلسطينية » ختامه : فليحيا التعاون والتحالف بين الوطنيين والديمقراطيين العرب واليهود لاحباط خطط الاستعمار والرجعية • ولتحيا الصداقة العربية اليهودية •

وحتى سنة ١٩٥٣ كانت جريدة « القاعدة » تقول : « ان الشعب العراقى يرفض باباء أن يحارب الشعب الاسرائيلى الشقيق » •

« لا مصلحة فى الحرب للكادحين العرب واليهود بل للبورجوازية العربية العفنة » !

وصحيح ان بعض التنظيمات الشيوعية فى الوطن العربى قد عارضت مشروع التقسيم عند صدوره ثم عادت فاعتذرت وأدانت موقفها • وأيدت التقسيم بمجرد أن اتضح موقف الاتحاد السوفيتى •• عندما قال « جروميكو » أمام الامم المتحدة : « ان الدول الغربية ، قد أثبتت عجزها فى الدفاع عن الحقوق الأولية للشعب اليهودى ، وهذا ما يبرر طموح اليهود الى انشاء دولتهم بأنفسهم •• ومن غير العدل ألا نوافق على هذا الطموح أو أن ننكر حق الشعب اليهودى فى تحقيق ما يصبو اليه » (٢) •

عندئذ انقطع كل نقاش ، ووارت التنظيمات الشيوعية التى عارضت التقسيم خجلها •• ورفضت جميعها الحرب مستندة الى

---

(١) الرسالة : العدد ١١١٤ •

(٢) هذا هو الموقف الرسمى لروسيا الشيوعية وحلفائها غداة قيام اسرائيل أو اشتباك العرب فى حرب معها لاستنقاذ فلسطين •

ونثبت هنا ما سجله الأستاذ محمد جلال كشك من تصريحات وتوجيهات لهؤلاء الحمر تحت عنوان«عارهم فى فلسطين(١)» قال :

« لقد خرجت جريدة « القاعدة » لسان حال الحزب الشيوعى العراقى فى ١٩٤٨ تقول : « ناضلوا فى سبيل انهاء حالة الحرب• واعلان تأليف الدولة العربية المستقلة الديمقراطية فى القسم العربى من فلسطين » •

وأصدر الشيوعيون العراقيون كتابا سموه « أضواء على القضية الفلسطينية » ختامه : فليحيا التعاون والتحالف بين الوطنيين والديمقراطيين العرب واليهود لاحباط خطط الاستعمار والرجعية • ولتحيا الصداقة العربية اليهودية •

وحتى سنة ١٩٥٢ كانت جريدة « القاعدة » تقول : « ان الشعب العراقى يرفض باباء أن يحارب الشعب الاسرائيلى الشقيق » •

« لا مصلحة فى الحرب للكادحين العرب واليهود بل للبورجوازية العربية العفنة » !

وصحيح ان بعض التنظيمات الشيوعية فى الوطن العربى قد عارضت مشروع التقسيم عند صدوره ثم عادت فاعتذرت وأدانت موقفها • وأيدت التقسيم بمجرد أن اتضح موقف الاتحاد السوفيتى •• عندما قال « جروميكو » أمام الامم المتحدة : « ان الدول الغربية ، قد أثبتت عجزها فى الدفاع عن الحقوق الأولية للشعب اليهودى ، وهذا ما يبرر طموح اليهود الى انشاء دولتهم بأنفسهم •• ومن غير العدل ألا نوافق على هذا الطموح أو أن ننكر حق الشعب اليهودى فى تحقيق ما يصبو اليه » (٢) •

عندئذ انقطع كل نقاش ، ووارت التنظيمات الشيوعية التى عارضت التقسيم خجلها •• ورفضت جميعها الحرب مستندة الى

---

(١) الرسالة : العدد ١١١٤ •

(٢) هذا هو الموقف الرسمى لروسيا الشيوعية وحلفائها غداة قيام اسرائيل او اشتباك العرب فى حرب معها لاستنقاذ فلسطين •

التفسير الذى أعلنه « جروميكو » عندما قال : ان الهجوم العربى على الشعب اليهودى المسالم يعتبر عملا وحشيا ضد شعب لايريد سوى تقرير مصيره.

وانطلق الشيوعيون يعملون ضد الحرب التى « دبرها الاستعمار وارادتها الرجعية » ٠

كما وصفها تقرير الرفيق خالد سكرتير الحزب الشيوعى المصرى المنحل ٠٠ ! « وحقق الشيوعيون العرب فى « كفاحهم » ضد الحرب ما عجزت عنه الاحزاب الماركسية فى أوربا ٠٠ عندما أصرت أحزابها على خوض الحرب الوطنية دفاعا عن وطن الآباء ، وألقت الى الأرض بشعار الأخوة البروليتارية » ٠

وهذه النقول نماذج قليلة لموقف الشيوعية من قضية فلسطين ، قبل أن تقع فى المنطقة كلها الأحداث الكبيرة التى جعلت روسيا وشركاءها يتخذون موقفا آخر ، يجب أن تعرف أبعاده وبواطنه وبواعثه ٠

ان اسرائيل التى ولدت وسمنت فى أحضان الغرب الصليبى لم تنس جميل سادتها ، ولم تفرط فى حقوقهم لديها ٠

وقد كشفت الأيام للروس واتباعهم أن اسرائيل أضحت قاعدة للرأسمالية الغربية ، وامتدادا سياسيا وعسكريا لأمريكا وانجلترا ٠

كما ظهر أن الحزب الشيوعى الاسرائيلى لا أمل فيه ٠

فما مصلحة روسيا فى الحفاظ على ود مزهود فيه ؟

ذلك فى الوقت الذى بدأت أحوال العرب تتغير فيه تغيرا ظاهرا ٠

لقد كان العرب يعطون الخد الأيسر من يلطمهم على الخد الأيمن ٠

كانوا على الصعيد العالمى موالين أو شبه موالين لدول الغرب الكبرى ، يبتلعون اهاناتها ويتجاهلون مساءاتها ٠

بيد أن ترادف الجراح أيقظ نخوتهم ، وحرر مشيئتهم ، ومن هنا قررت دول عربية شتى أن تلتزم خطة أشرف ، وأصون ٠

قرر العرب أن يقولوا : لا ، فى مواطن كثيرة ٠

لكنهم عجزوا فى أغلب الاحيان عن الوفاء بما تتطلبه : لا ، من تكاليف ٠

ان البلبلة النفسية والاجتماعية التى خلقها الاستعمار بينهم كانت شنيعة الآثار ٠

وأسوأ ما فعله الاستعمار قضاؤه على العناصر التى كانت تمثل الايمان والبطولة ٠

وقد انتشرت الزلازل فى البيئات المؤمنة حتى أصبح لزاما على طلاب الأمان أن يكونوا ماجنين أو مؤمنين بالشكل لا بالموضوع !!

فى هذه الظروف التى باعدت بين العرب ودينهم ، وبين العرب والدول الاستعمارية الكبرى تقدمت الشيوعية لتعمل وتكسب وأمامها حقائق ثلاث :

١ ــ أن العرب يرفضون كل الرفض الاعتراف بوجود اسرائيل ، ويسقطون أى حاكم يصالحها ، ويرجون مع الغد زوالها ٠ والغرب الصليبى مصر على فرض اسرائيل بالسلاح وهو يحبط خطط العرب لاضعافها ويأمل مع الزمن أن ينسى الفلسطينيون وطنهم السليب ٠

٢ ــ أن مكانة الاسلام تضعضعت فى تربية النفوس ونظام الجماعات ، وأن جماهير كثيفة من المثقفين والموظفين والقادة غرباء على دينهم الموروث ، وأن المجتمع العربى الرسمى قد تخلى عن روابط العقيدة وايحاءاتها فى مختلف الميادين الداخلية والخارجية ٠

٣ ـ أن الأجيال الجديدة ببواعث النقمة على الاستعمار الذى أذل جانبهم والتطلع الى حليف يسند كفاحهم سوف يرنون بأبصارهم الى الروس ٠

وعندئذ يتقدم هؤلاء لملء الفراغ العقيدى والاجتماعى والسياسى الذى يسود المنطقة المحروبة ٠

وقد مضى الشيوعيون فى انفاذ هذا المخطط ، وأصابوا نجاحا ملحوظا فى بلوغ أهدافهم القريبة ٠

ولم يرجع هذا النجاح الى ما أوتوا من ذكاء قدر ما يرجع الى خسة الساسة الغربيين ، واصطباغ سرائرهم باحقاد دينية تستكثر على العرب وعلى دينهم حق الحياة ٠٠ !!

وقد أسأل نفسى : أاذا شعر اليهود بخطر التدخل الروسى ، قرروا الانسحاب من فلسطين المحتلة وتركوها للعرب العائدين ؟؟

كلا ٠٠ سيكون حل المشكلة فى متناول أيديهم !!

سيعلنون اعتناق المذهب الشيوعى ! وعندئذ يقول الروس لنا ولهم : انكم اخوة وعليكم أيها الرفاق أن تعيشوا متجاورين !!

ان الشيوعيين لم يخاصموا اسرائيل اليوم لله ولم يصادقونا نحن العرب لله ٠

ان منطق المصلحة القائم على حساب الجمع والطرح هو الذى جعلهم يظاهرون اليهود أمس القريب ، ثم يظاهروننا هذه الأيام ٠

● ● ●

ولقائل أن يقول : ماذا تريد ؟؟

والجواب : أريد أن يتوافق المسلمون مع دينهم ومصلحتهم كما يتوافق اليهود مع دينهم ومصلحتهم وكما يتوافق الشيوعيون مع مذهبهم ومصلحتهم ، وكما يتوافق الغرب الصليبى مع عقائده ومصالحه ٠٠ !!

ان المسلمين وحدهم هم الجبهة المفككة روحيا وماديا ، الحافلة بالمتناقضات ، المتعثرة الخطا .

وكيما يزول هذا الوضع المستنكر الكريه يجب أن نبصر الحقائق التالية ، ونتجاوب مع وحيها الحاسم :

أ ـ يجب أن تردم الفجوة التى بيننا وبين الاسلام ، وأن تقف فورا الحرب الفاجرة المعلنة على تعاليمه وأشياعه .

لقد تضافرت جهود ضخمة لسحق الدين ومحو آثاره النفسية والفكرية فماذا حدث ؟

ضاع الاسلام من قلوب كثيرة ، وشبت أجيال لا ايمان لها ، ولم يستطع « فكر » آخر أن يشغل مكان العقيدة المضطهدة .

فلما خلا المجتمع العربى من الايمان الحى انهارت الأخلاق ، وعربدت الشهوات ، وطغت الأثرة .

والمجتمع الذى خلا من العقيدة لا يصلح أبناؤه فى حرب ولا سلام ، مهما زعم لنفسه من تقدم .

بل ان أصحاب العقائد الوثنية يستطيعون سبقه فى ميدان الانتاج والنيل منه فى ساحات الوغى .

وهناك حكام مسلمون كثيرون شغلوا أنفسهم باهالة التراب على الاسلام وتقديم بديل آخر يغنى عنه فى توجيه الضمائر والشعوب .

وهيهات ، هيهات ، ان هؤلاء فى الحقيقة كانوا عونا على أمتهم و « طابورا » خامسا للصهيونية والاستعمار مهما زعموا لأنفسهم من عبقرية ووطنية .

٢ ـ يجب أن تردم الفجوة بين الحكام والشعوب ! وأن تزول النظم التى تؤمر على الأمم أشخاصا لا يمتون اليها بآصرة اخلاص وحب .

فالمفروض أن تكون الحكومة صورة أمينة للجمهور ومشاعره وآماله • بحيث يجد الشعب نفسه فى رجالها كما يجد المرء نفسه فى مرآة مصقولة •

وانى لأشعر بأسى غالب عندما أرى الغربيين يستمتعون دون عناء بهذا اللون من الحكم الطبيعى القائم على الاختيار الحر والثقة المتبادلة •

أما فى الشرق العربى فهناك حكومات تشبه أن تكون استعمارا داخليا (١) ، والاستعمار الداخلى شر وأنكى من زميله الأجنبى ، ويعجبنى قول الشاعر :

بلدى : كم صنم مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم !
لا تلومى الذئب فى عدوانه ان يك الراعى عدو الغنم !!

ان المسلمين من قديم يحملون على كواهلهم خطايا حكامهم ، فمتى تنقضى هذه المآسى ، وتحكم الشعوب نفسها بنفسها ؟؟

٣ ــ لقد تقاربت دول العالم وتشابكت مصالحها فى عصر تكاد تذوب فيه المسافات وتنعدم فيه العزلة السياسية •

ونحن لا نستوحش من هذا القرب ، بل نرحب به . فان لنا شخصية عالمية راسخة الأصول ، رفيعة القدر ، جليلة التاريخ ، سامية المثل •

وقد يستصحب الآخرون فى معاملتنا ذكريات حسنة أو سيئة •

ليكن ، فما نضيق بماضينا الذى يرجح بماضى غيرنا فى ميزان الانصاف •

ان أوربا ــ وأمريكا معها ــ ما زالتا تنظران الى العرب على أنهم حملة رسالة محمد عدوهم اللدود •• !!

---

(١) أشرنا الى ذلك فى أول كتاب لنا صدر من ربع قرن •

وما زالتا تضيقان بالاسلام وسيره خـــلال التاريخ الغـــابر والحاضر ٠

وقد انضمت روسيا الى هذه الجبهة اذ هى تحـــارب أصـــل الايمان وتخاصم الاسلام فيما تخاصم من دين ونحن ما يروعنا هذا الشعور الجاف مهما كانت مصادره ٠

وكل ما نوصى به أن نحاكم الخصوم والأصدقاء جميعـا الى مبادىء العدالة والمساواة والحرية التى يطبقون على احترامهـا ، ونطلب اليهم ألا يتناسوها معنا ٠

وفى زحام هذا العالم المائج بالمذاهب والنحل يجب أن نعتصم بالاسلام وألا نفرط فى ذرة منه ، وأن نتيح عرضه على الناس فمن شاء اعتنقه ومن شاء تركه ٠

٤ ــ الخلاف الدينى فى نظرنا ليس مثار عداوة ، فلكل انسان الحق فى ايثار عقيدة ما يستريح اليها ضميره ٠

ان العداوة تنشب من الظلم والاستضعاف،والبغى والاعتساف٠

ومن حقنا نحن المسلمين أن نتعرف جيدا الجهات التى ترمينا بالضرر ، وتقدح لنا الشرر ٠

ومن حقنا أن نتحصن من أذاها ، وأن نكسر طغواها ، وأن نقبل العون ممن يؤازرنا ضدها ٠

وانه ليؤسفنا فى المرحلة الحالية من تاريخنا أن يتواصى أهل الكتاب بحربنا ويتعاونوا على ظلمنا ٠

وأن يتقـــدم الروس وأحـــلافهم من الشيوعيين بصـــنوف المساعدات لرد هذا الاعتداء ٠٠ !!

انه لسواد فى وجه الضمير الدينى أن تقع هذه المفارقات ٠

ولكن ما هذه أول مرة يخون فيها أهـــل الـــكتاب ربهـــم ورسلهم ٠٠ !

ونحن المسلمين ــ بداهة ــ نرحب بالعون المبذول ، ونقدره ، ونرى لزاما علينا :

(أ) أن ندفع ثمنه المادى ·

(ب) أن ننوه بالجميل المسدى ·

(جـ) ألا ترى الشعوب التى أحسنت الينا منا شرا قط ·

وليس يعنى هذا فى قليل ولا كثير أن نعتنق الشيوعية ، أو نغمض العين عن كفرها بالله ، أو ننسى أحوال المسلمين الخاضعين لحكمها ·· !!

ان الظروف السياسية مهما تعقدت لا تغير الحقائق الأساسية للأمم ورسالاتها واتجاهاتها (١) ·

٥ ـ بقى على الأمة الاسلامية أن تلم شعثها وتصلح شأنها وتنقى منابع ثقافتها وتفقه الطور الانسانى الذى تجتازه ويجتازه معها الآخرون ·

ان المسافة لا تزال بعيدة بين المسلمين ودينهم علميا وعمليا ، وفى مراحل هذا البعد تجد المذاهب المناوئة والأعداء المتربصون ألف ثغرة للنفاذ الى قلب العالم الاسلامى ·

وذاك سر النقائص الكثيرة التى تدع الحليم حيران ·

---

(١) ألف هذا الكتاب فى العام الماضى قبل وقوع الحرب الأخيرة بين العرب واليهود ولذلك لم أشأ التعرض فيه لمأساة « سيناء » وما أعقبها وما أدى اليها ·

فهـرس

	الصفحة
مقـــدمة	٣
الفصـــل الاول : بداية الصراع	٧
الفصل الثانى : الشيوعية والدين	٢٣
الفصل الثالث : الشيوعية والحريات	٦٥
الفصل الرابع : الاحوال الاقتصادية فى ظل الشيوعية	٩٣
الفصل الخامس : المسلمون فى الاتحاد السوفياتى	١١٣
الفصل السادس : الاسلام بين المياة والموت	١٥٥
الفصل السابع : فلسطين والشيوعية وواجبنا العام	٢١١

« كتب للمؤلف »

❁ ❁ ❁

١ ـ عقيدة المسلم ٠
٢ ـ خلق المسلم ٠
٣ ـ الاسلام المفترى عليه ٠
٤ ـ الاسلام والاستبداد السياسى ٠
٥ ـ الاسلام والأوضاع الاقتصادية ٠
٦ ـ الاسلام والمناهج الاشتراكية ٠
٧ ـ تأملات فى الدين والحياة ٠
٨ ـ التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ٠
٩ ـ من هنا نعلم ٠
١٠ ـ فقه السيرة ٠
١١ ـ فى موكب الدعوة ٠
١٢ ـ ليس من الاسلام ٠
١٣ ـ ظلام من الغرب ٠
١٤ ـ كيف نفهم الاسلام ٠
١٥ ـ الاستعمار أحقاد وأطماع ٠
١٦ ـ جدد حياتك ٠
١٧ ـ من معالم الحق ٠
١٨ ـ نظرات فى القرآن الكريم ٠
١٩ ـ مع الله ـ دراسات فى الدعوة والدعاة ٠
٢٠ ـ هذا ديننا ٠
٢١ ـ حقيقة القومية العربية ٠

٢٢ ـ الجانب العاطفى من الاسلام ٠
٢٣ ـ الاسلام والطاقات المعطلة ٠
٢٤ ـ كفاح دين ٠
٢٥ ـ معركة المصحف فى العالم الاسلامى ٠
٢٦ ـ حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام واعلان الأمم المتحدة٠
٢٧ ـ دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ٠
٢٨ ـ ركائز الايمان بين العقل والقلب ٠
٢٩ ـ الاسلام فى وجه الزحف الأحمر ٠

مؤسسة دار العلوم - الدوحة

العلوم
مؤسسة دار العلوم
للطباعة والنشر والتوزيع
ص ٠ ب ١٦٧١ - الدوحة - قطر